محمد أحمد مشهور الحداد

حقائق تاريخية

عن العرب والإسلام

في إفريقيا الشرقية

دار الفتح

الطبعة الأولى
١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م

محمد أحمد مشهور الحداد

حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقيا الشرقية



بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

بقلم الأستاذ الكبير : محمد سعيد العامودي
رئيس تحرير مجلة (رابطة العالم الإسلامي)
ومجلة الحج (مكة المكرمة)

إفريقية .. إفريقية !

إفريقية للافريقيين !

إفريقية للإفريقيين.. كان هذا أوّل نداء يُدَوّي في العالم في أعقاب الحرب العالمية الثانية .. وقد أصبحت بأسبابها دول الاستعمار في شبه إعياء بعد أن أناخت عليها تلك الحرب بأهوالها الجسام، وأفنت من رجالها ما أفنت، وكبدتها ما كبدت من خسائر !

إفريقية للافريقيين.. إذن فقد آن للرجل الأبيض أن يستريح وأن يُريح.. أو بعبارة أصح لقد آن له أن يترك ما لقيصر لقيصر.. أعني أن يترك بلاد الآخرين، بعد أن جعل من نفسه هذا الرجل « أسطورة » ثم ظن خادعاً ومخدوعاً أنه بقوة الآلة، أو بسحر التكنولوجيا يستطيع أن يحكم ويتحكم .. وأن يطغى ويتجبر .. دون أن يجد من يقول له : قف ! لسبب وحيد، هو أنه قوي.. أو أن الظروف التاريخية شاءت له أن يكون هو دون سواه : رب الحضارة في العصر الحديث !

آن للرجل الأبيض ، رجل الاستعمار ، والاستغلال ، أن يعود من حيث جاء بعد أن أنهكت حربان متتابعتان من قواه ، وبعد أن هزّ طغيانه شعوب الأرض،فأثار ثائرتها وأيقظ وعيها،فأعلنت،وقد واتتها الفرصة بانتهاء الحرب.انه لا استعمار بعد اليوم !

إفريقية للافريقيين .. كانت هذه صيحة إخواننا الأفارقة في أعقاب الحرب العالمية ! كانت صيحة أشبه بالنفير .. كانت بالنسبة لهم إرهاصاً ليقظة جديدة ولحياة جديدة .. وليس من شك في أن القارة السمراء ، إنما استجابت عن قصد أو غير قصد لشاعرها الفيتوري القائل :

إفريقية !
إفريقية ، استيقظي !
إستيقظي من حلمك الأسود
قد طال ما نمت ، ألم تسأمي ؟
ألم تملّي قدم السيد ؟
قد طالما استيقظت تحت الدجى
في كوخ المُجهِد

إلى آخر ما يقول ...

●

أجل إن إفريقية للافريقيين .. منذ أن استجابت لشاعرها .. فاستيقظت، وأعلنت للدنيا في إصرار ، أنها بعد الآن لن تستعمر !!

وحقيقة : لقد بهرت إفريقية بثورتها التحريرية عالم اليوم !

بعد أن كان الرأي السائد – إن خطأ أو صواباً – إن هذه القارة ما زالت في سبات ..

لكن هذا هو الذي حدث لأمرٍ شاءته عنـاية الله – فما ان وضعت الحرب الثانية أوزارها حتى رأينا الشعوب الإفريقية جماء في طليعة شعوب قامت تطالب بالاستقلال !

ونالت أكثر شعوب إفريقية استقلالها ..

واستنشقت نسيم الحرية ، ربما لأول مرة بعد أكثر من مائتي عام ..

●

يا للروعة ! من كان يظن ؟!

من كان يظن أن أحلام إخواننا الأفارقة ، على هذه الصورة تتحقق؟ في عالم ليس فيه لغير الأقوى مكان ..

لقد ظلت إفريقية لِعشرات السنين يحكمهـا استعمار الغرب .. ويوم تخلى عنها لم يدع وراءه سوى شعوب مهيضة الجناح .. ومع ذلك فقد هبَّت في وجه المستعمر .. لا بقوة سلاح.. ولا بقوة علم.. ولا بقوة مال .. وإنما بقوة إيمان ! إنها العناية الإلـهية، ليس من ريب في ذلـــك .. وإذا ما أراد الله أمراً هيَّأ له الأسباب ..

●

لقد نالت أكثر الشعوب الإفريقية استقلالها، وانزاح عنها كابوس الاستعمار، وأصبحت تمارس أمورها الآن،وأثبتت في الواقع عكس ما كان يتوهمه المستعمر من أنها أبعد ما تكون عن الأهلية للحرية ، وعن الجدارة بالاستقلال !

نالت استقلالها ولكنها ككل أمة من الأمم تصحو بعد نوم طويل ، وبعـد اضطهاد مرير وجدت نفسها منذ أن تحررت تواجه صعاباً وأي صعاب،ومشاكل لا أول لها ولا آخر ! وجدت نفسها في قائمة شعوب متخلفة .. تعاني من الجهل وهو أعدى أعداء الأمم ، وتعاني من الفقر ، وهو داء قد استشرى في عالم اليوم

حتى في بلاد المدنية برغم التقدم العلمي ..

وأكثر من ذلك .. أعني أكثر من مشكلات الجهل والفقر، وجدت الشعوب الإفريقية نفسها تواجه أخطاراً ضخاماً من نوع آخر .. إنها أخطار تعمّد الاستعمار أن يصنعها وهو يتعمد ذلك دائماً بالنسبة لكل بلد يتخلى عنه راضياً أو مضطراً .. ما من بد من مشكلة أو مشكلات يتركها وراءه لأمر ما ..

بالإضافة إلى هذا كله .. بالإضافة إلى ما تواجه إفريقية اليوم من مُخلَّفات الاستعمار .. أو إلى ما يحاول أن يستبقيه لنفسه من نفوذ ولو من وراء ستار .. بالإضافة إلى هذا كله، وهو ليس بالأمر الهيّن..فإن أشدّ محنةٍ في نظر المراقبين تعانيها إفريقية المستقلة اليوم هي بلا شك التسلل الصهيوني من ناحية، ثم تيارات اليسار من ناحية أخرى.. أجل هذان هما أشد ما يواجه شعوب إفريقية في هذه الآونة .. وإنه لأمرٌ واضح أن إفريقية المستقلة لا تختلف عن شعوب كثيرة أخرى في غيرها من القارات في هذا المجال .

فإسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية تحاول جاهدة أن يكون لها وجودها في أي مكان تستطيع أن يكون لها فيه وجود !

وكذلك اليسار، أو بعبارة أفصح (الشيوعية !)

إفريقية - إذن - هي الآن أمام عدة أخطار، كل خطر منها أكثر ضراوة من الآخر .. وهي إذن في حاجة كأشد ما تكون إلى العون والإنقاذ .

ولن يكون هذا العون والإنقاذ من غرب أو شرق.. لن يكون من موسكو أو واشنطن أو لندن أو بروكسل .. وإنما يكون هذا - وهو لا بد أن يكون بمعونة الله - من العرب والمسلمين شعوباً وحكومات ..

فإن سألت : كيف يكون ذلك ؟

قلت : إنه يكون على مراحل، فأولاً وقبل كل شيء لا بد من المضي قدماً في إيجاد المزيد من تدعيم الصلات مع الدول الافريقية .

وثانياً : لا بد من مساعدة هذه الدول على الإكثار من نشر المدارس الأولية لمحو الأمية، ولا بد من عمل جبار لنشر اللغة العربية في قارة عظيمة كانت منذ التاريخ القديم حفية بالعرب ، وأوثق القارات صلة (بالجزيرة العربية) .

وثالثاً : التبشير .. وهو ما يزال ينتشر وربما زاد انتشاراً بعد الاستقلال.. لا بد من أن يقابله في إفريقية عمل جديد يكافئه قوة وتأثيراً ونتيجة .. ولن يكون ذلك بدون الاهتمام الجاد بنشر الدعوة الإسلامية هناك بواسطة وعاظ مستنيرين يُبعثون من كل بلد عربي وإسلامي بأكبر عدد ممكن ليقوموا بتنوير الأذهان ونشر تعاليم الإسلام على أوسع نطاق .

ورابعاً : إسرائيل .. أعتقد أنه من تحصيل الحاصل أن أقول : إن دول إفريقية بأسرها لو وجدت العناية الواجبة منا نحوها في كافة المجالات .. لما استطاعت اسرائيل أن تمارس تسللها هذا المريب إلى القارة الإفريقية ..

وليس كل هذا الذي أشرت إليه سوى بعض ما يجب أن تبادر إليه الحكومات والهيئات في العالم العربي والإسلامي بالنسبة للشعوب الافريقية ..

أشياء كثيرة جداً لا بد من أن تتحمل عبئها هذه الحكومات والهيئات بالنسبة لشعوب يعيش فيها ملايين المسلمين والعرب .. فإن لم تسارع إلى عونها كي تستطيع أن تصمد في وجه الزحف الصهيوني والشيوعي، وهو أشد الأخطار.. وكي تستطيع أن تنهض وان تقضي على التخلف .. إن لم تسارع فلن تكون إفريقية قد ربحت من استقلالها ، وستكون النتائج كأسوأ ما تكون لا بالنسبة للأفارقة فحسب.. وإنما بالنسبة للمسلمين جميعاً.. قال رسول ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

●

أما بعد، فهذه خواطر أثارتها في نفسي قراءتي لهذا الكتاب، وقد أطلعني عليه مؤلفه الفاضل السيد محمد أحمد الحداد، وجعل عنوانه « حقائق تاريخية عن العرب والإسلام .. في افريقيا الشرقية » .

هذا الكتاب بما اشتمل عليه من حقائق مستمدة من مصادر أصيلة ومن بعض المصادر الأجنبية قد عرفتُ منه الكثير مما لم أكن أعرف عن افريقية، وخاصة القسم الذي خصه بالذكر في عنوان كتابه وهو افريقيا الشرقية .

وهذا القسم هو الذي يشمل الجمهوريات الثلاث (كينيا ، ويوغندا، وتنجنيقا) والمؤلف وقد أُتيح له المقام هناك لسنوات ، استطاع أن يدرس هذه الأجزاء من افريقية دراسة واعية ودقيقة أثمرت هذا الكتاب القيّم، ولعله أول كتاب في اللغة العربية يوضع بمثل هذه الدقة ، وهذا الشمول ..

ولست أعلم عن كتب باللغة العربية ظهرت عن افريقية – إذا استثنينا بعض كتب الرحلات وهي غالباً لا تكون مستوفية – وإن كان هناك الكثير من الكتب صدر باللغة الأوربية في هذا الموضوع وهي كتب كما نعهد لا تخلو من تشويه للحقائق في أكثر أحوالها ولا تخلو من تعصب موروث .

وقد ذكر المؤلف أسماء بعض هذه الكتب الغربية في كتابه، وأورد نصوصاً منها دلت على مدى ما يحمله المؤلفون الغربيون من حقد ومن أنانية بالنسبة للعرب والمسلمين .

ولقد تناول المؤلف – فيما تناوله من موضوعات – دراسة الكشوف الجغرافية ، وهي التي قام بها الاستعمار في افريقية وما تمخّض عن ذلك من أحداث، كما أفاض في حديثه عن دور المسلمين العرب في الأقطار الثلاثة (كينيا ، يوغندا ، تنجنيقا)، وقد تحدث عن علاقة العالم العربي والإسلامي بافريقية . وهي علاقة ذات جذور بدأت من عهد بعيد وزادها الإسلام عمقاً ، وقد كان

للإسلام أثره البعيد في توثيق الروابط بين مسلمي افريقية بصورة عامة وسائر الأنحاء في العالم الإسلامي .

كما تحدث عن الغزو الأوروبي لسلطنات العرب في افريقية الشرقية بأنواعه الثلاثة (البرتغالي والألماني ، ثم البريطاني) وهو يصف الغزو البريطاني بأنه قد قام بدور الوريث للغزو الأوروبي .

ومن الفصول المهمة في الكتاب حديثه عن الرقيق .. والدور الذي قام به المستعمر في ممارسته لتجارة الرقيق .

وهو يتحدث عن الأخطار المحدقة بالإسلام في الشرق الافريقي فيذكر أن أهمها هو الاطماع الاستعمارية واليهودية وما يقوم به التبشير من نشاطه الدائب ولا يفوته أن ينوه بالزحف الآتي من الشرق : زحف الشيوعية . وهو يفيض في هذا الموضوع ويشير إلى ما يجب أن يؤخذ به تجاه هذه الأخطار .

وهو يقول في مرارة وفي ألم : « إننا نعيش بإسلامنا في أيام خطر ومحنة وقلق – وهي أيام تقتضي تضحيات كبيرة من جانب الذين يرون الخطر دانياً– ولكنها أيضاً أيام فرص كبيرة ونواهز سانحة » .

ويستطرد إلى الحديث عن أثر الدعاية في هذا العصر .. ثم يضيف قائلا : « .. والمسلمون جميعاً يعرفون هذا – والقليل منهم من يعمل بذلك – فيما يتعلق بنشر الإسلام ، ولنقارن ذلك كله بالإرساليات التبشيرية ومن خلفها الملاجىء والمصحات والمدارس ، وبالتالي – المراكز التي تنظم الأعداد وتهيء السبل وتستخدم من أهل الخبرات والعقول الخ . .

ثم يقول في ختام كتابه « فعلى ملوك المسلمين ورؤسائهم وقادتهم وهيئاتهم تقع المسئولية .. وعليهم جميعاً أن يتقبلوا راضين بتبعات الذين يحيون في هذا العصر المادي الأثيم ليحاربوا الشر أينما وجدوه ، ويدفعوا الأذى حيثما شاهدوه ، وما ذلك إلا بإقامة مراكز إسلامية في المدن الافريقية وتزويدها بالصلاحيات

والإمكانات الفعالة وكذلك بمث الدعاة الأكفاء المسلمين بتجريات الأحـــداث وطبائع النفوس – إلى آخر ما يقوله ويدعو إليه.

وبعد،

مرة ثانية : ليست هذه سوى إلمامة عن كتـــاب الأخ السيد الحداد ، ولو أردت أن أمضي في الحديث عنه لما اتسع المجال .. فحسبي أن أومىء.. متمنياً لهذا الكتاب المفيد ما هو جدير به من سيرورة وذيوع ..

محمد سعيد العامودي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد ، وتوطئة :

يثير المؤلفون في أوربا وأمريكا نقطة مهمةهي أن افريقيا ليست قارةواحدة بل هي مجموعة من عوالم مختلفة متعددة أو كما يقول النص الأوربي: يوجد افريقيتان أو ثلاث أو أربع افريقيات ، والآراء في هذا الصدد كثيرة فيقول الفرنسيون : إن افريقيا شمال الصحراء هي جزء من أوربا ، وإن افريقيا الكائنة جنوب الصحراء هي افريقيا السوداء ، ويقول الانجليز ان هناك افريقيات هي :

السواحل الشمالية ، ثم الصحراء،ثم افريقيا السوداء، ثم افريقيا الاستوائية، وأخيراً جنوب افريقيا . ويرى مصدر آخر أن القارة تتكون من جزءين غير متكافئين :

الأول – افريقيا شمال الصحراء ، كانت وما زالت جزءاً من حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى وآسيا .

الثاني – افريقيا جنوب الصحراء وتمثّل جزيرة منعزلة عن العالم القديم وتكوّن الصحراء حاجزاً بين الشمال والجنوب .

ونحن نرى أن مصدر القول الأخير هو الواقع الذي لا يقبل الشك وهو الحق

الذي أثبتت الأحداث وجهته السليمة، وما المصادر الأولى إلا تقسيمات سياسية استهدفت أكثر من غرض نمّ عن أطماع استهدفها المستعمرون في القارة بأسرها، ولئن زالت كل تلك الأهداف التي قصد من ورائها تلك التجزءات أو كادت، فإن لنا من واقع افريقيا اليوم أكبر دليل على ما نؤيده ونقوله في هذا التمهيد من الحقائق !! ولكي لا نخرج عن الموضوع الذي من شأنه لفت الأنظار إلى هذه الحقائق التاريخية وأبعادها نعمد مسرعين إلى الدخول في صلب موضوعنا .

إن ما يجب علينا هو أن يضع كل مسئول وكاتب ومؤرخ نصب عينيه أن المعركة التي شنها الاستعمار قديماً على ممالكنا واستهدف محو تراثنا وتشويه تاريخنا في أكثر بقعة في العالم شرقيه وغربيه، هي نفس المعركة التي نعيشها اليوم، وإذا كانت تلك المعارك وعلى اختلاف أشكالها وتباين أساليبها، قد ساعدها من قريب أو بعيد أولئك الذين اعتنقوا المبادىء الدخيلة على الإسلام أم كانوا من أعداء الدين الحنيف ودهاقنة الاستعمار والكفر، فإن الخطر الذي ينجم عن مكائدهم أمر لا بد من الإحاطة بأساليب نشاطهم فيه ولا بد من إدراك مدى فعالية هذه الأساليب مع تقدير النتائج المحتملة ووضع الخطط الناجعة لدرئه واتقاء شروره .

وإن أي جهد يبذل من أجل الإسلام، هو خدمة للانسانية نفسها وهي أحوج ما تكون إليه، وإن مئات الألوف من البشر الذين يؤمنون بالإسلام وملايين أخرى يدينون به ويشغلون حيزاً كبيراً من أرض الله الواسعة في الشرق الافريقي محتاجون - وقد أفلت شمس الحكومة الإسلامية العربية من آفاقهم - الى من يزيدهم علماً بالإسلام وتبصّراً به وهم من جانبهم مستعدون لأن يكونوا جنود هذا الدين وأنصاره المخلصين ولن يدخروا وسعاً في إعزازه وتأييده ومناصرة كل من يمد يده إليهم في سبيله .

وأجزم بالقول وعلى ضوء ما قمت به من دراسة للوضع والمجتمع الإسلامي في خلال سبع سنوات خلت كنت فيها مدرّساً في المدارس الحكومية الافريقية

والأوساط الشعبية أيضاً أن هـــذا الوقت وهذا الوقت بالذات لهو أنسب الأوقات للنهوض برسالة الإسلام في هذه الديار الافريقية ، وأن أي جهد يبذل لا يقـــل في قيمته عن جهاد الدفاع الحربي الذي قام به أبطـــال الإسلام ودعاته في العصور القديمة بالديار الافريقية الشرقية منها والغربية ، وأن أي جهد يبذل في هذه السبل لهو جهد عظيم يباركه الله ويثيب عليه أجزل مثوبة .

وإذا كان الإسلام بأصالة عقيدته جد قوي فالقيام به في أقطار افريقيـــا الشرقية يتطلب من العبء ما لا يطيقه فرد أو أفراد — ومما لا مشاحة ـ فيه أن جهد الأفراد أضعف من أن يحتمل النهوض بأمر خطير على الأعداء وعبء كبير على مخططات أطماعهم .

ولقد تمخضت عن أحداث وأحداث وكان نصيب الإسلام وأهله أن خضدت شوكتهم وشلت حركتهم بعد أن عصفت بتلك الأقطار عواصف هوجاء سياسية واقتصادية فلم تدع فيه ساكناً إلا حركته ولا أمراً قائماً للمسلمين إلا جرفته وذلك بما جندته وأعدته من فن وتمثيل وصحافة وإذاعة وما خططته من تعبئة الزارع والصانع والتاجر والمدني والعسكري والمحارب والطفل والشاب والكهل والشيخ حتى لم تدع أحداً في تلك الأقطار ذاتها يفكر إلا فيها ولا يشغل إلا بها ولا يعمل إلا لها حتى أصبحت المحرك الأول والأخير للقضاء على الإسلام وأهله .

ولم تتوقف يوماً ما كل هذه القوافل لحظة واحدة عن السير منذ أن أعلنت التعبئة بالقضاء على الحكم الإسلامي العربي وأهله وهي اليوم وقد دحرت رجال الحكم الإسلامي العربي وشطبت أسماء وجودهم هي أشد ضراوة منها بالأمس .

فالمسيحية ومذاهبها المتعددة .

واليهودية وأطماعها البعيدة المدى .

والشيوعية الملحدة — والقاديانية الضالة — والبهائية — والماسونية ، كل هذه

في نمو مطـّرد وكلها تحارب الإسلام وأهله وقد سبقت من حيث العون المادي والمعنوي كل هذه « المسيحية » .

وحسبي قولاً :

إن كل دولة وهيئة تتخذ كل الوسائل الممكنة لها ـ لترويج أفكارها والدعاية لمذهبهـــا ـ فتنشىء المراكز وتقيم المدارس وتبني الكنائس وتشيد المصحات والعيادات وتستغل الطاقات الفكرية بالإذاعة والنشر والصحافة .

وها هي الجمعيات المسيحية العالمية بحكوماتهـا تنفق بسخاء وتعمل من غير كلل أو ملل .

والصهيونية العالمية تعطي من غير تردد وتدعو مستجلبة مستنفرة .

والشيوعية الملحدة تدفع من غير قيد ، والقاديانية المذبذبة تابعة بإنفاقهـــا سبيل أولئك ، وإنني أقولها بحق بغية الوصول الى نصرته ، نعم أقولها صريحة من واقع أقطار يعيش فيها قرابة عشرة ملايين مسلم ـ معظمهم بدائيون ـ إن دول الإسلام وعلماء الإسلام وقادته وحاملي مشاعله وفي شتى أقطـــار المعمورة لم يدركوا شيئاً بعد من هذه الحقائق إلا ما ندر مما يلاقيه الإسلام وما يخبّـأ ويخطط له في هذه الديار .

فهذه معالم الإسلام في افريقيا الشرقية تنمحي يوماً بعد يوم، حكومة إسلامية بعقيدتها ودستورها وعلمها شطبت تماماً من الخارطة، إنها زنجبار[1] والبقية الباقية من أهلها وبنيها كلما ازداد رشق المغرضين بسهامهم الى صلب عقيدتهم كلما انكمش أهله وانطووا على أنفسهم ـ فهـل قدّر المسلمون لهذا أي شيء ـ وماذا عملوا أو فعلوا لما مضى وانقضى .

لقد صارع الإسلام في الشرق الافريقي منذ قِدمه عدة جبهات، وكلما حملت له

---

(١) نتيجة لما أريد بها تدريجياً من الاستعمار منذ القرن التاسع عشر .

في طياتها من المخططات القاضية ما لا يقاس أثرها باتساع ميدانه وانتشار مجاله ، ولو أن الاستعمار وأعوانه والكفر وأشياعه قد عوّدونا على النزول في معركة سافرة مع الإسلام بالوسائل المكشوفة لهان الأمر على المسلمين المخلصين ، ولسهل دحرهم وردّ كيدهم على نحورهم لأن ميزة الإسلام هي الحجّة الدامغة والبرهان الساطع الذي لا يجحده العقل ولا ينكره المنطق السليم ، بل إن هذا من شأنه أن يحدد في أقرب وقت مصير أية معركة يدخل فيها الإسلام مع الاستعمار والكفر بعدته وبعدد أنصاره .

بيد أنّ الذي ألفناه من مكائد الاستعمار هو التجاؤه للخديعة وللمؤامرات الخاسئة واعتماده على الأساليب المضَلِّلة - ولهذا فإن دفاعنا عن حقوقنا وعن إسلامنا وعن ممالكنا قد يزداد تعقيداً لأننا لا نؤمن خديعته ومكره إلا بعد أن يسلبنا ما يشاء ويختار ، وإلا بعد أن نتقبل الجزاء — جزاء الغفلة راضين مقتنعين منها بأحلام الاستعداد بجولة أخرى هي والله حلقة من جولات لا يعلم مداها إلا وحده .

وأخيراً وليس بآخر إننا جميعاً مدعوون ومفتقرون في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي إلى تعزيز روح التضامن الإسلامي ، وتقوية أواصر الصلات والتعاون الأخوي بإخوة لنا في الدم والعقيدة لنصمد أمام أي تيارات من نوع جديد ، أو على منوال سير قديم تتآمر على سلامة الكيان الإسلامي المجيد والتي تعمل كادحة لتحديد نطاقه وإيقاف انتشاره بما ابتدعته من أساليب مضللة قد أصبح ويا للأسف بعض من يدعون الإسلام عمادها ودعامتها

وكلنا يعلم أن الحكم الإسلامي في الشرق الافريقي كان الى ما قبل ربع قرن مضى وما بعده بعدة سنين أميناً في سيره قوياً بعض الشيء في إرادته وبسطته ومضى موكبه تشفعه العيون الساهرة من أبنائه ويأبى الاستعمار إلا أن يحط من معنويته في نفوس أهله ومعتنقيه فانكشف أول ما انكشفت مؤامرة الاستعمار في تنصير الظهير البربري بافريقيا وسلب الحق الكامل للسيادة الاثيوبية الارترية

ثم جعل الحكام وبطانة التنفيذ للمسيحية علاوة على خطط من الدسائس التي تبدّت واضحة في المراحل الأخيرة وكان من شأنها أن أودت بالحكم العربي الإسلامي من جذوره وكان ما كان لهذه المؤامرات الشنعاء من صدى واسع النطاق في كل من الأوساط الإسلامية الأخرى في افريقيا بالذات وفي غيرها .

ومضت الأحداث بين مدّ وجزر ولم تكسب الشعوب ولا الحكام المعزولين أي نصر ، لماذا ؟

سؤال نترك جوابه لأحداث الزمن وعواديه ، أو باختصار :

أولاً – لأنها لم تلق من خارج ديارها من إخوانها المسلمين أي مؤازرة معنوية أو مادية .

ثانياً – الاستعمار نفسه الذي مهّد لذلك قد بذل كل جهوده في زيادة ضرب الخناق والحصار والدسّ والخديعة وشراء الضمائر أحياناً، وقد كانت أسباب الإخفاق ترجع على الغالب للبعد السياسي المشين في خطوات السير للحكام يومئذ.

وهكذا نفّذت خطوات الاستعمار ومخططاته الواحدة تلوَ الأخرى حتى تقلّص الحكم العربي الإسلامي من جذوره ولم يبق لبنيه البالغين قرابة ٧٠٪ من مجموع سكان الشرق الافريقي أي في كل من الدول الثلاث : تنزانيا – كينيا – يوغندا أي سلطة تُذكر أو مجد يخلد .

المؤلف

م. ا. الحداد

حقائق تاريخية عن العرب والاسلام
في الشرق الافريقي

فترة الكشوف الجغرافية :

إن لإفريقيا تاريخاً طويلاً قبل فترة الكشوف الجغرافية –ويتّسم هذا التاريخ بقيام حضارات وظهور ممالك وإمارات عديدة ، ولقد تناول مؤلفون عديدون هذه النقطة بالذات وأوضحوها ونشروا أجزاء كثيرة من حقائق هذا التاريخ ومعالم هذه الحضارات .

وكان هذا في معرض الدفاع ودحض كثير من الأكاذيب والخرافات التي روّجها الأوربيون – من أن افريقيا ليس لها تاريخ قبل وصول الرجل الأبيض وبدء الاستعمار الحديث – وأن افريقيا لم تمنح التطور الحضاري العالمي شيئاً من ذاتها ومن ابتكارها – وقد تصدى لمعارضة هذه الأفكار وتباين ما فيها من أخطاء جملة من المؤلفين فبيّنوا ما تهدف إليه من أغراض سياسية أو عنصرية .. وأولهم : الدكتور « دي جرافت جونسون » وهو عالم افريقي من غانا فقدّم من الأسانيد التاريخية منذ قدماء المصريين في حوض النيل –ثم الإغريق والفينيقيين– والرومان – ثم العرب سواء كان في الشمال من افريقيا حتى منابع النيل ، أم في الساحل الشرقي لإفريقيا حتى الساحل الغربي للقارة .

وكثير من المراجع الموثوق بها في تاريخ افريقيا تبدأ من حضارة قدماء المصريين وتروي تاريخ غرب افريقيا وشرقها خاصة بعد أن دخل الإسلام القارة واستوطنتها القبائل العربية – والمتوافر لدينا من المعلومات قديماً وحديثاً تدل على أن مجموعة عربية قد أقامت مدناً وشيّدت حضارة في الشرق الافريقي توالت الأعصر فطمست أكثر معالمها حتى لم يبق منها إلا بعض ما توافرت عليه نصوص الحفريات حديثاً مما سنبيّنه في تضاعيف هذا الحديث وما سيتبعه إن شاء الله .

العرب في الشرق الافريقي قبل الاسلام

لقد كانت مناطق الشرق الإفريقي معروفة للعرب قبل الإسلام وقبـل أن يعرفها الغرب بعدّة قرون. وقد أثبت ذلك أكثر من مُنصف غربي، ومن أولئك الكاتب الانكليزي المشهور «ستانلي» في قوله الغريب: إننا الآن نكتشف ما كان معلوماً عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم وما حفظ في آثارهم التي توارثها الخلف عن السلف حتى اتصلت بجغرافيي العرب في زمانهم — ثم عفت آثارهـا وطمست أخبارها فكشفناها في زماننا .. أجل لقد عرف العرب افريقيا قبل الإسلام ومن لدن عدة قرون خلت — عرفوها قبله بخمسة قرون وقد قال المؤرخ الكبير «بطليموس»: إن العرب في النصف الثاني من القرن الأول للمسيح كانوا قد بدأوا يتجرون مع شرقي افريقيـا، ويصلون بقوافل تجارتهم إلى حدود (الموزنبيق). وقال في موضوع سياق طويل: إن ازدهار التجارة العربية قد ازداد بعد ظهور الاسلام في شرقي افريقيـا ازدياداً عظيماً حتى انقلبت في نحو القرن الثامن للمسيح استعماراً حقيقياً، وتأسست في نحو القرن العاشر «مقديشو وبراوا» وفي سنة ٩٧٥م جاء الفرس من شيراز وأسسوا «كلوأ» وتوغلوا في السواحل الى روديسيا طالبين الذهب وانتشروا على طول الساحـل الشرقي، ووصلوا الى مقديشو — وبراوا — وماليندي — وتونغوني — وزنجبار — وبيمبا — ومافيا — وغيرها، وقد وجدت إمارات فارسية صغيرة بين الامارات العربية.

ولما ورد البرتغاليون تلك الجهات في مطلع القرن الخامس عشر وجدوا فيها المدنية الإسلامية مؤسسة مؤثلة . ولم يقتصر هؤلاء العرب والفرس على التجارة في أعمالهم هناك بل اشتغلوا بالزراعة وعلموا غيرهم وغرسوا عدداً لا يحصى من أشجار جزيرة العرب وفارس؛ منها الرمان والاترج وقصب السكر وأدخلوا زراعة القطن والسمسم الهندي والبهارات الهندية والأرز وأتوا بكثير من حيوانات بلدانهم ، ولقد كانت (كلوأ) في تنجنيقا ، و (غيده) في كينيا أكبر مدن شرقي افريقيا قديماً الآهلة بالسكان والأكثر ازدهاراً وازدحاماً بالعرب . وبقيت المدنية العربية الإسلامية قروناً طويلة محصورة في شواطىء السواحل ، لكنها في القرن التاسع عشر أدخلها العرب الأمجاد من أهل عمان الى الداخل .

حفريات تكشف حضارة عربية إسلامية

ولقد تمت بعض الحفريات وكان آخرهـا في عام ١٩٥٩م ولم تنته بعد على الساحل الشمالي لإفريقيا والذي يمتد من الساحل الجنوبي لمدينة ممباسا ، كشفت الحفريات وبالذات في المدينة العربية القديمة (غيده) فوجدت بعض المنشآت الإسلامية من بينها منازل مستطيلة من الحجارة تدور حول حصن ترتفع جدرانه لارتفاع ١٦ قدماً ، كما وجدت محكمة شرعية بها عدة دواوين وبقربهـا المساجد وآبارها كما وجدت بعض الكتابات بالخط الكوفي وكذا مؤن خزفيـة من صنع عربي ، والمدلول التاريخي الذي يرجع تاريخه الى ٨٠٢هـ هو ضريح خارج السور لهذه المدينة وقد دلت المباحث من أن بناءها قد أعيد في القرن الخامس عشر الميلادي بالرغم من أن بعض الأسوار والآبار يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر الميلادي ومما يلفت النظر هو أنه ليس هناك أية دلائـل أو تعريض في قرارات البرتغاليين المحتلين تدلنا على غيده – أو عمرانها – والمحتمل أنهـا كانت إبان احتلالهم لماليندي وجعلها مركزاً لهم في غضون ١٥١٢م و١٥٩٣م أطلالاً .

وكشفت الحفريات في Sangeyakata جنوبي مدينة (كلوأ) بتنجنيقا وعلى بعد ٦٠ كيلومتراً من هذه المستوطنة العربية القديمة برجاً مغطى من الحجر الرملي ، كما وجدت الحفريات في المدن المهجورة شمال شرقي الصومال ما يقرب من ٣٠٠ منزل وهيكل قديم ، ووجدوا أيضـاً في غرب كينيا وشمال وجنوب

تنجنيقا آثاراً زراعية وشبكة من الطرق وحفر للري والصرف وكل هذا يدل على آثار حضارة عربية تطورت في تلك المناطق ردحاً من الزمن حتى ضاعت مع الأيام وأصبح شأنها شأن الحضارات التي سادت ثم بادت .

ولقد حدثني العالم البحاثة «كوكنيت» مدير عام متاحف الآثار والتنقيبات بمباسا ـ كينيا ـ قائلاً : إن الحزام الساحلي ما زال يكتنف الكثير والكثير من الحضارة العربية الإسلامية، ويرجح في حديثه أن آثاراً عظيمة ستكتشفها البحوث في كل من القرى الإسلامية الساحلية ـ جنوبي خور ممباسا ـ وعلى أية حال فإنها اليوم وقد وجدت من يبحث عليها وينقب وراءها ليسجلها في سطور التاريخ لتدل دلالة قاطعة على أن أرض شرقي افريقيا قد دخلت من باب التاريخ العربي والإسلامي قبل وصول الاوروبيين إلى البلاد بقرون وقرون وستدخله مرة ثانية بفضل التضامن الإسلامي السائر في دربه ـ والتاريخ يعيد نفسه !

. . .

وقد تشممت القارة الافريقية بأسرها أريج الإسلام إبان اجتياح العرب شمال افريقيا وقرنها بحولين السكان المحليين إلى عقيدة الإسلام. ففي الشرق من القارة أنشأ العرب امبراطورية « زيلع » بين الأرض الحبشية العالية وبين البحر، وقد استمر نفوذهم للجنوب من هذا ـ في كينيا ـ وتنجنيقا ـ قائماً على الساحل الشرقي للمحيط الهندي وقفاً على الأرض في جوار الماء .

ويعتبر دخول الإسلام في افريقيا بأسرها أحد المنعطفات التاريخية الحاسمة في حياة القارة على حد قول مؤلف كتاب « تاريخ استعمار افريقيا » السير « هاري جنتسون » فقد تغير تاريخها واتخذت ملامحها شكلاً جديداً لم يكن كأي شيء حدث من ذي قبل ـ كل ذلك لأن العرب وبفضل عقيدة التساوي في لإسلام لم يؤمنوا يوماً ما بنظرية تفوق الأجناس ووجود جنس نقي ـ بل تزاوجوا واختلطوا بجميع الشعوب والقبائل الافريقية .

وفي يومنا هذا نجد آثار الاختلاط والتزاوج والتداخل ظاهر في السمات والقسمات ـ واضح في أكثر القبائل الافريقية ـ ففي المنطقة الشرقية الواسعة وعلى امتداد الساحل الشرقي لبحر المحيط الهندي تعيش عدة قبائل مسلمة مزدوجة افريقية وعربية أهمها مجموعة قبائل « الوديقو Wadegu » والتي تمتد رقعة أراضيها ألفاً ونيف كيلومتر مربع وكلها أرض خصبة جبلاً وسهلاً ـ تتلوها من حيث العدد قبيلة الاثنعشر طائفة ـ السواحلية ـ ثم قبيلة « الباجون Bajun » وهكذا دواليك ـ ناهيك بالألوف المؤلفة ذات الازدواج المثلث ـ الافريقي ـ العربي ـ الشيرازي في كل من زنجبار ـ بيمبا ـ دار السلام ـ وعلى الرغم من كل هـــذا فالمؤسف جداً أن الكثير من كتاب الاستعمار للتاريخ الافريقي ـ قديماً وحديثاً ـ قد حاولوا وبكل أساليبهم الملتوية إخفاء هذه الظاهرة فشوهوا ما ائتمنوا عليه من الحرص على معالم ذمة التاريخ .

وهب كل كاتب منهم يستفرغ في قالبه التاريخي كل ما تحتمله طاقة اهدبه من الحقد والكراهية تنديـداً وتشنيعاً بالإسلام وأهله، فلم يُظهروا العربي تجاه النظر الافريقي القديم أو الحديث إلا بمظهر المستورد والمصدر « للرقيق » وقد أحدثت هذه الغمزات التاريخية واقعاً مراً وسببت الكثير والكثير من الإحراج والشعور بالكربة عند العربي والإفريقي على حد سواء، بالإضافة الى خلقها عقدة نفسية عند الافريقي تجاه العربي .

والحقيقة التي لا مناص لأحد من التملص منها هو أن كلا الجنسين قـد مرت بها فترات أحداث وأحداث لا داعي لذكرهـا ـ لولا أن الاستعمار والكتاب الحاقدون على الإسلام وأهله كانوا وما زالوا يغذون هذه اللمسة أو الغمزة التاريخية ويثيرونها في مؤلفاتهم العديدة كلما لاح لهم تقارب الافريقي ـ العربي، وبين يدي الآن مجموعة من الكتب التي أسهبت وأطنبت في تلك الغمزة التاريخية ، غير أني سأترك الخوض نحوها والتصدي لها حتى حين آخر إن شاء الله .

لِمَ ظلّ التمركز الإسلامي في الساحل الشرقي ؟

لقد كان الساحل الشرقي منذ أبعد العصور ، أبعد أمناً وأسرع نجدة، حيث لم تخلو موانىء شواطئه من السفن الشراعية العربيــة التي كانت فيما مضى تمخر عباب المحيط الهندي إلى الجزيرة العربية والخليج ، وعلى طول فصول السنة مهما كانت الرياح البحرية شمالاً أو جنوباً – وهو أيضاً كوسيلة علمية دقيقة للسفر والرحلة عن الطريق البري – ذلك لأن الأهوية والرياح تُعاون على قطع الطريق ، وبذلك ندرك أن انتشار الإسلام في الشرق الافريقي من القارة الافريقية كان مصدر بعثة من العرب الأوائل المهاجرين من الجزيرة العربية ومنطقة الخليج الذين وفدوه بسفنهم الشراعية ، وأولئك الأوائل هم الذين كوّنوا الامارات الإسلامية في شرقي افريقيا وصمدوا بعدها أجيالاً إزاء هجمات المسيحية والوثنيين والاستعمار.

مصدر انتشار الاسلام

غير أن انتشار الإسلام بصورة تثير الدهشة والاستغراب قـــد كان نتيجة للدور الخطر الذي لعبته الهيئات الإسلامية الوافدة من عدة جهـــات عربية وإسلامية ـ في السيطرة على توجيه الإسلام في شتى بقاع افريقيـا (الخضراء) والمرجح أن بـذرة النواة للدعوة القوية التي انتشرت في ربوع الشرق الافريقي إنما كانت من قبل الوافدين من جنوب الجزيرة العربية وبالذات ـ حضرموت ـ وذلك أن المذهب السائد في كل الطوائف التي تحدثنا عنها سابقاً وملايين غيرها هو المذهب الشافعي ، ومن العسير أن تعثر على شخص افريقي مسلم يقلد مذهباً إسلامياً غير المذهب الشافعي ـ بَلـَهْ هو ما ندر .

ونحن هنا حينما نعني بذكر المذهب لا نقصد به تعصباً لمذهب دون آخر ، وإنما نقصد أن اندلاع انتشار الإسلام وبالذات في الأقطار غير الإسلامية قد تأثرت بيئاتها بالدعاة المقلدين لمذهب ما ـ إذاً فالأمر هنا حتمي في منزع التقليد وهو هنا حجة ثابتـة لمصدر الانتشار والبث للاسلام في تلك الربوع النضرة !!

غير أن بعض المصادر الأجنبية تختلف في ذلك ـ وليس من الحق في شيء إذا صدقنا تلك المصادر الأجنبية التي لم نثق فيما تنقله أو ترويه ـ وبدهي أن الروايات الفردية المجردة المبتورة عن ملابساتها ـ لا يجوز ـ أن يفهم منها تاريخ

ولا أن ينتزع منها قضايا وأحكام ـ بل أقول هذا متحدياً أولئك الذين تصدوا لكتابة التاريخ عن دخول الإسلام في الشرق الافريقي ـ حيث يعزوه مرة إلى أشخاص وفدوا من الخليج الفارسي ـ قديماً ـ وأخرى يقولون بل من أشخاص وفدوا من الهند ـ والأمر الواقع هو أن الصواب قد أخطأهم ـ وإلا ماذا عسى أن يكتبوا للتاريخ ـ لو أن أحدهم ألقى قبل أن يكتب نظرة فحص وتدقيق ـ أو سبحة فكرة يستخرج من مظانه ما يجب أن يكتب للتاريخ وبالذات لافريقيا الشرقية لأن أكثره ـ أو معظمه ـ قد ألفى من الضياع ما لا يحدث لغيره ـ حتى أصبح مظنة لا يهتدي المؤرخ أو الكاتب لحقيقة ما عسى أن يكتبه عنه حتى يبني ما يكتبه على ضوء ملابسات مرت بها أحداث التطور والارتقاء لحد ذات التاريخ ـ لاتجاه ما يكتب للتاريخ الإسلامي في افريقيا الشرقية فحسب ، بل في كل مكان من موزنبيق ـ ومدغشقر ـ وجزر القمر ـ والكونغو بقسميه ـ فافريقيا الشمالية وما جاورها .

.. ثم ما ظنهم بتلك الجنود المجندة من لدن قرون خلت في كل من جزائر الشرق الأقصى في سيليبس ، وبرنيو ، وسومطرا ، وجاوا ، وملوكو ـ مفتاح الهند الصينية ؟ ماذا عسى أن يكتبوا لو تريثوا قليلاً قبل أن يخطوا شيئاً ، لأدركوا أن الإسلام إنما دخل في كل هذه الأقطار ـ بالحضرمي ـ ابن الجزيرة ـ الذي كان ولا يزال حلف أسفار وركاب أخطار وأبعد الناس منتوى وأقصاهم رحلة ـ هذا على حد ما كتبه أمير البيان شكيب أرسلان ـ في الجزء الثالث من حاضر العالم الإسلامي وقد كان ذلك شأن الحضارمة من قبل التاريخ ، حتى لقد ظن كثير من المؤرخين كالمؤرخ « جيمس هنري بريستد » أن سكان مصر القدماء ومؤسسي الحضارة فيها وبعض أهل افريقيا الشمالية انما جاءوا من تلك البلاد وما جاورها . ومن نظر في الفتوحات الإسلامية رأى أنهم كانوا في مقدمة النازحين إلى الفتوحات البعيدة عن بلادهم ، فكان سدس الجيش الذي فتح الاسكندرية من المهرة كما أنه قد دخل الأندلس كثير منهم . وقد كان الحضارمة

في أول عهدهم منعزلين عن العالم الإسلامي لمكان مذهبهم الشاذ إلا قليلاً منهم ، وكان لا بد للحضرمي من رحلة وسفر فكان أهل الجماعة منهم يرحلون إلى اليمن والعراق والشام ومصر، ومنهم آل التنعي الذين أوعبوا كلهم إلى البصرة، وكان الآخرون يرحلون إلى جهات إفريقيا الشمالية ، وبرقة ، وقابس ، وبودان منهم جمع غفير ، وكانت لهم قرية تسمى (بوصى) فلما أتحد المذهب في حضرموت وذهب الخلاف عادوا يرحلون إلى العالم الإسلامي، إلى الهند، وإفريقيا الشرقية، والجزائر ، الملايوية ، وجاوا ، وقد مرت بالعرب في الشرق الإفريقي أحداث قتال دامية كانت حامية بينهم وبين البرتغاليين ، وقد كان للعمانيين في تلك المنازلات القدح المعلى على الرغم من أن عملهم في إفريقيا الشرقية كان متأخراً عن عمل الحضارمة بنحو ثمانين عاماً .

وقد اثبتت المصادر التاريخية الغربية والشرقية أن العرب في ذلك العهد كانوا من الكثرة بمكان – وكانوا تجّاراً قلما يتعرضون للأمور السياسية – حتى اهاجهم البرتغاليون بعسفهم وظلمهم – وكان العرب على اتصال ببلادهم وأخبارها – وترد إليهم في سفنهم الأنباء بأفعال البرتغاليين في بحر العرب فكان ذلك مما يزيد في نقمتهم عليهم وتسبب عن ذلك قيام أهالي زنجبار عليهم سنة ١١١٠ فطردوهم منها وهاجت عليهم إفريقيا الشرقية وجزائر القمر واتصلت بينهم حروب زعزعوا بها مراكز البرتغال – والقول الصراح هنا أن العرب والشيرازيين لم يكونوا جميعاً دعاة دين فحسب بل كان فيهم من يهدف إلى ذلك وإلى غير ذلك ذهب آخرون – وقد اقاموا جميعاً منذ أقدم العصور مستأنسين بعديد من الدواعي والبواعث الدافعة إلى الاستقرار فالاطمئنان .

والذي لا شك فيه أن دور العرب في نشر الإسلام لا في شرقي القارة فحسب بل في القارة بأسرها لم يلق عليه الضوء الكافي في حياتنا بعد، ولعل سائلاً يسأل– ولم التنقيب عن هذا الدور الآن ؟

والجواب على حد قول مؤلف كتاب – انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي

الصحراء الكبرى - الدكتور حسن ابراهيم حسن - « إنه لا يمكن فهم إفريقيا دون معرفة هذا الدور » ولا يمكن أن نقف بعيداً عن هذه القارة لأن معنى هذا أننا لا نريد فهم أنفسنا - ومعناه أيضاً أنا لا نطيق النظر داخل أنفسنا - ومن هنا تظل نظراتنا دائماً سطحية - ومغرورة وبعيدة عن القاع والجوهر وعن الطموح في الوقت نفسه .

فمعرفة دخول الإسلام وانتشاره ثمة مفتاح ضروري لمعرفة هذه القارة - لأنه أي الإسلام الشيء الوحيد الذي لا يظهر كخيط أو خيطين في النسيج وإنما يظهر في النسيج كله .

وليس معنى هذا انا نذهب مذهب (ت - س - اليوت) في اعتباره الثقافة الوجه الثاني للدين - ولكننا نذهب إلى أبعد من هذا - وفي أذهاننا أن شعوب هذه المنطقة من العالم لم تكن لها فلسفات ووجهات نظر محدودة كما كان الحال عند اليونان أو الإغريق مثلاً - وأنها حين اعتنقت الإسلام لم تنظر إليه فقط على أنه مجرد نور يخطف العينين إلى السماء - وإنما نظرت إليه وقد ساعدتها طبيعة الإسلام نفسه على أنه الشيء الكلي الذي ينتظم الحياة - ومن هنا نظروا إليه مرة أخرى على أنه (الفخر الوحيد) الذي يملأ حياتهم والذي لا يحكم عليهم بالقهر والسلبية أو يقف وحيداً منزوياً عن كل ما يمشي أدق شؤونهم !

... ومهما يكن من شيء فالإسلام إذا كان في بعض الدول قد وجد حضارات وفلسفات فإنه في بعض الدول الإفريقية قد وجد ذراعين مفتوحتين لكل نبضة فيه ، ومن هنا كان الإسلام في الشرق الإفريقي هو وجهة النظر الوحيدة في الحياة والذي يطل من روع المسلم ومن عينه على كل شيء حوله !!

وقد شهد له بعض اعدائه من كتاب الغرب عن إفريقيا (والفضل ما شهدت له الأعداء) فقالوا عنه : إن الإسلام دين طموح لا يقبل مشاركة من العقائد أو الفلسفات السابقة له - كما قالوا أيضاً - مفسرين عملية مضاعفة نفسه في هذا

القرن وما قبله : ـ إنه دين إفريقي ـ أو صالح للإفريقيين ـ ويقولون أشياء كثيرة ، ولكنهم ينسون أو يتجاهلون أنه دين يفهم الإنسان ويستطيع أن يدير كل حركاته دون أن يصيبه بالشلل أو العقم، وأن من مقوماته الرئيسية أن يترك باباً للحرية يستطيع منه الإنسان أن يمارس قدراته السوية دون أن يحس بالضغط أو أن يعرقله أو يصادره ، ومرة ثانية نسجل لذمّة التاريخ أن انتشار الإسلام قديماً وحديثاً في إفريقيا الشرقية وإلى حوض نهر الكونغو في المنطقة الاستوائية من القارة الإفريقية إنما يرجع فضله إلى عرب الساحل المهاجرين من الجزيرة العربية .

المنطقة الاستوائية

وقد كانت المنطقة الاستوائية معروفة للعرب قبل أن يعرفها الغرب، ومعلوم أن الذي اكتشفها للغرب هو الرحالة المشهور (هنري استانلي) بعد أن ظلت مجهولة زمناً طويلاً ، إذ لم يعرفها الغربيون إلا في القرن التاسع عشر عندما نشطت الرحلات الاستكشافية ، والتبشيرية ، التي انتهت بتنافس الدول على استعمارها . وقد نبه الدول إليها «هنري استانلي» وهو الذي مكّن البلجيكيين منها وحل بها البلجيك يعيثون فيها فساداً ويستنزفون خيراتها سلباً ونهباً كما عملوا جاهدين على طمس معالم التاريخ العربي الإسلامي لهذه البلاد وكما هي عادتهم في كل بلد يستولون عليه وما ذلك إلا ليصنعوا هم تاريخها وينسبون الفضل في تقدمها إليهم !!

والظاهرة التي لا بد أن تقال ، هي أننا نغفل عن الدور الذي يمكن أن يقوم به الإسلام في إفريقيا المعاصرة، وأننا لا نسند هذا الدور بإلقاء الضوء على الدور القديم الذي قام به الإسلام من قبل في هذه القارة ، والذي قام على أسس المساواة ، وبعث القدرات والإيمان بالإنسان وهي تلك الأسس التي ما زال يعرقل خطاها الرجل الأبيض في إفريقيا حتى يومنا هذا !

ولقد اهتم الكثير من كتّاب الغرب بهذا الدور ، ويعتبر في مقدمة الذين

بذلوا الجهد في هذا المجال الكاتب الغربي « سبنسر تريمنجهام » الذى قدم ثلاثة مؤلفات مهمة لم تترجم بعد ، وهي : (الإسلام في السودان) ، الإسلام في أثيوبيا) (الإسلام في غرب إفريقيا) .

والحقائق الجديدة التي يجب أن تعرف بحيث يشعر المسلم بامتداد جديد في نفسه وبأن حدوده الثقافية لا تقف عند حدوده السياسية وإنما تتخطاها وتتجاوزها في عمق وفهم وحيوية،هذه الحقائق هي وجود أكثر من عشرين دولة إفريقية إسلامية وعربية في إفريقيا القارة .

وهل العالم العربي إلا جزءاً من إفريقيا ؟!

فالمؤرخ « جون جنتر » في كتابه (داخل إفريقيا) يرى أن الأرقام تثبت علاقة أكبر وأعمق مما تجري به ألسنة السياسيين والمثقفين، وهو يرى أن الأرض العربية تقع في العالم القديم ما بين المنطقة والمنطقة المدارية .

وإذا أمكن تحديدها من الشرق للغرب أو ما بين إيران إلى المحيط الأطلسي، فإنه من الصعب تحديدها من الجنوب في قسميها الافريقي، لانبساط الصحراوات فيه وتداخل العرب والمستعربين مع قبائل زنجيه .

ومساحة هذا الوطن العربي لو تجمعت في دولة واحدة لكانت الثالثة في العالم من حيث الامتداد بعد الاتحاد السوفيتي ، وتكون السابعة في العالم من حيث عدد المواطنين .

وجملة مساحة العالم العربي تقاس $\frac{١}{٤}$ ١١ مليون متر مربع : ٢٨ ٪ في آسيا و٧٢ ٪ منها في إفريقيا . وتبلغ مساحة الجزء الآسيوي : ٣,١٣٩,٣٤٠ كم^{٢} ، والجزء الإفريقي : ٨,٠٤٩,٥٥٢ كم .

ويعمر الأرض العربية أكثر من مائة مليون نسمة ، ثلثهم في آسيا والباقي في إفريقيا .. وهكذا فإن إفريقيا هي الأرض العربية الرئيسية من حيث الامتداد ومن حيث عدد السكان ..

والقول إن إفريقيا الحديثة هي ما صنعه المبشرون والمستعمر – قول غير حقيقي على حد قول الدكتور « دي جرافت جنسون » إن اندفاع أوربا نحو إفريقيا وآثار هذا الاندفاع فيما حملته من نظم واقتصاد رأسمالي، وخمور، وفساد، وسلاح، وبضائع، ومذاهب وأفكار، ما هو إلا حادث وقع، وسيكتب في تاريخ إفريقيا الطويل لمجرد العبرة .. وللعبرة فقط !

أما وجه إفريقيا الحقيقي النابع من التربه بشراً وفكراً، فهو ذلك الذي قدّمه الإسلام .. وها هي إفريقيا اليوم تتقدم به من غير تكلف أو تصنع، وقد كتب المؤرخون فيما نحن بصدده شيئاً كثيراً .. كتبوا الكثير المجدي حول التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في إفريقيا، وسوف يُكتب الأكثر عن الدين الإسلامي – كلما زادت الرؤيا وضوحاً حول إفريقيا القارة – وأنه قد أمدها بمشاعل الضوء في مختلف الشؤون أو كما يقول « Basil Davedson » إن حضارة إفريقيا التي ارتبطت بالعالم الخارجي (الإسلامي) حرّكتها عوامل إفريقية خلاقة خالصة من بدايتها كما تشهد بذلك ممالك السودان القديمة، ومدن الساحل الشرقي العظيمة، وأسوار (زيمبابوي) وأبراجها وهي حضارة تقرر انتصار شعوب غير معروفة قامت في داخل إفريقيا وحققت ذلك الانتصار، وكانت تمثل نمواً لا يختلف في أساسه وجوهره عن نمو أي مجتمع في أي مكان آخر من العالم ..

ويقتبس : Derek Kortun، ما ذكره Frobenius في كتابه الحضارة الإفريقية عن دهشة تجار القرون الوسطى الأوربيين عندما وجدوا بإفريقيا طرقاً معتنى بها مظللة لمسافات طويلة بصفين من الأشجار، ورأوا حقولاً مزدهرة ومدناً معمورة ودولاً منظمة وملوكاً أقوياء وحِرَفاً مزدهرة وصلت إلى حد كبير من المدنية، ولقد أسهمت هذه الحضارة الإسلامية بأفكارها وفنونها وآرائها في الحكم والفن في تراث الإنسانية المشترك ..

وقد قدّم الرئيس « أحمد سيكوتوري » دراسة واسعة النطاق – للحضارة

بإفريقيا الإسلامية ـ وسخر من الذين ينكرون حضارة إفريقية نبتت في ظل الإسلام وازدهرت بازدهاره .

.. ولولا شذرات أخر تردد عرضاً في تقارير الرحالة والمؤرخين والمكتشفين ومذكراتهم لظل أمر هذه القارة وبعض مناطقها بالذات مجهولاً لدينا نحن المسلمين ، مجهولاً لمن يريد أن يكتب عن ماضي تاريخه ، وجهلنا بماضينا التليد ماضينا المشرق أمر تلتاع له القلوب وترتاب له النهى .

فها هو الرحالة البلجيكي « فريتز فان ليندن » يستوفي في كتيب رحلته الشرح على الكنغو فيتناول في بعض لفتاته ذكر العرب ويشيد بتاريخهم الذي أهملته الأحداث فيما بينهم وطوته حيل المستعمرين ظلماً وعدواناً مما يجعلنا نعزف أو نترفع بالقلم عن التعرض لما كتبوه لا تفادياً منا لشيء ما وإنما لعلمنا أن التاريخ هو عبارة عن مجموعة من الوقائع تصاغ في بوتقة الحقائق ، لا سطور مجردة لا تحمل من الكتابة غير الكيل جزافاً بالأعاليل والأباطيل .

فقال في الصفحة ٢٦١ في بحث عن تداول الأهالي ـ للمسكوكات ـ أن أكثر الأهالي المستعربين يعرفون النقود ، وان تجار العرب من الكاسونغو (مقاطعة) وكبار التجار الذين لهم علاقات مع زنجبار يؤثرون الذهب لا سيما الليرة الاسترلينية لأن علاقاتهم متصلة مع عرب الأوغنده ، والمستعمرات الألمانية في شرقي إفريقيا . ثم استطرد قائلاً : إن العنصر العربي لا يزال عظيماً في جهات كاسونغو القديمة ، لكن مجده الماضي قد زال والمراكز التي كانت (لموني محره) وسعيد بن عبدلي قد ذهبت !

ثم ذكر مدينة ـ نيانقوا ـ فنقل عن قائم المقام السويدي « غليروب » قوله في سنة ١٨٨٦ م ان نيانقوا ، هي مقر العرب الأصلي وهي مقسومة إلى قسمين يفصل بينهما واد عميق تكثر فيه مزارع الارز ، فإذا بلغ ارتفاع نهر الكونغو معظمه طمت المياه على هذا الوادي ، وقد ازدادت هذه المدينة من عهد (استانلي) ازدياداً عظيماً فأهلها اليوم يبلغون نحو عشرة آلاف ، وترى

على جانبي الوادي أفخر المزارع والمغارس وجميع الأشجار المثمرة المجلوبة من إفريقيا الشرقية ، كذلك العرب أدخلوا فيها المواشي والحمير الفارهة للركوب » .

وقال الرحالة البلجيكي: أما اليوم فقد نزلت نيانقوا عن درجتها هذه بسبب ثورة ١٨٩٣م ولم يبق فيها إلا ألف رجل وتحولت تلك المخارف البديعة التي كانت مصطفة بها الأشجار على ضفتي النهر إلى شعاب سطا عليها العوسج والشوك ولم يبق في نيانقوا منزل يستحق الذكر سوى بيت هذا الزعيم العربي الذي بقي أميناً للحكومة البلجيكية وحظي بمقابلة الملك في قصر « بروكسل » .

ثم في الصفحة ٢٧٤ من الكتاب ذكر المؤلف نهراً يتشعب من الكونغو وقال إن الأهالي هم من العرب والمستعربين والطرأ من أماكن بعيدة ووصف العرب بالنظافة والاتقان في العمل. وفي صفحة ٢٩٠ ذكر قرية مستعربة مدحها بنظافتها وبيّن الفرق العظيم بينها وبين القرى الأخرى التي يسكنها غير المستعربين ، وشاهد فيها سوقاً مهمة تقام كل يوم من الصبح إلى نحو الظهر في ساحة القرية ووصف الدكاكين التي فيها معروضة أمامها أصناف البضائع وحوانيت الخياطين، وباعة الخزف والخوص وغير ذلك . وقال إن المستعربين رحبوا بهم ترحيباً واستضافوهم إلى منازلهم فعاجوا على معلم كتاب – بضم الكاف – أمامه جماعة من الصبيان يعلمهم القرآن الكريم !

وذكر أن سكان هذه القرية المستعربة يبلغ عددهم ألفي رجل ، وقال انه سأل المسيو (دومولستر) المندوب العام في الكونغو عن عدد المستعربيين في الولاية الشرقية من الكونغو ، فقال له : لا أقدر أن أجزم بشيء، ولكنني أظن أنهم نحو مائتي ألف !

فقال له : أفلا تراهم خطراً دائماً على المستعمرة ؟

فأجابه : كلا . لأنهم متفرقون ولأننا نحن نملك القوة اللازمة لقمع كل ثورة . ثم قال : طالما اتهم هؤلاء العرب والمستعربون تهماً باطلة ، فلا أنكر أنه

يجب علينا مراقبتهم وإجبارهم على طاعة القوانين ، ولكن مما لا أنكره أيضاً أنهم عنصر جيد في البلاد لأنهم قوامون على الزراعة ، مدنيون بطبعهم وعندهم ميل إلى الجنس الأبيض ونحن كل سنة نشتري منهم في جهات – ستانليفيل – وبونتيارفيل – ولوكاندو – وكيروندو – مقداراً مهماً من الأرز .

أما الباحث الكبير « بريمنجهام » فقد عني عناية كبيرة بالبحوث والتحقيق عن أثر الأسلام في إفريقيا وآخر ما كتبه في ذلك كتاب :

The infidence of Islam Upon Afriea

ومن قوله : كانت الجماعة الأفريقية تؤسس حياتها على أساسين : القبيلة ، والأرض التي تعيش عليها .

وكانت العصبية القبلية على أشدها .. فلما جاء الإسلام غيّر هذين الأساسين، فحلّت الأخوة في الإسلام محل العصبية القبليـة ، وارتبط الإفريقي بالمسلمين جميعاً بعد أن كان رباطه محدوداً بأفراد قبيلته وذلك طبقاً للآية الكريمة : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ،وساعد على ذلك ما خلقه الإسلام من ظروف تؤكد هـذه الأخوة فالمسلمون جميعاً يحتفلون بعيد واحد ، ويعبدون إلهاً واحداً في اتجـاه وحدوي ويتخذون يوم الجمعة عطلة لهم وشهر رمضان صوماً ، كما يتبعون نوعاً واحداً من التشريع وكانت من قبل أعيادهم مختلفة وشرائعهم متباينة ، واتجـه نظام الأخوة في الإسلام إلى إفساح المجال لأساس أوسع نطاقاً ، وبعبارة أخرى إلى اندماج القبائل بعضها في بعض لتصير أمماً،وبازدياد النشاط والمعرفة أصبحت الأمم إمبراطوريات .

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن الإسلام بعد أن دخل الساحل بالعرب المهاجرين تسرب متئداً وزاحفاً إلى كل المناطق النائية .

العالم العربي في إفريقيا

.. لم تظهر الدعوة الإسلامية واضحة مشرقة في المناطق الاستوائية بالذات إلا في القرن التاسع عشر عندما قامت الحركات التحررية التي قاومت المستعمر – والتي بدأها ثلاثة من عظماء الرجال المؤمنين : (١) الزبير باشا : في حوض النيل الأعلى من سنة ١٨٥٦ إلى سنة ١٨٧٥ ، (٢) رابح بن فضل: في حوض تشاد من سنة ١٨٧٧ – ١٩٠٠ ، (٣) الحاج عمر تال الذي كوّن جيشاً من مسلمي غابون من بلاد الكونغو – وظل يحارب الوثنين والأعداء وينشر دعوة الإسلام حتى توفي سنة ١٨٦٥ م .

وقد كان الفضل الأكبر في إنشاء مراكز إسلامية في الكونغو بل وفي تأسيس دولة فيها – يعود للمجاهد العربي التي نزحت قبيلته من الجزيرة العربية واستوطنت شرقي إفريقيا – هذا المجاهد هو – حامد محمود – الملقب تيبوتيب – ولد هذا المجاهد في جزيرة زنجبار حوالي ١٨٣٣ – واحترف التجارة كأبيه وغامر بالتوغل داخل القارة واجتاز بقافلته حدود تنجنيقا ، ووصل نهر الكونغو ، وجعل ينشىء على ضفافه مراكز ومخازن للتجاره أهمها: ريباريبا – ونيانقوا – وكازنغوا – وأنشأ لها مزارع منظمة رتب لها العمال وحكم هذه المنطقة ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً .

وإلى هذا المجاهد يرجع الفضل في تمكين الرحالة المكتشفين من أداء مهمتهم ـ فساعد لفنجستون سنة ١٨٦٧ ورافق الرحالة كاميرون سنة ١٨٧٤م إلى ما وراء نهر الكونغو ـ وكانت له اليد الطولى في تمكين ستانلي من كشوفه العديدة وعثوره على لفنجستون المفقود ..

ولأن الحقد الدفين والكراهية الصليبية لابن الإسلام جعلت من « ستانلي » رجلا جحوداً فلم يعترف بهذا الفضل بل جعله يكشف عن إنائه مما جعله يصف « تيبو » بأقبح الصفات بعدما رشد منه كيف يسلك في الأنهر وأحراجها والسهول وأدغالها ـ فالتاريخ وحده ـ بل حتمية التاريخ وكفى ـ هي التي ستعترف بفضل هؤلاء العرب الذين ما فتئوا منذ فجر التاريخ حتى الحين وهم يتلقون الصفعات من أناس لؤماء حقودين

ثقالاً على الأعناق والأرض والهواء وشراً وإفساداً وسماً منقعا
فلا حملتهم بعد ذا اليوم أرضنا ولا شاهدت منهم أديماً مبقعا

وقد بدأ الغربيون يدقون على قلب القارة ـ من لدن أربعة قرون خلت وتكشفت أهداف مطامعهم واضحة جلية بعد أن تقاطر منهم سير المكتشفين والمبشرين ـ وما ذلك إلا بغية هدم أركان القوة العربية في تلك الديار حتى لا يبقى لهم معارض ولا منازع في استعمارها واستغلالها واستنزاف خيراتها ، ولأنهم أدركوا أن كل دولة عربية عزيزة على جوانب الاوقيانوس الهندي هي قذى في أعينهم وخطر وأي خطر على مصالحهم ، بل أدركوا أنه لا يمكن لهم أن يعلوا في تلك الديار إلا بسقوط العرب والمسلمين وبطمس تاريخهم ومعالم إسلامهم . فالبرتغاليون ـ حينما داروا حول رأس الرجاء الصالح ـ أدهشهم ما شاهدوه في شرق إفريقيا من مدن عامرة ذات حضارة ، وحكومات مستقرة ، وملاحين من العرب مزودين بالخرائط والأجهزة البحرية . وما كان ذلك ليرضي الغربيين الذين اشرأبت نفوسهم بالحقد الدفين على العرب دعاة الإسلام وأهله .. فبدأ أولئك يعدون عدتهم ويخططون كفاحهم لصراع كان لا بد من حدوثه بين

رجال الامارات العربية الاسلامية والحكام من المسلمين في شرقي القارة، والقوى الغازية الجديدة التي سرعان ما ضربت عهد النهضة الاسلامية ضربة قاصمة .

وكان هذا الصراع في نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر . غير أن البرتغاليين لم تثنهم الهزائم التي ألحقت بهم الكثير من الخسائر الفادحة في العدد والعدة فاستأنفوا الكرة لاستعادة نفوذهم مرة ثانية في أوائل القرن الثامن عشر . ولكن إمام عُمان سارع إلى إحباط المؤامرة وإلى طرد البرتغاليين تماماً من شرقي افريقيا في عام ١٧٣٠ م وهكذا ظل الشرقي الافريقي عصراً ذهبياً للإسلام وبخاصة في عهد الإمام سعيد من عام ١٨٤٠ إلى عام ١٨٥٦ ، فقد أسس مدينة زنجبار كعاصمة للحكم ، وحكم منها ولايته الافريقيــة وامتد نفوذه على الساحل وعلى طول مساحة تقدر بـ ١٦٠٠ كيلومتر ، كما امتد نفوذه إلى الداخل حتى وصل إلى حدود الكونغو ، وأوغندا ، وروديسيا . وكذا علا صيته حول البحيرات العظمى وأصبحت المدن والقرى المعمورة بالسكان العرب والمسلمين تغمر كينيا وأوغندا وتنجنيقا وبيمبا والأجزاء الشمالية المحاذية للصومال — وقد كانت كل هذه المناطق مسلمة بخليط من العرب والافريقيين المسلمين . وقد ظل الحكم في أولاده حتى تمت عملية تقسيم شرقي افريقيا .

.. وأصبحت كينيا من نصيب انجلترا بعد أن مهدت لذلك شركة افريقيا الشرقية والتي سجلت باسم Royal East Africau Co. وهي التي تولت السيطرة من القطاع الساحلي الممتد من ممباسا على ساحل المحيط الهندي حتى بحيرة فيكتوريا — أي كينيا الحالية .

وهكذا كانت النتيجة المرة التي أسفرت عنها أحقاد الغرب للعرب والمسلمين. فبعد أن صفا الزمن للسلطان سيف بن سلطان ، من الحروب والغزوات الطاحنة بينه وبين البرتغاليين وتوفرت همته كأسلافه على مكافحة هؤلاء الغزاة فأجلاهم عن ممباسا — وهي ثغر مهم من ثغور شرقي افريقيا مرت بها أحداث جسام ،

تطور الحكم فيها متنقلا بين العرب أولاً ، ثم تملكها البرتغاليون ، ثم سلطان مسقط ، ثم سلطان زنجبار وأخيراً عام ١٨٩٠ م استولى عليهـــا الانجليز الذين هدموا بنيان هذه المملكة العربية وورثوا أنقاضها ، وصارت ممباسا عاصمـــة لمستعمرة شرقي افريقيا . كما أصبحت زنجبار أيضاً تحت الحماية نفسها بالإضافـة إلى غيرها من الجزر والسواحل التي كان العمانيون قد استوطنوهـــا في الشرق الافريقي ، ولم يبق لسلطان زنجبار آنئذ سوي اسم السلطنة لا غير .

وقد كانت زنجبار مع جزيرة بيمبا ، ومافيا ، ولامو ، والسواحل الافريقية المقابلةلها مملكة عربية إسلامية أسسها أولئكالأوائل من ملوك عمان سنة١٨٥٦م القدم .. ووضعت الدول الاستعمارية أيديها عنوة على كل ذلك وتقاسمتها أنصبة ثلاثة سنأتي بها تفصيلا في موضع آخر . ولم يكن هذا التقسيم من باب الصدف فحسب بل حسبنا حقائق ثابتة حصلت قديماً وما زالت ماثلة ثابتة للعيان ... فمثلا : الكشوف الجغرافية الغربية للقارة بأسرها إنما كانت تعبيراً عن انطلاق الطاقة الأوربية التي سبق أن اختمرت ووصلت إلىحد النضوج ومن ثم أصبحت في حالة ضرورة حتمية تريد أن تنطلق من سجن البحر الأبيض المتوسط شمالي القارة والمحيط الاطلنطي غرباً إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً .. وقد تم لها كل ذلك على خير وجه .

إذاً ، فالكشوف الجغرافية والتي كانت بداية السيطرة الغربيـــة في تقسيم ممالك إفريقيا بأسرها قد حققت فوائد جمةلو لم يكن من ثمراتها إلا هذه العلاقات الدولية القائمة بين أوربا وإفريقيا لكفى ! علماً بأنها استهدفت بها أكثر من غرض كشف سترها ـ الكاتب الكبير « سردار بانيكار» في كتابه « آسيا والسيطرة الأوربية » .. وسعادة الكاتب المعروف « علال الفاسي » في كتابـــه « حماية اسبانيا في مراكش » نجمل أسبابها فيما يلي :

١ ـ تمثل الكشوف الجغرافيـة ظهور القوى البحرية ، دول غرب أوربا

وشاطىء الاطلنطي وملاقاتها للقوى البرية (دول ممالك المسلمين في افريقيـا وآسيا) وترتب على هذا التقابل على حد ايضاحات الدكتور عبد الملك عوده في كتابه : « الحكم والسياسة في افريقيا» تغلب القوى البحرية وبدء انهيار القوى البرية بعد أن صمدت الأخيرة وتغلبت في الفترات السابقة وسارت وسيطرت على موازين القوى في العلاقات الدولية في العصر الوسيط ..

٢ – بالكشوف الجغرافية تمكنت أوروبا من الوصول إلى القارة الافريقية عن طريق جديد غير الطريقة التقليدية التي كانت تبدأ من الساحل الشمالي للقارة على البحر الأبيض المتوسط وتتجه جنوباً أو غرباً وتقف عند خط الاستواء ، وكانت وسيلتها في هذا الانتقال هي القوافل ودواب الحمل ، ولكن الطريق الجديد وصل إلى القارة عن طريق شواطئها غرباً وشرقاً مما مكن لأوروبا بعد ذلك الاتصال بمناطق منعزلة .

والمهم في كل ذلك أن دوافع الكشوف الجغرافية وأهدافها تتركز في ثلاث نقط رئيسية ارتبطت بها مجموعة من الأهداف الفرعية . وهذه النقط الرئيسية هي :

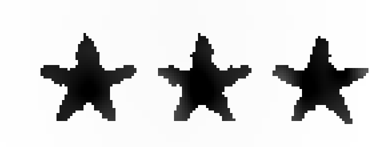
١ – شن الحرب ضد المسلمين وهزيمتهم في إفريقيا وآسيا ، وهذا تعبير عن الروح الصليبية العميقة ضد الإسلام والتي عبرت عنهـا الحروب الصليبية في العصور الوسطى ، وحروب الاستعادة التي آمنت بها اسبانيا والبرتغال بعـد طرد المسلمين من شبه جزيرة « ايبريا » .

٢ – نشر العقيدة المسيحية وهذا مرتبط بشقين :

الشق الأول : الواجب الديني على معتنقي المسيحية أن يوسعوا من دائرة إخوانهم في الدين وأن يبشروا به .

والشق الثاني : يأتي من أن فكرة الحرب ضد المسلمين قد تطورت لا إلى

ملاقاتهم وجهاً لوجه ، وإنما إلى تطويقهم ، ويتم هـذا بالوصول إلى الأراضي الواقعة خلف بلاد المسلمين ونشر المسيحية فيهـا وضمها تحت نفوذ البرتغـال واسبانيا ، ومن ثم ينحصر المسلمون في وسط المسيحيين ، من الأمام أوروبا، ومن الخلف افريقيا وآسيا .. وقد ساعد على فكرة التطويق ما ذاع في أوروبا ذلك الوقت من وجود مملكة مسيحية كبيرة في افريقيا وحاول البرتغاليون الوصول إليها ولكن العرب المسلمين خاضوا في ردعهم الأهوال وحاربوا ومات منهم من مـات ودارت عجلة الزمن لصالح المستعمر الغربي ، والاستعمار الغربي في شتى صوره وأشكاله ليس إلا حلقات متراصة ، لا يبدأون بالأولى منهـا حتى يرون أنهم قادرون لإتمام ما بعدها مهما كلفهم الثمن أو طال بهم مداه .



متى بدأ الغزو الأوروبي القارة
وما هي أغراضه؟ وكيف انتهى؟

وانتهت مرحلة البداية بدور المستكشفين الجغرافيين ومنها انبعثت خطوط المراسيم للغزو والمعاهدات حتى تطورت مع الأحداث وتكيفت بجريات الأمور فغدت هذه المعاهدات ركائز استغلال احتكاري للأرض ومن عليها، ثم تبلورت إلى استعمار احتلالي.

وهنا يحق لنا أن نتساءل، متى بدأ الغزو الأوروبي للقارة؟ ومـــا هي أغراضه؟ وكيف انتهى؟ والإجابة – هي أن لكل من هذه الأسئلة مواضيع طويلة الشرح ـ غير أننا ونحن نكتب عن حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في الشرق الإفريقي ـ الأمر الذي لا يتطلب أكثر من أن يُكتب ما يلامس هذا العنوان مباشرة – نلم إتماماً للفائدة لأنه إذا ما ندر ما في الأسفاط التاريخيـــة الغربية قصداً وعنوة فعلى الحقائق أن تبينه وتبثه معلومات تضاف إلى التاريخ نفسه.

وإذا كان الاستعمار قد انتهى ـ شأنه شأن كل شيء له نهاية – فإن التاريخ نفسه جوهر لا يستغني عنه الحالي بفضله فكيف بالمفتقر إليه.

وعليه فقد بدأ الغزو الأوروبي حينما أنشأ كل من البرتغال وفرنسا وألمانيا

وبريطانيا وهولندا وبلجيكا ـ الاستعمار تباعاً في القارة الافريقية ، فاستعمرت البرتغال أنغولا عام ١٤٨٢م وموزنبيق عام ١٥٠٥م وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر تم الحصول على مزيد من المراكز الأوربية في إفريقيا – فقد قام الفرنسيون في السنغال عام ١٦٣٧ م وفي رينيون سنة ١٦٤٣م وفي موريتيوس عام ١٧١٥م كما استوطن الهولندي الكاب عام ١٨٥٢م وفي خلال الخمس والستين السنة التالية وقعت جميع الأقطار الباقية تقريباً تحت السيطرة الأوروبية ، وقد عمدت بلجيكا ممثلة في شخص الملك « ليوبولد » إلى الاستيلاء على الكونغو عام ١٨٨٥ م ، وفي العام نفسه أقيمت إفريقيا الشرقية لألمانيا ، وهوجمت دول السودان سنة ١٨٨٩ م وزنجبار سنة ١٨٩٠ م ونياسلاند سنة ١٨٩١ م وأوغندا سنة ١٨٩٣ م وداهومي سنة ١٨٩٤ وكينيا سنة ١٨٩٥ م .

وكان غرض كل هذه الدول في استعمارها ـ الاستغلال الاقتصادي واستنزاف خيرات الشعوب ومواردها الطبيعية ، فقد كانت كل من اسبانيا والبرتغال في القديم تتندر كغيرها من الدول الأوربية الأخرى بالحديث عن الثروة الطائلة التي أدركها (ماركو بولو) سنة ١٢٥٦م و١٣٢٣ م بأسفاره إلى الشرق الأقصى ، ويروي الأستاذ « رمزي مايور » المدرس للتاريخ في جامعة مانشستر ، في كتابه « سر توسع أوربا الدولي » أن هناك سبباً آخر غير التحري عن الثروة – حمل كلاً من اسبانيا والبرتغال على التورط بهذه المغامرات بغية الوصول إلى أمريكا والهند ـ إذ لم تكن أمريكا يومئذ شيئاً مذكوراً . واستطرد قائلاً إن في عداد ما كان يسوق هاتين الدولتين اللتين كان تاريخهما في القرون الوسطى من أوله إلى آخره عبارة عن حروب صليبية ضد المغاربة هو حرصهم على فوز النصرانية وانتشارها ، ذلك لأنهما كانتا تتوقعان تحقيق الامبراطورية النصرانية التي نسج خيوطها خيال الكاتب الغربي المعروف « رستوجن » والتاريخ الغربي الحديث يعترف بالتقدير والفضل لكل من « ماركو بولو » و « كريستوف كولومبس » لأنهما كانا من الأوائل الأفذاذ الذين مهدوا الطريق لانتشال أوربا إلى

حال أحسن مما كانت عليه ، لأن اكتشافاتهم جاءت مشجعة لغيرهم من البحارة المغامرين ، وكان أشهرهم « فسبوس أمريك » الذي واصل رحلاته إلى هذا العالم الجديد حتى أطلق الناس عليه « أمريكا » نسبة له ، ثم عُدّ من جاء بعده وهو « فاسكو دا قاما » الذي بلـغ سنة ١٤٩٧ م المكان الذي سمي فيما بعد برأس الرجاء الصالح تيمناً بالنجاح – والمذكور من أكثر الرحالة المكتشفين حظـاً وتوفيقاً – وتلاه إلى إفريقيا الرحالة « كاميرون » و « لفنجستون » و «ستانلي» وغيرهم – وبعد أن سجل هؤلاء الرحالة والمكتشفين في مذكراتهم ما سجلوه ، بدأت العيون الطامعة تدق على قلب القارة بشدة وبدأ منذ أول يوم حل فيه القارة – إلى استغلال البشر أنفسهم – فقد كان الإنسان الافريقي في نظر الغازي المستعمر لا يعدو أن يكون سلعة اقتصادية رخيصة يستغلهـا كما يشاء ويمتص ماء الحياة من شرايينها بدون أدنى رادع إنساني – وقـد بدأ استغلال الانسان في افريقيا في صورة الرق – ثم تعداه إلى السخرة .

وقد أسفرت الأيام منذ السنوات الأولى لالتقاء أوربا وافريقيا بما كتبت عنه أكثر السطور وحشية في تاريخ الإنسانية – فقد جذب الاوربيين إلى افريقيا في أول الأمر ما ينهبونه من الحاصلات الزراعية كالفلفل وزيت النخيل ولحأ شجر الزيت ، ومن المواد كالذهب والنحـاس وسن الفيل ثم لم يلبث أن تحول التجار إلى قناصة عبيد لما تدره هذه التجارة من أرباح خيالية – نظراً لحاجـة أوربا وأمريكا في ذلك العهد إلى استخدام الأيدي الافريقية الزهيدة الثمن في إنشاء الطرق وزراعة الأرض الشاسعة والقيام بالأعمال الشاقة والخدمة في الاسطبلات والقصور ، حتى قال المؤرخ الكبير « جلبر نوفريار » إن الدور الذي قـام به العبد الافريقي في البرازيل لهو أخطر من الدور الذي قام به الأوربي المستعمر صاحب المزاعم الطولى في بناء الحضارة – وقـد رست السفن البرتغالية أول الأمر في منتصف القرن الخامس عشر على ساحل افريقيا الشرقية وجلبت في عودتها عينة من هذا الانسان المضطهد وسرعان ما سال لعاب أوربا على هـذه

السلعة الجديدة المتحدة . وفي سنة ١٤٤٤ م شرع البرتغاليون يستوردون العبيد من ساحل الذهب – غانا – وما كاد القرن السادس عشر يحل حتى كان العبيد في بعض مناطق البرتغال – أكثر من عدد البرتغاليين أنفسهم وبهذا صار الكشف الجغرافي سرقة .

ثم تحولت السرقة إلى استعباد عام !.

وفي ذلك يقول مؤلف كتاب « الصحو الافريقي » إن أوربا لا تنظر إلى إفريقيا إلا في ضوء منافعها الخاصة وما تمليه مصالحها فحسب ، لذلك استعبدت الافريقيين واستغلتهم أسوأ استغلال . واندفعت السفن من كل أنحاء أوربا سعياً وراء تلك التجارة البشعة .. ونشأت شركات خاصة تدرب النخاسين على عمليات قنص الافريقيين والاتجار بهم .. واشترك في هذه العمليات كافة الدول الأوربية تقريباً ، كالبرتغال ، واسبانيا ، وانجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، والسويد .. ثم احتكرت انجلترا هذا الفن من التجارة بمقتضى معاهدات « أوترخت » عام ١٧٨٣م وقد بهر الاوربيين الأرباح الخيالية التي تدرها هذه التجارة .. وكان تجار الرقيق – أو النخاسون – ينصبون شباكهم في أدغال الغابات ويوقعون فيها الزنوج الأبرياء على غفلة منهم ثم يسوقونهم بالسياط ، ويكبلونهم بالأغلال ، كما كانوا أحياناً يدمغونهم بالحديد المكوى ويشحنونهم في سفن مكتظة تعبر بهم الاطلنطي إلى أوربا وأمريكا . ولم تكن الكنيسة الأوربية تعترض على هذه التجارة السوداء بل كانت راضية بنصيبها من الأسلاب ..

واستمرت تجارة الرقيق قائمة على قدم وساق أكثر من أربعة قرون حتى حرّمت في القرن التاسع عشر .. ولا يمكن تقدير عدد ضحايا الرق خلال هذه القرون الطويلة . وقد قدر أحد المؤرخين البرتغاليين من واقع الوثائق الرسمية بخزائن الحكومة البرتغالية ، إن ما جلب من زنوج انغولا وحدها فيما بين سنتي ١٤٩٦م و ١٦٤١م بلغ حوالي ١،٣٨٩،٠٠٠ عبد – أي بمعدل تسعة آلاف كل

عام ، ووصل هذا الرقم إلى ٢٥ ألفاً في العام خلال القرن الثامن عشر ، ثم زاد إلى ثلاثين ألفاً في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر .

وقد بزت انجلترا ، البرتغال في تجارة الرقيق واعتمدت عليهـا اقتصادياً اعتماداً كبيراً وأنشأت لها مرفأ خاصاً. ولو سألت الأوربي اليوم ما هي الأسباب التي أنشيء من أجلها ميناء ليفربول ؟ لتوارى بوجهه كاشحاً منك ، أو قائلاً لك – إذا أدرك أنك عارف – : إن هذا كله كذب وافتراء .

ولكنه لا يستطيع أن ينكر ما سجله تاريخه الغربي .. فاللورد دارتموث – وزير المستعمرات الانجليزي عام ١٧٧٥م – اعترض على أي حركة تقف في سبيل تجارة الرقيق بقوله : إننا لا نستطيع أن نسمح للمستعمرات بأن تعترض سبيل أو تقص أطراف تجارة تعود على الأمة بمثل هذه المنافع .

وكانت ليفربول هي بورصة هـذه التجارة التي تعود على الأمة الانجليزية بالمنافع ، فقد احتكرت خمس التجارة البريطانية من العبيد .. وثلاثة أسباع التجارة العالمية كلها ، وقد قدر أنه بـين سنتي ١٦٨٠ و ١٧٨٠ م حملت سفن ليفربول وحدها مجموعة من الرقيق قدرها ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ زنجياً ، كما ثبت أنـه خلال إحدى عشرة سنة فيما بين عامي ١٧٨٣ و ١٧٩٣ م استخدمت ليفربول ٩٣١ سفينة في نقل ٣١٣٫٧٣٧ عبداً .. قيمتهم الإجمالية ١٥٫١٨٦٫٨٥٠ جنيهاً استرلينياً . ناهيك عن الأهوال البشعة التي كان يتعرض لها هؤلاء المظلومون في الرحلات البحرية .. ويقول « ويلبر فورس » – المصلح الاجتماعي في القرن التاسع عشر – إنه لا يمكن للعين أن تقع على شقاء أشد هولاً وتركيزاً ممـا تراه على مثل تلك البقعة الصغيرة .. « سفينة الرقيق » المسافرة إلى الدول الغربية .

وقد استمرت تجارة الرقيق قائمة كما قلنا سابقاً زهاء أربعة قرون جلبت فيها ملايين من العبيد الذين قاموا بتعمير أمريكا محور الحضارة الحديثة ، والتي ما

زالت تضطهد أحفادهم حتى هذا اليوم . ويقدر المؤرخ الزنجي ، البروفسور (دوبوا) عددالزنوج الذين وقعوا في أسر القناصة خلال هذه القرون بما لا يقل عن مائة مليون من إفريقيا ، وقد انتهت هذه المأساة رسمياً في بداية القرن التاسع عشر ورغم ذلك فقد بقيت بعض الدول الأوربية طيلة القرن التاسع عشر تتعاطى هذه التجارة في الخفاء حتى حرّمها مؤتمر برلين عام ١٨٨٥م تحريماً مطلقاً.

والواقع ان الأسباب التي دعت العالم الغربي إلى تحريم تجارة الرقيق ، لم تكن إنسانية بحتة وإنما ترجع في حقيقتها إلى دوافع اقتصادية أيضاً .. وفي ذلك نجد كتاب (تاريخ إفريقيا) تأليف « روند أوليفر » و « جون فيج ».. وكذلك كتاب « إفريقيا وصحوة الأسد » الكل يسجلون ما مفاده بقولهم : ولم يكن ذلك بدافع من حب البشر أو العدالة الذاتية .. وإنما لأسباب تجارية معقولة .. فطالما أن تجارة الرقيق سهلة ومربحة أكثر من أي تجارة إفريقية أخرى ،فيجب القضاء عليها دولياً قبل ظهور أية تجارة مشروعة بين إفريقيا وأوربا .

والاستعمار الأوروبي لم يرعو عن هذه التجارة، إلا بعد دخول النظام الرأسمالي في مرحلته الامبريالية ، وبعد أن آتت الثورة الصناعية والزراعية أكلها .. وتراكم رأس المال لديه في حوزته الحالية .. وأصبح الهدف الأول للاستعمار الجديد تصدير المصنوعات إلى الأسواق الإفريقية وجلب المواد الخام مقابلها.. وهكذا صار من الأربح على الاستعمار الابقاء على الافريقيين في عقر ديارهم لاستغلالهم من جديد في استهلاك منتجاته ، وقد اتخذ لهذه الغاية أشكالاً مباشرة وغير مباشرة، فقد كبّل الدول التي كانت تحت استعماره بالشركات الاحتكارية والمعاهدات الاقتصادية غير المتكافئة كما قيدها ببرامج المعونة المشروطة ، وقديماً عمل الاستعمار منذ أنهك إفريقيا على جعلها امتداداً اقتصادياً استغلالاً للدول الأوربية وربط ثرواتها بعجلة الرأسمال الغربي ربطاً لا انفصام فيه ، وهيأ جميع الظروف التي تجعل من اقتصاديات هذه القارة اقتصاديات تابعة ومكملة

لاقتصاديات الدول الغربية النائية ، وكأني به قد فرض على الشعوب الافريقية التخصص في إنتاج المواد الأولية اللازمة للصناعة والثروة الاوربية وقبض بإتقان على أزمّة التجارة الخارجية الافريقية بأسرها..واحتكر كافة المنشآت الصناعية والتعدينية والزراعية في داخل القارة .. إنما كان يقصد إيصال الاخطبـوط الاستعماري إلى كل خلايا القارة العذراء ، ليمتص الدماء عن شرايينها ويحولها إلى جيوب الرأسماليين الاوربيين والمساهمين في شركات الاستغلال الكبرى بأفريقيا اليوم .. وليس بدعاً كل هذا ، ثم ظهر إلى جانب كل ذلك أهمية أفريقيا السياسية والاستراتيجية البالغة بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم إلى معسكرين يتطاحنان في صراع (المثل) كما يدعيان ..

الغزو الاوروبي لسلاطين العرب بافريقيا الشرقية

... أما وقـــد استعرضنا في اختصار من القول الغزو الاوروبي لإفريقيا بصورة عامة وأغراضه فيها - حباً في اعطاء المعلومات - نلخص هنا بإيجاز غزوها لافريقيا الشرقية ابان كان الحكم فيها إسلامياً عربياً منذ أبعد العصور .. وسيرى القارىء في هذا الباب صراع العربي مع الغازي الاوربي ، كما سيرى كيف اندحر العربي المسلم من كل شيء حتى أصبح اليوم في افريقيا الشرقية بعد أن هيأ المستعمر كل شيء ضده .. أصبـح غريب الدار والأهـل ، أجنبياً بحتاً وكأن لم يكن بالأمس هو الذي قدّم نفسه ونفيسه ، دمه وماله ، لصد الغزو الاوربي !!

الغزو البرتغالي الاول

بدىء به من نهـــاية القرن الرابع عشر وامتد استعمارهم لكل من ممباسا ، وماليندي ، اللتان كانتا تابعتين لمستعمرات مسقط .. على أن البرتغاليين كانوا قد وضعوا حداً للدور الأول من مدنية العرب عندمـا احتلوا زنجبار عـــام ١٥٠٣م، و«براوا» عام ١٥٠٤ م ، و« كيلوا» عام ١٥٠٥م ..وممباسا ثغر الشرق الافريقي في العــام نفسه ، وكان مقصدهم بهذا الاحتلال تأسيس قواعد تجارية للبضائع التي تأتي من الهند ووضع اليد على معادن الذهب في (سوفالا) ، وبقي البرتغاليون هم الحكام في تلك السواحل إلى أواسط القرن السابع عشر إذ قاتلهم عرب عمان قتالاً شديداً .. بدأوا به في ساحل عمان نفسها سنة ١٧٥٠ م فلما أجلوهم من هناك هاجموهم في مستعمراتهم بالهند وفي شرق افريقيا وفتحوا بذلك زنجبار ، ومافيا ، وبيمبا ، وممباسا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ..

واستأنف البرتغاليون الكرة مرة ثانية طامحين لاستعادة نفوذهم ، ولكن إمام عمان سارع إلى احباط مؤامرتهم وطردهم تمامـاً من شرقي افريقيا بأسرها سنة ١٧٣٠ م .

الغزو الالماني

بدأ الغزو الالمـــاني نتيجة لترقي الالمان صناعياً واندفاعاً وراء الأطماع الاستثمارية الاستعمارية ، فألمانيا كأي دولة أوربية استعمارية قد شاقها مـا ولده جشع الدول الكبرى وما نشأ عن تقسيمات فرنسا وانكلترا في افريقيا بموجب عقد سنة ١٩٠٢ م ، فأخذت غيرة الأطماع الالمانية تتلمس لها المداخل في طريق الاستعمار .. وكنتيجة من أول شركة تجارية المانيـــة في افريقيا وهي شركة « وورمون ».. فلم يقتصر الالمان بمصالحهم منها على منافسة الانكليز والفرنسيين في غرب افريقيا ، بــل تبسطوا في الشرق منها .. واشترت شركة الاستعمار الالماني سنة ١٨٨٤ م أراضي واسعة في بلاد « ويتو » الواقعة بين ممباسا ولامو شمالي كينيا حالياً .. واتفقت مع سلطان ويتو – وكان عربياً – على أن يعترف بحمايتها للأراضي المذكورة ، فاحتج سلطان زنجبار على عمل سلطـان ويتو ، وزعم مدعياً انه لا يملك حق النزول للالمان عن شيء وبعث بحشود من جنوده إلى هاتيك الأرجاء لحفظ حقوقه السياسية عليها .. وكان سلطان زنجبار يدعي حق السلطنة على جميع البلاد الممتدة من «رأس» جنوبا إلى «وارشيخ» شمالاً والتي تمتد من بحر الشريط الحزامي الشرقي للمحيط الهندي حتى البحيرات الكبرى في داخل القارة !!

وبما ان الاستعمار وفي كل أشكاله ووجهات نظره وبالذات فيما يتعلق بنزع الحكم العربي وطمس المعالم الاسلامية فقد استغل الالمان ومنافسيهم الانكليز ثغرة هذا النزاع بين السلاطين العرب وذهبوا جميعاً يخططون السبل ويحيكون المؤامرات ويدبرون الحيل كما هو شأنهم للتقسيم أولاً ، ثم الاستيلاء وفرض الحماية ثانياً .. مستغلين كل ما لديهم من قوى مادية ومعنوية وفرضها رغبة ورهبة على طبيعة العربي الافريقي المسلم المغرر وقتئذ بطيب نوايا أولئـــك الغزاة الذين استغلوه قديماً ومزقوه بمعاهداتهم شرّ ممزق ، فنال الألمان من الانكليز وقتئذ الاعتراف بصحة عملهم المتقدم في اتفاق مؤرخ في ٣٠ مايو عـــام ١٨٨٥ ، وفي ٧ أغسطس من تلك السنة وفدت خمس بوارج حربية المانية وهددت سلطان زنجبار في عاصمته وقضت على الخلاف بعقد معاهـدة بين السلطان والحكومة الالمانية على أن تعفى من المكوس جميع البضائـع والمتاجر المشحونة إلى بـلاد الالمان .. وسلمت (فرضة) دار السلام على الساحل الافريقي لقمة سائغة للقوى الالمانية .. ثم تعينت لجنـــة ألمانية مختلطة بانكليز وفرنسيين لتحديد حدود الاستعمار الالماني في مستعمرته الجديدة .. وانتهى التحديد سنة ١٨٨٦ م على النحو التالي : خرج لنصيب سلطان زنجبار ، جزيرة زنجبار وبيمبا ، ولامو ، ومافيا ، وعشرة أميال بحرية من العرض على طول سيف البحر الممتد من مصب نهر المنيقاني « تانجي » جنوباً إلى كبيني شمالاً من بلاد كيسمايوه ، وابراروا ، ومركا ، وورشيخ – وهو ميناء حالياً من موانىء الجمهورية الصوماليـة .. كما خرج لنصيب سلطان « ويتو » الأراضي التي تمتد من « كبيني » شمالاً إلى الجنوب الشمالي للأراضي المسماة « ماندا » .. أما الحدود الألمانية فقد كانت من الجنوب نهر « روفوما » ، ومن الشمال خط يمتـــد من مصب نهر « فانجا » إلى بحيرة « جيب » .. ومن ثمة في الوسط أراضي « تافيتا » و « ديتشاجا » تابعاً المصب الشرقي من جبل « الكليمانجارو » حتى بحيرة فيكتوريا « ينانزا » .

وهكذا كان الغزو الألماني .. بدأ متاجراً مع العرب وانتهى معهم حرباً

واستعماراً . وقد استمرت هذه الأراضي تخضع للحكم الالماني حتى جاء دور الاستعمار البريطاني فتولت بريطانيا الانتداب على المستعمرة بعد الحرب العالمية الثانية بموجب صك من عصبة الأمم عام ١٩١٩ ، وبدهياً أن كل دور جديد يظهر على المسرح يطوي في لفائفه صفحات من تاريخ العرب والمسلمين وكأن لم يكن شيئاً ..

الغزو البريطاني وقيامه بفرض الامبراطورية على الشعوب الافريقية

وجاء الدور الأخير على غرار التصفية التي أهلكت الحرث والنسل ، وإثر الفترة التي طمأنتهم أحداثها من بوائق الزمن الدوار وجوائحه حتى خيل لهم أنهم قد كسبوا الزمن فاستمطرهم فيض خلوده ، جاء دور الغزو والاحتلال البريطاني ليستوعب بمقدراته مـا بقي للعرب والمسلمين من مجد أثيل عاشوا به في الشرق الافريقي أزماناً طويلة .

كان هذا الغزو نتيجة لوكالة شركة الامبراطورية البريطانية لافريقيا الشرقية والتي كانت تحت رئاسة « السير وليم ماكينن » الذي احتفظت بريطانيا بالوفاء له حياً وميتاً فأوجدت له نصباً تذكارياً رائعاً وما زال هذا التذكار يحتل مكانه في أحسن حديقة غنّاء من حدائق بلدية ممباسا ثغر الشرق الافريقي . وحينما أنشأ السير وليم ماكنن شركة للسفن البحرية البريطانية في عام١٨٧٢م وضع لها مخططاً محكماً فنظم مبدئياً الملاحة بين جزيرة زنجبار – والهند – وأوربا .

وبدهياً أن السلطات العليا للامبراطورية آنذاك كانت هي بمثابة الكل في الكل فهي التي تنقض وتبرم وهي التي كانت تخطط ثم تنفذ بالكمية التي تبتغيها والكيف الذي ترتأيه .

وقد سمح السلطان برغش – بحكم صلاحياته يومئذ – سمح بتسليم كل سلطاته مما ينطوي تحت حكمه في افريقيا الشرقية وبالتحديد من مشارف الساحل للمحيط الهندي الشرقي إلى حيث تنتهي حدوده وكانت آنذاك موغلة جداً في البر الافريقي لكينيا . وتقول بعض المصادر التاريخية انها كانت بمعدل ٤٥٠ كيلومتراً وتنتهي في البقعة التي ما زالت حتى يومنا هذا تسمى (بموقف سلطان حمود) وهو على مقربة من نيروبي عاصمة كينيا . مستثنياً هذا السماح مدينة زنجبار وكانت عاصمة الملك يومئذ . والغريب في التكتيك السياسي وبالذات الغربي أن بريطانيا يومها كما ـ تحدث السير وليم – قد رفضت حمل المسؤولية الكبرى لهذه الممتلكات،وأحسب أن ذلك الرفض لم يكن إلا مناورة استعمارية جديدة . فقد ظهرت على المسرح المانيا في جانب آخر من المملكة ويومها بدأت الأمور تشتد وتتأزم بين الحكومتين الغربيتين وعادت إلى الأذهان قصة الحمار حامل الاسفنج عندما تبع زميله حامل الملح وقد اعترضهما مجرى ماء فخرج هذا متخففاً وذاك موقراً .

والمؤسف جداً أن ما حصل بعد تقسيم المملكة بين الدولتين لم يجيء من قوة الغازيتين بقدر ما حصل من تكاسل الجهاز الحكومي ووهن عزيمة أتباعه من عرب وافريقيين على السواء – ونحن في هذه الحقائق لا نفرض أن يؤخذ كلامنا قضايا تاريخية مسلمة ولا أن تقبل كلمات غيرنا دون مناقشة وتدبر – فالبحث عن الحقائق ميسور شريطة التحري في المقصد والمطلب ، فالمؤرخ الصادق هو الذي يدرك الحق بالتاريخ ، أما أولئك الذين لا يعرفون للحق تاريخاً سوى أن تلقى إليهم كلمات صادرة عن سفط فلان الكبير أو فلان الحاكم فهم أبعد الناس عن فهم التاريخ بل هم آخر من يقدم للتاريخ أكاذيبه ويكفلون له مسخاً وتضليلاً .

ثم إنه من الخطأ الجسيم أن نحسب لأحداث التاريخ التي مرّت بها افريقيا

الشرقية قضية أشخاص من العرب كانوا سلاطين أو آخرين مسلمين دحروا عن حقوق وأملاك واسعة عن جور متعمد وعن تصرف سيء – كلا ، فقضية تصفية المجد الإسلامي هي التي تعنينا أولاً وآخراً !

ويمكننا هنا أن نتساءل في هذه الحقائق : هل سيترك امتداد الأيدي الخفية التي كانت امتداداً من ذلك العهد تلعب وتعبث بزمام ما بقي من مسحات عربية وإسلامية في كل من زنجبار ، ودار السلام ، وكينيا ؟

وهل من الضروري في منطق العصر الحديث أن يحمل الإسلام سنين طويلة أوزار قيادة واهنة مضت وانقضت وأُخرى حاقدة لا زالت تستر ضعفهـا بالاستبداد ونكوصها بالمكر السيء ؟

.. وكما أسلفنا عن ظهور المانيا وتدخلها في جانب آخر من المملكة وتأزم الأمور بينها وبين بريطانيا تصنعاً واختلاقاً ، مكراً وخديعة ، فقـد أسرعت المانيا بوضع معاهدات رسمية مع كبرى القبائل الافريقية وعلى حدة من مخططات بريطانيا . وتقول بعض المصادر التاريخية : ان المانيا قد استغلت صراع الفرقة فتمكنت من وضع مئتين من المعاهدات مع القبائل الافريقية النائية عن الساحل رامية بذلك تمكين استعمارها في الأراضي الافريقية بالذات ، وقد يتساءل المرء عن نوعية المجتمع الافريقي آنذاك فيعجب كيف استسلم في انصياع غريب لهـذه الألاعيب من التقسيمات وكأن تربته لم تحمل على ظهرها بشراً يدرك مغبة أمره !

غير أن كل هذا التساؤل يتلاشى حين ندرك أن الفرد في المجتمع الافريقي التقليدي يومئذ لم يكن يعتقد أنه جزء من آلة ، ولم تكن فكرته عن الحكومة أية حكومة قانونية بل شخصية وعندما كانت تذكر قبيلة الحكومة كان الافريقي يتخيل شبح القبيلة دون أن يفكر في البنيان الحكومي الضخم كما هو الحـال بالنسبة لغيره ، وكان لا يستطيع أن يفكر في نفسه منفصلاً عن الجماعة ، فقد كان شخصاً ينتمي لأسرة كثيرة الفروع متشعبة الوشائج بينما ترتبط هذه الأسرة برابطة الدم بالقبيلة . وهذه حقيقة في غاية من الدقة والواقعيـة في الدراسات

النفسية وقد أدركتها الدول الاستعمارية وفهمتها عن كثب فاستطاعت على ضوئها أن تعقد الاتفاقيات وتسجل المعاهدات مع رؤساء القبائل سابقاً لتجني الثمرة لاحقاً،وبعد لأي من الزمن بعيد المدى فتجعل من ذلك الامتداد مداً لجعل الحكام مسيحيين وما ذلك إلا للإغراء والاستجلاب . بل كان يتعذر على الفرد أن يتصور قيام صراع طبيعي بين مصالحه الخاصة ومصالح مجتمعه – إذ أن الجماعة عبارة عن امتداد لأسرته، ورغم هذه النقائص الواضحة التي تنطوي عليها التقاليد القبلية لديه فإن المجتمع الافريقي ذاته طالما حافظ سابقاً على تقاليد تؤلف بين حقوقه المشروعة في وطنه وحقوق الآخرين أياً كانوا مهاجرين أو غزاة !!

هـــذا وقد اعترض سلطان زنجبار واحتج بشدة على تصرفات المانيا في المعاهدات التي انطوت لفائف صفحاتها على ثقل من الدسائس المشبعة بالخديعة للحكم العربي الإسلامي ، كما استنكرت أيضاً بريطانيا تلك المعاهدات لا تضامناً مع سلطان زنجبار فحسب ، ولكن لخيبة آمالها فيما كانت تضمره وتنويه مبيتاً للغزو الالماني الدخيل والحكم العربي على السواء .

ومضت فترة من الزمن والأمور تجري بأحداثها في سير غير عادي حتى حلت سنة ١٨٨٧م فخوّل سلطان زنجبار لشركة East African Royal من النفوذ والسيطرة ما كان أكثر فعالية مما كانت عليه بادىء ذي بدء ، وامتدت الشركة بنفوذها من نهر « امبي » جنوباً إلى « كبيني شمالاً » ، وتغطي هذه الحدود أراضي جد واسعة وتقع بين كينيا وتنجانيقا سابقاً . ولم تقتصر الشركة على قيد البنود فحسب بل قامت بنشاط أبعد مدى وأكثر سرية، وما كانت في كل ذلك مما قامت به تخشى شيئاً ولا ترعى عهداً ولا ذمة ، فعاهدت بدورها عدة قبائل تبعد أراضيها من الشريط الساحلي بمعدل ٢٠٠ ميل . وفي هذه السنة ١٨٨٨م ثبتت الشركة أقدامها على أسس من القوة ودعـــائم من فرضيات المعاهدات ، ومن ثمة أُطلق عليها « شركة الامبراطورية لافريقيا الشرقية » وأشرف عليها مركزية

الامبراطورية من عل لتهبَ لها من الامتيازات منحاً لا حدَّ لصلاحياتهـا . وعلى غرار ما تم لها من النيل أوصى « السير وليم ماكينن » الحكومـــة البريطانية توصيات ما من شأنه التوسع العملي في الشرق الافريقي كله فجاءت هذه التوصية في كثير من ملابساتها بما لم يكن في الحسبان حتى خيل أن عدم الأخذ بالالتزامات المشروعـــة في صكوك المعاهدات والاتفاقيات أصبح من الأمور التي لا يلام عليها .

واقترح ما كان مبيتاً وذلك تخطيط وإصلاح الخط الحديدي بين الساحـل ويوغندا ليربط الأراضي الشاسعة النائية بعضها ببعض وفي ذلك كشف جديد للامبراطورية ونصر وأي نصر أحرزته في سبيل التوسع .

وانتهى مد خط السكة الحديدية وامتدت أسلاكه من ممباسا إلى شواطىء بحيرة فيكتوريا في عام ١٩٠١م وانفتح الطريق العملاق أمام عصر جديد من تاريخ افريقيا الشرقية . فقد كان لربط هذه الأقطار المترامية نتاج مثمر تحركت له افريقيا الشرقية ، ولا غرابة من أن يكون ذلك فتحاً كبيراً في ميدان النجاح للتسويق الزراعي ، ومعلوم أن الأراضي التي يمر بها أو تخرقها أسلاك القطار هي كلها أراض زراعية وقد عمل الاوروبيون فيها بزراعة الأراضي المرتفعـــة والأكثر نتاجاً .

وخلال بضع سنوات مضت على تسيير هذا العملاق بدأ استيطان العنصر الأبيض بصورة تثير الدهشة ، كما بدأت الشركات الغربية تعمل وتخطط بجد ونشاط عظيمين وكأنها بالخط الحديدي انطلقت من حصارها في الساحـل واستوعبت بخبراتها كل ما جاءت من أجله ، كما بدأت تستخدم الأيدي الافريقية في مزارعها وبأجور جد ضئيلة وسمحت لها مركزية المستعمرة والمحمية بشراء الأراضي ذات التربة الخصبة وبأثمان زهيدة . وقبل ذلك كان التجار العرب والآسيويون الذين كانوا قد استوطنوا على طول الساحل قد بدأوا يتحركون باتجاه المناطق الداخلية

لتأسيس مراكز تجارية ، وساعد العديد من الآسيويين على بناء الخط الحديدي حيث جلبتهم بريطانيا من الهند وكانت يومها ترزح تحت استعمار التاج البريطاني.

وقد أصبحت خطوط السكة الحديدية تغطي الآن من المساحة أكثر من ٣،٥٠٠ ميل في بلدان افريقيا الشرقية الثلاثة .

منها ١٣٠٠ ميل في كينيا والباقي عبر القطرين الآخرين يوغندا وتنزانيا . وتعمل هذه الخطوط حالياً كمشروع افريقي شرقي مشترك تحت إدارة السكك الحديدية والموانيء الافريقية الشرقية ، وهي الدائرة الرسمية التي تشرف أيضاً على تسيير خدمات الطرقات وممرات المياه الداخلية وكذلك على الموانيء الرئيسية ، وينطلق الخط الرئيسي لمقطع كينيا وأوغندا للسكك الحديدية في مرفأ ممباسا عبر نيروبي العاصمة – وناكودو – واولدورت – وكمبالا ومنها إلى المدن الأخرى ، ومن هذا الخط الرئيسي تتفرع عدة خطوط فرعية متجهة نحو عـــدة مناطق هامة تجارية وزراعية .

ولم تقف بريطانيا والدول الاستعمارية الأخرى لحظة واحــدة في السير من أجل سلخ الحقوق والممتلكات الإسلامية والتي كان الحكم العربي يرعاها ويدير شؤونها منذ أمد بعيد، ففي الوقت الذي كان العمل مستمراً لشق طريق السكة الحديدية وكان المسلمون من الافريقيين والعرب لا يدركون شيئاً من مغبة مكائد الذين اندسوا ليحتلوا أولاً ما شاءوا أن يحتلوه ثم يدحروا عنوة سلاطين الحكم الإسلامي العربي بما خططوه ودبروه في المعـــاهدات والوثائق وعلى اختلاف غاياتها وأهداف أبعادها .

فاستشاطوا من جديد وعقدوا مؤتمراً بألمانيا سنة ١٨٨٨ م هذا المؤتمر الذي كان فريداً في جدول أعماله، ولئن سبقته مؤتمرات عديدة ومعاهدات واتفاقيات بين بريطانيا والحكام العرب إلا أن هذا المؤتمر كان على المستوى الرسمي لتقسيم افريقيا (الطعمة) وبصورة قانونية كما خيل لمؤتمريه أو بعبـــارة أدق كما ارتأته

مطامع الاستعمار البريطاني فأعلنوها تقسيمات شرعية ، ودرست بريطانيا من جديد كل ما لديها من صكوك المعاهدات السالفة بينها وبين سلاطين العرب فرأتها لم تستحوذ كما تريد القضاء النهائي للحكم الإسلامي العربي فسجلت معاهدة وبنوع تكتيك جديد في ١٤ - ٦ - ١٨٩٠م بين السلطان علي بن سعيد والملكة فيكتوريا .

ويعجب الدارسون للتاريخ العربي بأفريقيا من كثرة المعاهدات والاتفاقيات التي أفقدها التكرار صلاحياتها الشرعية ومفادها الدولي الأمر الذي لم يفد منها أهلها الشرعيون وقد غدت كلها في مقتضيات المفهوم الاستعماري البريطاني غير خطوط سوداء جرى بها القلم عبر السطور البيضاء ليس إلا، ثم تصبح لا قيمة لها عند بريطانيا نفسها . فلم تمض سنوات خمس حتى عادت بريطانيا من جديد وقد طالعت الحكم العربي بمعاهدة جديدة بين السلطان حمد بن ثوين والملكة فيكتوريا ، سجلت في ١٤ ديسمبر ١٨٩٥ م ، وقد غدت هذه المعاهدة الفاصلة القاضية أو بعبارة أدق المعاهدة التي أمسكت بريطانيا فيها بآخر حلقة من حلقات مطامعها وقيدت ببنودها الحكم العربي في شرقي افريقيا حتى صار يومها اسماً على غير مسمى ، إذ نزعت بريطانيا منه كل شيء اسمه سلطة تنفيذية ؛ فالنظم التشريعية وما ينبثق منها من وصايا في الأخذ والعطاء في المجالات أياً كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية في التمثيل الخارجي أو الداخلي على السواء . وغدا الحكم العربي لا يتمتع في عزه وعلاه بأكثر من وضع « العلم » الأحمر على رؤوس المراكز الحكومية في « زنجبار » وفي ممباسا على قلعة تذكارية قلعة « فورت جوزيف » وكانت حتى عهد قريب سجناً حكومياً ، وكأني به قد وضع رمزاً ليسجن في يوم ما إلى الأبد . وقد وقع ذلك وتم على أبشع صورة عرفها التاريخ والتاريخ نفسه كما يدين أولئك الأغبياء من رجال الحكم العربي الاسلامي في

عدم تقديرهم للمسؤوليات التي نيطت بأعناقهم منذ آماد سحيقة في القدم،لا ولن ينسى إدانته بريطانيا بالذات فهي الدولة الوحيدة التي واكبت سير الحكم الاسلامي عبر العصور في افريقيا الشرقية ، وهي الدولة الوحيدة التي نقضت له حيناً وأبرمت له آخر وأخذت به فترة ورمته ومعاهدات إلى حيث لا رجعة إلا ما شاء الله .

قوة الكيان الافريقي

تعد حركة تثبيت الكيان الافريقي من أخطر الظواهر في النصف الثاني من هذا القرن على الاستعمار الغربي بأسره .

وما الكيان الافريقي في جوهره إلا حركة وطنية نضالية معادية للاستعمار المتعدد الأشكال ، ولقد أصبح الكيان الافريقي في الحين واقعاً متحققاً بعد أن كان امكانيات موضوعية كامنة ، وإرادات مشتتة ، وحواجز مفتعلة.

والكيان الافريقي عند الافريقيين لم يكن نتيجة لوعي عمّ القارة الافريقية فحسب ، بل إن بروزه ضرورة تاريخية تمخضت به حتمية أحداث التاريخ حتى انصهر منها كل الافريقيين في بوتقة واحدة وأصبح الانتساب إلى افريقيا هو الجواب الوحيد على سؤال : من أنت .

بل أصبح هذا الجواب دليل فخر واعتزاز !!

بروز فجر الكيان الافريقي

إن بروز فجر الكيان الافريقي الشرقي قد تمخضت أحداثه عن مراحل ثلاث ! فالمرحلة الأولى ، هو التقاء الزعماء الأربعة : جومو كنياتا – كوامي نيكروما – الدكتور ونبي بوغارت – جورج بادمو . وكان ذلك أعقاب الحرب العالمية الثانية بالرغم من ان اجتماعهم آنذاك لم يكن غير مرحلة بدائية لم تكن فيها حقيقة علنية بالنسبة لذلك الظرف الافريقي إذ كانت افريقيا آنذاك تغط في سبات عميق ، تابعة ومقوده وبكل طاقاتها ومقدراتها للاستعمار الغربي ، بل لم يكن اجتماعهم آنذاك من الظواهر لبروز الكيان الافريقي وإنما كان اجتماعهم مجرد أُمنية لإيجاد كيان افريقي لا لشعوبهم المحصورة عدداً فحسب بل للقارة بأسرها .

وكانت هذه الأمنية مجموعة من الأحلام طالما راودت أرباب الوعي منهم وترددت في مخايل أفكارهم منذ أمد بعيد .

وعندما أُعلن في نهاية الحرب العالمية الثانية ان افريقيا ستسير قدماً مع باقي دول العالم وكان ذلك في أول اجتماع لاتحاد التجارة الدولي المنعقد في باريس في شهر اكتوبر سنة ١٩٤٥ م .

فقد صرح كل من جومو كنياتا ، وكوامي نكروما ، وآخرون في المؤتمر الخامس الموالي لإفريقيا والذي عقد في أواخر شهر اكتوبر في (برمنجهام)

بانجلترا والذي ترأسه الدكتور و.بي. بوغارت ديبو – مؤسس الحركة المواليـة لإفريقيا ، التي بدأت عــام ١٩١٩ م فقد قالوا جميعاً : كما ورد في بيان المؤتمر الموالي لافريقيا :

« يجب أن تتحرر كافة المستعمرات من السيطرة الاستعمارية الاجنبية سواء منها السياسية والاقتصادية،وبدهي أن المقصود من التحرر السياسي إنما هو إيجاد كيان افريقي متحرر» .

ثم نتج هــذه المؤتمرات نشوب سلسلة من الثورات والاضرابات ومقاطعة الاستعمار سادت القارة الافريقية في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية مباشرة وفي السنوات التالية ، وقد ساهمت النقابات العمالية الافريقية الخمس لشرق وشمال وغرب نيجيريا – والكمرون الجنوبي – واتحـاد نيجيريا بقسط كبير في بروز الكيان الافريقي !

ثم جاءت المرحلة الثانية .

بارزة مبرزة باعلان الكيان الافريقي على الملأ ، هــذه المرحلة هي مرحلة الانتقال الفكري عند الزعماء ، وجعل كل ما كان يداعب أمانيهم وتخايلهم أمر لا بد من وقوعه أو يهلكون دونه، وقد بدأ هذا التخطيط في سطوره العريضة لدى كوامي نكروما حينما سئل في ابريل ١٩٥٦ م :

ما هي أمسّ الاحتياجات العاجلة لافريقيا اليوم ؟

فكانت إجابة (نكروما): انني أعتقد أن الشيء الضروري الأول للتحرير السياسي ، وعلى هذا يتضح جلياً ان ما يطلبه الافريقيون جميعاً يمكن تلخيصه في كلمتين (افريقيا للافريقيين) (Africa for Africans) ثم أصبح هذا المنطق أنشودة الملايين من الافريقيين ، ثم تلا ذلــك تشكيل المجتمع الافريقي (African Personality) .

ثم جاء الدور الثالث : نتيجة لمعركة غـانا من المستعمر حتى عـام ١٩٥٧ م وكان الأثر كبيراً للاجتماع الافريقي الذي عقـد في – أكرا – عـام ١٩٦٠ م. والذي دعي باسم (Pan African Conference) ومن هنـــا أصبحت الدول الاستعمارية تعرف جيداً هذا الموقف الجديد ، ومن ثم اتخذت لها أشكالاً مختلفة للمحافظة على رؤوس الجسور التي تملكها في افريقيا.. ولقد عبّر (السير اندرو كوهين) عن الخطة الجديدة فيما بعد اعترافهم بهذه الأحداث التي أثبتت الكيان الافريقي في أجلى صوره.فقال في كتابه «السياسة البريطانية في افريقيا المتغيرة»: « ان التعاون الموفق مع القومية أعظم حصن لنا » ثم استطرد قائلاً: « في البلدان الافريقية تسير حركات القومية بانتظام نحو مزيد من التقدم والقوة.. والشيء البارع هو أن تقوم الحكومات بالاعتراف بهذا في وقت مبكر » .

كما نجد أيضاً رئيس الوزارة البريطانية (هيرولد مكميلان) يقول بعد أن قام بجولة في افريقيا عام ١٩٦٠ : « إن أكثر ما يلفت النظر من جميع الانطباعات التي كونتها منذ غـادرت لندن من شهر مضى إنما هو قوة هـذا الوعي الوطني الافريقي ».ثم قال: « ان ريح التغير تهب في جميع أنحاء القارة ، وسواء أحببنا أم لم نحب .. فإن نمو هذا الوعي الوطني حقيقـة سياسية ، ولا بد أن نقبلهـا جميعاً كحقيقة .. ويجب على سياستنا الوطنية أن تأخذها في الاعتبار » .

وهكذا توالت الاجتماعات والاتصالات والتحشدات حتى اكتملت حلقات السلسلة لإيجاد الكيان الافريقي بمؤتمر الوحدة الافريقية في عام ١٩٦٣م. والذي عقد في عاصمة الحبشة – أديس أبابا – ومعلوم انه من قبل أربعة عشر عاماً ما كان عدد الدول الافريقية في الامم المتحدة غير أربعة دول افريقيـة لا غير ، فأصبح الآن ٣٧ دولة .

ومن المؤكد انه لو لم تجد افريقيا الحديثة استجابة لأهدافها في الغرب فإنها

ستتجه اتجاهاً آخر .. ولقد بدأ فعلاً بعض الافريقيين ينظرون إلى الاتحاد السوفيتي أو إلى الصين على أنها رمز التقدم بين الدول المتخلفة ، وهذا يعطينا معرفة بالحجة الاستعمارية القديمة القائلة بأن الافريقيين لا يمكن أن يحكموا أنفسهم ، بالعبارة الآتية : وهي ان الاستقلال مجرد المرحلة قبل الأخيرة التي هي الشيوعية ، وقد قال (السير ودي ويلنسكي) رئيس وزراء اتحاد افريقيا الوسطى: « ان الحقائق الواضحة تنم عن أن القومية الافريقية المنطلقة اليوم تلائم الشيوعية من الألف إلى الياء » .

إذاً فالمسلمون في القارة على مشارف الخطر وبالذات الأقليات، لأن الاستعمار قديماً قد سدّ أمام أعينهم كل السبل التي من شأنها أن تقيهم مخاطر الشيوعية .. وإن نظرة واحدة يلقيها المفكر في سير الشعوب الافريقية المسلمة يجدها تسير أكثر اتجاهاً إلى المعسكر الشرقي الملحد ، وإذا كانت الدول المسلمة من القارة قد سلمت أو كادت من تسليم قيادتها للمعسكر الشرقي فما بال الدويلات الصغيرة ؟ وما بال الأقليات المسلمة المتناثرة هنا وهناك علماً بأنها في أمس الحاجة لا إلى الغذاء أو الملبس ، فحسب .. بل إلى عقيدة وفكرة يتكلم بها في هذا العالم المليء بالكلام والتاريخ .

والكلمة الأخيرة هنا : هو ان أي خطة بعد اليوم من قبل دول الغرب لتقسيم افريقيا واستذلالها اقتصادياً لا بد وان تحسب حساب الشعب الافريقي اليقظ الذي لن ينسى في غمرة تحطيم الأغلال السياسية التي تقيده تلك الأغلال الاقتصادية التي ما زالت قائمة .

ومهما كان الأمر ، فدول افريقيا بكيانها الجديد اليوم قد أصبحت قوية بما لها من أصدقاء أقوياء في المعسكر الغربي ، وفي الدول الاشتراكية التي هي قادرة على بذل معونة اقتصادية كبيرة . وعليه فلا خوف عليها أو على كيانها بعد أن أصبح حقيقة واقعة من أي تزاحم غربي أو شرقي مهما تعددت مرامي الأهداف

واتجاه المطامع .

وإذا ثبت ذلك بالدواعي الملحة الاقتصادية والتي يتطلبهـا الكيان الافريقي أكثر من أي شيء آخر فسيكون ثباته ولا شك قصير الأمد ، سريع الأفول .. وفي هذا التصوير أو التخمين سيكون الشعب الافريقي وفي كل قطر من أقطاره الواسعة والغنية بالثروات الغذائية منها والطبيعية ، وليس الاستعمار هو الوريث لثروته على أرضه الافريقية بفضل قوته التي برزت بكيان افريقي عنيد .

استقلال دول شرقي افريقيا

بقيت دول الشرق الافريقي قرابة ٧٢ عاماً ترزح تحت وطأة الاستعمار الغربي مستنزفاً خيراتها الطبيعية ، مستدراً ومحتكراً اقتصادياتها الخارجية والداخلية ، حتى أذن الله بإشراق شمس الحرية على هذه الشعوب المغلوبة على أمرها . وحيث كانت افريقيا بأسرها تخضع للنفوذ الاستعماري الغربي فقد تقصد الغربيون تأخير كل ما من شأنه مشجعاً بالأخذ لنيل الاستقلال ، ولهذا نرى وإلى وقت قصير جداً ، أي في عام ١٩٦٠ م . لم ينل الاستقلال من الدول الافريقية سياسياً غير ٢٥ دولة من مجموع ٤١ دولة البالغ عدد سكانها ٢٦٠ مليون نسمة .

ومن ثم اتضح جلياً أن الاستقلال السياسي سار في اتجاه وضعه الحتمي لجميع الشعوب الافريقية وكيفية بناء هذه الشعوب لدولها الجديدة وتطوير الديمقراطية ومتابعة التعمير الاقتصادي بعد الاستقلال السياسي وتحسين مستويات المعيشة ، وإقامة علاقات جديدة بينها وبين البلدان الأخرى ، كل هذا ينطوي على أهمية خاصة بالنسبة لكل الذين يهتمون بالزحف البشري إلى حيث المجد والكرامة (مجد الأمم .. وكرامة حريتها) .

وعلى ضوء هذا السير التقدمي فقد نالت كل من الدول الافريقية الشرقية

استقلالها في الأعوام التالية :

(**تنجنيقا** في ١٩٦١ م[١] .. **يوغندا في** ١٢ من شهر اكتوبر ١٩٦٣ م. **زنجبار** في ١٠ من شهر ديسمبر ١٩٦٣ م. وأخيراً استقلال **كينيا في** ١٢ من شهر ديسمبر ١٩٦٤ م).

وكل هذه الدول تشكل مناطق استراتيجية وتربة زراعية وطاقات بشرية، وتضم كلها من السكان ما يوازي ٢٧ مليون نسمة . تقدر كالتالي : (١ – **تنزانيا المتحدة** ١٠ مليون . ٢ – **كينيا** ٩ مليون . ٣ – **يوغندا** ٧/٤ ٧ مليون).

تقدر المسيحية في المجموعة المئوية ٥٠ ٪

ويقدر المسلمون ٢٧ ٪

واللادينيون ٢٣ ٪

تتكون الحكومات على الوضع التالي :

(١) تنجنيقا وزنجبار جمهورية .

(٢) يوغندا ملكية .

(٣) كينيا جمهورية .

ولكل من هذه الدول في ركائز وضعها برلمانات ومجالس وزراء .. وهي كلها تدور تحت تصرف الحزب الواحد وهو الذي يسيطر على دفة الحكم في

---

(١) وهي التي تدعى الآن باسم – تنزانيا – وهي اتحاد الدولتين (تنجنيقا ، وزنجبار) وقد اتحدت هاتان الدولتان في نيسان عام ١٩٦٤ م. لتؤلفا جمهورية ، وتنزانيا عضو في الكومنولث البريطاني .

حينه . باستثناء – يوغندا – ففيها حزبين ، ودين الدولة وبصورة عامة لتلك الدول (الدين المسيحي) غير انـه حتى هذا الحـين ما زالت حرية الأديان طليقة . وعلى نطاق واسع بالذات دولة كينيـا ، فهي الدولة الوحيدة التي نص دستورها على احترام الحقوق الاسلامية .

معلومات عامة عن الشرق الافريقي

جغرافية أقطارها . حدودها . مساحاتها . مناخها . سكانها . مواردها الاقتصادية .

١ ـــ كينياء

جغرافيتها .. تقع كينياء على جهة خط الاستواء وعلى الساحل الشرقي من القارة الافريقية بين خطي العرض ٤ درجات شمالاً و٤ درجات جنوباً ، ومن خط الطول ٣٤ إلى خط الطول ٤١ شرقاً .

حدودها .. تحد كينياء من الشمال أراضي أثيوبيا والسودان وإلى الجنوب تنجنيقا وإلى الشرق البحري جمهورية الصومال والمحيط الهندي .

مساحتها ..تغطي كينياء مساحة ٢٢٥،٠٠٠ ميل مربع – منها ٥١٧١ ميلاً مربعاً من المياه بما فيها بحيرة « رودولف » . (Rudulf) وجـــزء من بحيرة « فيكتوريا ».(victoria) و٦،١١١ ميلاً مربعاً من الاحراش والغابات ، وتتجمع في المرتفعات من كينياء كثافة السكان – كما تنتج المرتفعـــات والتي تختلف في علوّها بين ٥،٠٠٠ و ٩،٠٠٠ قدماً ـ عن سطح البحر - أكثر المحاصيل

الاقتصادية في البلاد .

مناخها .. حزام كينياء الساحلي هو في الاساس ذومناخ استوائي — فالمناخ فيه حار ولكن حرارته ملطفة بالرياح الموسمية التي تعصف من الجنوب الشرقي ومن الشمال الشرقي — والمناخ في منطقة الاراضي المرتفعة معتدل إجمالاً ، ويشتد أحياناً .

السكان .. طبقاً لإحصاء عام ١٩٦٢ م . كان عدد السكان ٩،٨٤٧،٠٠٠ مليون نسمة ، ومن المقدر انه قد أصبح الآن إذا أخذنا بعين الاعتبار زيادة الـ ٣ في المئة السنوية ٩،٧٠٠،٠٠٠ مليون نسمة — وهناك ثلاث ديانات رئيسية وهي المسيحية ، الاسلام ، الهندوسية . ولا زال عدد كبير من السكان الافريقيين يتبعون الاعتقادات والعادات الوثنية .

مدنها الرئيسية .. نيروبي ، ممباسا ، ناكورو ، كيسومو .

مواردها الاقتصادية .. الزراعة هي النشاط الاقتصادي والاساسي لكينياء — وتؤمّن الزراعة وتربية المواشي أكثر من ٨٥ بالمئة من مدخول البلاد من التصدير ،وانتاج كينياء الزراعي متنوع نسبياً .فالمحاصيل التصديرية وخاصة القهوة والشاي ، والسيسال والقطن ، والاخشاب ، تؤلف الجزء الاكبر من قيمة الانتاج الزراعي التسويقي . وتساهم تربية المواشي بشكل متزايد فيمدخول المزارع وأرباح التصدير . كما ان البلاد تنتج ايضاً العديد من المحاصيل وخاصة الحبوب (كالذرة ، والارز ، والقمح ، والشعير) وغيرها. وذلك للاستهلاك المحلي بصورة رئيسية .

وبالاضافة إلى ما تقدمفالحكومة تشجعتربية المواشي لإنتاج اللحم وتوابعه ، بينما هناك تجارة واسعة للجلود الخام والمدبوغة .. كما ان صناعة الالبان

والاجبان والصوف تشهد حالياً نمواً مطرداً . وهناك أيضاً طاقات لا يستهان بها من التعدين والصناعة والسياحة ، وتوفير شبكة المواصلات . وباختصار فكينياء تمتلك شبكة حديثة ممتازة من الطرقات والسكك الحديدية والخطوط الجوية . فشبكة الطرقات الرئيسية الفرعية تغطي مسافة ٢٦٬٠٠٠ الف ميل ، كما يوجد أكثر من ٣٬٥٠٠ من الخطوط الحديدية في بلدان إفريقيا الشرقيــة الثلاث منها ١٬٣٠٠ ميل في كينيا . وتعمل هذه الخطــوط كمشروع أفريقي شرقي مشترك تحت إدارة شركة السكك الحديدية والمرافىء الافريقية الشرقية ، وهي الدائرة الرسمية التي تشرف أيضاً على تسيير خدمات الطرقات وممرات المياه الداخلية ، وكذلك على المرافىء الرئيسية .

٢ ــ يوغندا

جغرافيتها .. تقع يوغندا وسط إفريقيا الاستوائية وإن كانت من الناحية السياسية تعتبر جزءاً من إفريقيا الشرقية التي تضم كينياء وتنزانيا ، ويطلــق الجغرافيون على المنطقة التي تشغلها بلاد يوغندا (سقف أفريقيا) (Roof of Africa) وهي الهضبــة العالية التي تتوسطها بحيرة فكتوريا.. وتحيط بها بحيرات « كيفو » و « ادوارد » و « البرت » و « رودلف » وتنجنيقا ، وترتفع هذه الهضبة ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، ويوغندا فريدة في موقعها فهي تشغــل منطقة البحيرات العظمى التي تغذي بالمياه طول السنة نهر النيل العظيم ثاني أنهار العالم وأطــول أنهار القارة وقد شغلت المسطحات المائية نحو ١٣٬٦٨٩ ميلاً مربعاً من جملة المساحة الكلية التي تبلغ ١٩٬٩٨١ ميلاً مربعاً أي ما يعــادل ١٥ في المائة .

حدودها .. في شمال يوغندا توجد جمهورية السودان وفي جنوبها جمهورية تنجنيقا أي ــ تنزانيا المتحدة ــ وجمهورية رواندا ــ ومملكة بورندي ، وفي

الشرق تقع جمهورية كينياء – وفي الغرب الكونغو (ليوبولد فيل) ويعتبر موقع يوغندا من الناحية الاستراتيجية في وسط الجمهوريات السالفة الذكر وهي بحق كما قال الجغرافيون (سقف إفريقيا) .

مساحتها .. تبلغ مساحة يوغندا ٩٣،٩٨١ ميلا مربعاً ، تغطي المسطحات المائية من المساحة ما يعادل ١٥ في المئة .. أي ١٣،٦٨٩ ميلا .

مسيرة الاسلام في يوغندا

وللمرة الثانية تعود مقاليد الحكم في يوغندا إلى قائد مسلم مسؤول . وهذا لا يرضي الكثير من أولئك الذين قضوا على الحكم والحاكم المسلم منذ ثمانين عاماً . قضوا عليه عنوة باسم المسيحية .

وحديثنا للقضية في هذه الحقائق سيثير الدهشة والاستغراب عند الكثير ، ولكن هذا الكثير لم يحاول قط التعرف على ذلك التاريخ،تاريخ أولئك المسلمين.

وقد سألت في هذا الشأن معالي وزير المعارف اليوغندي « الاستاذ أبو بكر ميانجا » فأجاب بما فحواه :

عرف الشعب اليوغندي الإسلام على يد التجار العرب من أبنـــاء الجزيرة العربية وكان ذلك في عام ١٨٥٠م ورحبت العائلة المالكة يومها بالإسلام فدخل فيه أفرادها وعلى رأسهم الملك « موتيسا » .

واختلق المستعمرون يومئذ صراعاً فأثار ذلك الصراع فتنة شعبية اشتملت فيها الحرب بين الفئات الوطنية فاستمرت المناوشات التي أريقت فيها دماء كثيرة حوالي عشرة أعوام لتنتهي في عام ١٣٩٤م بانتصار الاستعمار الذي أيد بكل قوة فئة المسيحيين ، وطرد قائد المسلمين الأمير نوح ، ذلك البطل الذي عرض عليه الملك إذا رجع إلى المسيحيين فرفض بشدة وخرج من البلاد ليعيش باقي أيامه في

زنجبار تحت رعاية السلطان برغش حاكم زنجبار وملحقاتها ! وقد خلف هـذا البطل الإسلامي أمير المسلمين حالياً في يوغندا الامير « بدر بن نوح » هـذا الأمير الصالح الذي أحبط كثيراً من المؤامرات التي قامت وتقوم ضد الإسلام ، وقد تعرّض لكثير من المتاعب والمآسي في حكم الدكتور اوبوتي المخلوع !

هكذا روى لنا ابن يوغندا الحديث قصة الإسلام قديماً في بلاده . أما مصدر الأمس فحسبنا منها كتب التاريخ الذي لم تكد تجمع أنفاسه بعد ، حتى انقضت الأيدي الخفية بقصد أو بغير قصد لتميت هذا الامتداد من الحكم في مهده .

تقول تلك المصادر وهي جد كثيرة ولكنها بلغات القوم الذين لم نفهمهم بعد ولن نفهمهم ، طالما كان المسيرون لمعلوماتنا والمتحدثون باسمها أُناس لا علاقة لهم بهم من قريب أو بعيد اللهم إلا ما ندر من استثناءات فرضتها ظروف المنطقة لتشكل بعض الصور والألوان من الاجتماعات التي لم تثبت بعد حقيقة أبعاد اهداف الذين أقاموها .. وسيان كان الأمر لصالح الكل أو البعض ، فنحن لا نريد إلا الخير لإفريقيا عموماً وإلا التضامن والوحدة لأبنائها ، نقول هذا ونحن نؤمل الآمال الكبار على أن يكون الإسلام في كل الديار الافريقية إسلام عقيدة وشريعة ودستور حياة ، ليسود الأمن بين أبنائه ولينتشر السلام وتسود المحبة كل أرجاء القارة التي رحبت بالإسلام قديماً فاستقبلته في بزوغ عهده، واحتضنت أهله وبقيت أرضاً وبشراً ترعاه وتحتفي به ، وتغار عليه .

فكم تحمَّل الافارقة العزّل قديماً وحديثاً من تشريد في سبيل الثبات عليه ، ومن تقتيل في سبيل الارتباط به ، ومن عزل في سبيل الاحتكام إليه .

وبالرجوع إلى مختزل ذلك التاريخ أي منذ ثمانين عاماً ، نجد أن الإسلام أو إسلام حكام يوغندا يومئذ قد أثّر تأثيراً بالغاً في الشريط السوداني غربي النيل ، كما أحدث انفتاحاً في سياسة مصر الإسلامية بالرغم من ثقل الاحتلال الاستعماري البريطاني الجاثم على صدرها والذي استطاع بمكره الحد من هذا الانفتاح الذي

لو قدّر له السير يومئذ لأصبحت كل تلك الأجزاء في وسط القارة ، وجنوبي خط الاستواء أُمة مسلمة بكاملها.. وأدركت مصر هذه الحقيقة فأخذت تتسع بحدود السودان نحو الجنوب كما يقول الدكتور محمد محمود الصياد .. ورحب السلطـان « كباريجا » سلطان(بونيورو)ـمقاطعة غربي النيل ـ برسل مصر الاسلاميين، ويرفع العلم المصري على عاصمته بحضور عدد كبير من الأهالي تعبيراً عن بهجتهم بدعوة الإسلام ورمزاً لأخوة وحدة وادي النيل ، الذي مزقه الاستعمار وقسّمه إلى حدود جغرافية، فجعل منه الجنوب ، والشمال، والوسط والشرق والغرب والمصب ، والملتقى ، ثم أقام الفواصل والحواجز ، وبث رسله ومبشريه ، ثم أعقبهم بدهاقنة الاستعمار ليكملوا الخطة المرسومة واللعبة الاجرامية التي أُعدت هناك في لندن لوضع حد قاطع للمدّ الإسلامي،في طول جنوب السودان وامتداد نهر النيل الذي يبلغ طوله ٦٦٩٥ كلم .

وقد رفع الملك « كباريجا » ملك (بونيورو) علم الحكومة المصرية في قلب عاصمته بحضور عدد كبير من الأهالي .

ويتحرك الشعب اليوغندي الذي بلغته الدعوة قديماً بواسطة الدعاة المتنقلين من الساحل الشرقي وزنجبار ، المارين بيوغندا إلى الكونغو الأوسط ، ويتفاعل ملكها « امتيسأ » بهذا النبأ فيرسل سفراءه لاستقبال القادمين من الشمال،ويبعث بهداياه ، ويطلب من مصر أن تبسط حمايتها على أرضه حباً منه للاسلام ووحدة المسلمين ، وأن تبعث إليه بعالمين يهتدي عن طريقهما إلى الدين الإسلامي .

وتلبي مصر الدعوة ويكتب صاحب مصر إلى ملك يوغندا رسالة يقول فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد، حمداً لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ، نخصكم بمزيد السلام والتحية ، انه عرضت لدينا مكاتباتكم وعلمنا الهدية التي أرسلتموها،وحصلت عندنا المسرورية حيث شرح الله صدوركم للاسلام وجعلكم من أُمة سيدنا محمد خير الأنام وأوجب علينا إسعافكم في إبعاث العلماء

الذين طلبتموهم لتعليم الديانة .

وبعد تاريخه يرسلوا لطرفكم زادكم الله توفيقاً ورشاداً وهداية والسلام » .

وتقضُ هذه الخطة مضاجع الاستعمار كما يقول الدكتور محمد محمود الصياد ، وكان قد بيت لهذا الجزء من افريقيا أمراً ، ويهوله أن يتحول ملك افريقي إلى الإسلام ، وأن تتم بذلك وحدة وادي النيل وتتألف أجزاؤه ، وهنا تبدأ دسائسه وكان له عيونه ومنهم من أكل عيش مصر وملحها ، بل ما وصل إلى هذه الجهات إلا تحت خدمتها ومن أجلها . ويكتب « غوردون » الموظف المصري البريطاني مقترحاً أن يصدر امر القاهرة بسحب الحامية المصرية من يوغندا ، ولكنها ترد بأن ترك « امتيساً » أمر بارد في حق الحكومة ، وأنه بحسب المعلوم فيكم من حسن الادارة لا يستصعب عليكم إجراء الطرق والوسائط لجذب قلبه وميله وتأليفه لجهة الحكومة (أي حكومة مصر) .

ولم يفعل « غوردون » شيئاً لتنفيذ ما أشارت به القاهرة – لأن ذلك لا يخدم مصلحة الاستعمار الصليبي في مواطن غنية بدائية – وقد كان على اتصال بحكومة لندن وإرساليا‌تها وذلك لمراقبة أي نشاط إسلامي يتحرك من الخارج إلى يوغندا وما والاها ، وفعلاً نجح « غوردون » لأن الاستعمار الذي وظفه كان يحكم مصر ، والسودان، ويوغندا ، وكينيا ، وكان مع كثير من أمثاله أدوات طيعة في أيدي الإرساليات التي كانت نشطة جداً في التبشير ، والعالم العربي والإسلامي يومئذ مقيد مكبل إلا القليل لا يتحرك ولا يتطلع إلى شيء إلا إذا سمحت له بريطانيا أو أرادت له فرنسا في حدود وظيفة وداخلية ليس إلا !

وتنافست البعثات التبشيرية أيها – يرتد « بأمتيسا » عن الاسلام ؟!

وبدأت أراضي يوغندا الغنية الهادئة تشهد ألواناً من الصراع مختلفة ، وحدثت الخلافات الحادثة بين البعثات التبشيرية المتعددة ، وكلها تريد أن تكون صاحبة الكلمة والنفوذ ، وتألفت الأحزاب الاستعمارية في أرض عاشت مئات السنين

موحدة لا تعرف للفرقة أي معنى ! وقام حزب (البا انجلترا) البروتستانتي ليربط البلاد بالسياسة الاستعمارية البريطانية ، ونافسه (البا فرنسا) الكاثوليكي وهدفه أن يدخل يوغندا ضمن دائرة النفوذ الفرنسي وقبل أن ينتصر أحـــد الفريقين مات (امتيسا) .

وخلفه ابنه (موانجا) ولم يكن في قوة أبيه ، وحدث في أول عهده أن قتل الأسقف (هانتجتين) رئيس الارسالية البروتستانتية فكان قتله نجدة السماء كما يقول — المحتلون — للاستعمار فقد اتخذ من هذا الحادث فرصة ليضرب ضربته القاصمة ، واتحدت الجبهتان البروتستانتية والكاثوليكية ، ضـد الملك المسلم وأتباعه من المسلمين وكذا من لم يدخلوا أحد المذهبين المسيحية ، وأُجبر الملك على التنازل لأخيه ،واستمرت الحرب الأهلية في يوغندا حيث ذهب ضحيتها مئات الأنفس وكادت الدوائر تدور على البروتستانت ، فاستنجـدوا بشركة (شرقي إفريقيا البريطانية) التي أرسلت كابتن (لوجارد) على رأس قوة من جنودها نجحت في القضاء على استقلال يوغندا (الحرة المسلمة)لتبدأ بتاريخ حياة مسيحية تحت المدافع وتحت ضربات وطلقات الرصاص وسياط الضباط الانكليز ،وأن تدخلها الحماية البريطانية في سنة ١٨٩٤ ، أي الفترة التي قضي فيها على المسلمين وحكمهم.

ومن يومها شددت انكلترا الخناق على الانفتاح للدعوة الاسلامية في المنطقة شمالي مناطق الغابات الوسطى الممتدة من مصب نهر السنغال إلى اقليم برنو ، في غرب حوض النيل إلى الحد الشرقي الذي هـو ساحل البحر الأحمر — لأن هذا الاقليم يتخطى وادي النيل إلى الصحراء الشرقية ، وكذلك شمال السودان حتى مدينة الخرطوم ، أو بعبارة أخرى جميع المنطقة الواقعة بين خطي عرض ٣٠ شمالاً و ٢٠ جنوباً مع استثناء وادي النيل في مصر وبعض السهول الجنوبيـة في برقة وطرابلس ، لأن بريطانيا تدرك تماماً وبأبجديات حسابية دقيقة قـام بحسابها دهاقنة التبشير وارساليات الكنيسة —أن ترك انتشار الاسلام في شعوب

إفريقيا الزنجية يخلف آثاراً بعيدة كما قال الكاتب المسيحي ـ ميك ـ الذي قرر أن الاسلام لم يترك أثراً عميقاً في التركيب الجنسي لهذه الشعوب الزنجية فحسب ، بل إنه جاء بحضارة جديدة ، أتاحت للشعوب الزنجية طابعاً حضارياً متميزاً ما زال واضحاً حتى اليوم ، مؤثراً في نظمهم السياسية والاجتماعية : ذلك لأن الاسلام حمل الحضارة إلى القبائل المتوحشة ، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوباً متحالفة ، فقد وسع من أُفقها ، ورفع مستوى حياتها بخلق مستوى اجتماعي أرقى بكثير من بعض الشعوب الأخرى المتمدنة وخلع على اتباعه الكرامة والعزة واحترام الذات ، واحترام الآخرين ، وأثر فيهم تأثيراً جعلهم يستبشعون أفعال أولئك الذين يأكلون لحوم البشر أو الآخرين الذين يشربون الخمور ويأكلون لحوم الخنزير ويعتقدون في أمور ما أنزل الله بها من سلطان .

وهكذا خططت بريطانيا ... وكانت تعمل جاهدة منذ خضعت لها يوغندا – على أن تربط بها النصف الجنوبي من سودان وادي النيل ، فاعتبرت المنطقة جنوب – الملكان – أرضاً مقفلة لا يدخلها إلا من ترضى عنه وتفرح بدخوله ، وشقت الطرق من – جوبا – إلى الجنوب دون أن يوجد طريق واحد يربطها بالعاصمة الأم في الخرطوم ، ووجهت الجنوبيين ممن أتموا تعليمهم في مدارس الارساليات إلى جامعة – ماكريري – في كمبالا يوغندا بدلاً من أن توجههم إلى جامعة الخرطرم في السودان ، لقد كانت خطة محكمة ولكن يقظة السودان المسلم قوّضت تلك الخطة من أساسها ، وبقي السودان بشطريه تحت ظل الحكم العربي الاسلامي .

أما يوغندا – فقد مكن الاستعمار من حكمها المسيحي وأزّره في كل مراحل تطويره ، ونشطت الكنيسة التي كانت محصورة في منطقة محددة حتى عم تبشير ارسالياتها كل تلك الأرجاء ، وقام الاستعمار بدوره أحسن قيام في نشر مدارسه

ومعاهده وكلياته فملأها بالمسيحيين وترك المسلمين يرفسون في الجهل والمرض ومنعهم من كل مقومات الحياة ، ورغم كل هذا فقد نشطت مجموعة من الدعاة بالدعوة الإسلامية وكانت الحركة المباركة التي قام بها الأمير بدر بن نوح قد جمعت من حوله قلائل من الرجال أخلصوا للدعوة وتنافست فيها كل مقاطعات يوغندا، انكولا ، كيقيزي ، تورو ، بنيورو ، أوشولي ، لانقو ، تيسو ، أوقيسو ، بوكيدي ، بوسوقا ، كاراموجا ، فقام المواطنون بانشاء مئات المدارس القرآنية وبناء المساجد تلك التي حفظت للاسلام عودة،وعاش المسلمون بدعوتهم أحراراً في عهد الملك الذي عزله الدكتور أوبوتي الذي عاش باقي حياته في لندن وقضى نحبه في العام المنصرم .

وقد ساهم المسلمون جميعاً في دفع عجلة الدعوة مساهمة أقلقت جمعيات التبشير وقساوسة الاستعمار ، كما ساهم المسلمون أيضاً في المطالبة مع الملك المسلم باستقلال بلادهم عن الحكم البريطاني مساهمة فعالة زاد من تقدير الحكومة الملكية للمسلمين كأعضاء في المجتمع اليوغندي، وفي الفترة التي تلت عهد الاستقلال برزت في الأجواء اليوغندية مشكلتان عانت منها يوغندا ، نوعين من الانقسامات .

الأول والأهم: هو ما نتج عن تصميم النصارى الذين ثقفهم الاستعمار تثقيفاً تكنولوجياً معاصراً مما كان كافياً لاحتفاظهم باحتكار المناصب على حساب المسلمين الذين هم حوالي ثلث السكان في البلاد والذين يعانون دحراً منظماً من شتى الوظائف الهامة في الدولة ، وجهلاً تربوياً نتيجة لمؤامرات الاستعمار .

المشكلة الثانية :

هي في مجتمع يوغندا ، وهي إقامة الوحدة الوطنية في وجه الانقسامات الاقليمية والقبائلية بالاضافة إلى صعوبة ضم مملكة يوغندا في أمة يوغندية معاصرة

واحدة ، وقد حلت الأخيرة بعد انقلاب أوبوتي وإعلانه للحكم الجمهـوري .. وقد واجه الرئيس ملتون أوبوتي مشكلة الكراهية المتبادلة بين النيلين في شمال البلاد الذين دخلوا في دين الله أفواجاً والذين يعانون فقراً مدقعاً واعتزالاً جغرافياً من جهة أولى ، وبين – النيتو – الجنوبيين الذين أكثرهم نصـارى والذين رباهم الاستعمار البريطاني ليكونوا سادة يوغندا المستقلة رسمياً باكثار إعدادهم تعليمياً من جهة ثانية . فحسب قول–سجل معاصر لافريقيا–الصادر في لندن ص٢٣٠–٢٣١ فان جهود القادة الشماليين في سبيل ادخال اقليمهم في مجرى البنـــاء الاقتصادي الوطني قد وضعهم في خطر التهمة بأنهم يريدون محاباة الشمال الذي له اتصالاته الكثيرة بالاسلام ، وقد أثبت الدين نفسه عاملاً رئيسياً في تطوير يوغندا السياسي في العهد الحديث ، لأن المسلمين اليوغنديين يدخلون بسرعة متزايدة في السباق وراء التقدم الاقتصادي والسلطة السياسية في أرض يوغندا .

وفي سنة ١٩٦٧ م كان المسلمون في يوغنـــدا قد تخلصوا من نير الجنوبيين النصارى الطائفيين على حد قول الأستاذ أحمد نصر :أحد كتاب جريدة اليقين الباكستانية – ولكن قضى الله بأن هـذا الفجر كاذب، ففي تلك السنة ألغى الرئيس ملتون أوبوتي الممتلكات الاقطاعية في يوغندا وأعلن دولـة جمهورية واحدة واستطرد قائلاً : ولسنا ندري في الوقت الحاضر إلى أي حد سيؤثر تقوية المسلمين في الجيش هذا في الاتفاقية التي أبرمها ملتون أوبوتي مع الاسرائيليين لتدريب السلاح الجوي الأوغندي وطياريه .

إن ما يسمى بالإجراءات الجذرية التي اتخذها أوبوتي بتوظيف بعض المسلمين في الجيش اليوغندي لم تصـل بعد إلى حـد إعطاء المسلمين السلطـة السياسية والاقتصادية التي يرونها موافقة لنسبة مجموع السكان اليوغنديين، وبالرغم من عدم

توظيفهم في الدوائر الحكومية الهامة –فإن شكاوى الجنوبيين المسيحيين الصاخبة لا تزال بالرغم من أنها الأكثرية الساحقة في المناصب الادارية، وإن حادثة أواخر عام ١٩٦٨ م قد أظهرت اتجاهاً جديداً في استياء المسلمين المتزايد في الأوساط الحكومية في يوغندا، فتحت اعلان الطوارىء الجديدة الواسعة في قبض نظام الرئيس أوبوتي على عضو مسلم في البرلمان هو الاستاذ أبو بكر ميانجا، وعلى مجموعة أخرى من الزعماء المسلمين وأودعهم في السجون، بتهمة بث الكراهية والاحتقار ضد الرئيس بترديد شائعات كاذبة ان أسباباً قبائلية قد دعت أوبوتي المسيحي إلى تأجيل توظيف الأفارقة المسلمين في مناصب حكومة يوغندا. ص ٢٣٤ .

وقد انتقدت الأوساط الديمقراطية خارج البلاد هذه الموجة من القمع بوصفها موجهة ضد الحرية الوطنية . ولكن الرئيس النصراني لم يكشف القنــاع عن الأسباب الحقيقية لخيار زعماء المسلمين وأخلصهم وطنية منذ عهد بعيد ، ويفسر لنا سجل معاصر لإفريقيا ذلك بقوله :

يبدو أنه كان يساور الحكومة ريبات وشكوك أخرى من جهة أبي ميانجا – الشاب المسلم الذي أقلق أوبوتي وحكومته – فإنه قد دخل في حقل السياسة الوطنية أول الأمر كقوة جذرية ، وأنه قد اقترب أكثر فأكثر في السنــوات الأخيرة من موقع القيادة لتزعم المسلمين اليوغنديين ، وأنه قد أصبح شخصاً بارزاً في شؤون جميع مسلمي شرقي إفريقيا .

وقد حاول أوبوتي المخلوع خداع المسلمين وتضليلهم بشتى الوسائل، فكما نصب بعضهم في قيادة الجيش ليضرب بهم إخوة الشمال والجنوب وليقضي بهــم على المتحفزين لطلب الحقوق في مقاعد البرلمان والدعوة الحكومية الأخرى ، كذلك نصب في الجانب الآخر جمعية – نعم – العميلة لإسرائيل وقد مثل شخصيتها الكبرى –أ–أ–نيكيون ، والمدعو الآخر – عبده عبيد كامليقيا – قاتلاً

الحالية الاسلامية في يوغندا وقد لعب الأول دور مستشار مقرب من الرئيس ملتون أوبوتي .

وقد عرف المسلمون جميعهم أن أعضاء هذه الجمعية بدلاً من أن يقضوا أيام اجازاتهم في اداء فريضة الحج – كانوا يقضونها هناك في حيفا وتل أبيب . وقد نشرت إحدى الصحف الاسرائيلية في القدس مقابلة خاصة مع عبده عبيد كمليقيا نائب رئيس جمعية – نعم – تحت عنوان – الشيخ عبده عبيد ، نائب رئيس جمعية نعم قدم إلى اسرائيل في يوليو ١٩٦٧ م وزار الأماكن المقدسة وصلى في المسجد الأقصى والجزار ، وقابل القضاة والمسؤولين .

وفي مقابلة مع الصحيفة اليومية الاسرائيلية – اليوم – وبعد اختتام زيارته في ٩ يوليو ١٩٦٧ م قال ما نصه : إن ملاحظاتي الخاصة والتأكيدات التي سمعتها أقنعتني بأن الواقع هو مخالف تماماً للدعايات التي نشرت وتنشر من قبل عناصر خاصة في إفريقيا ، إن المسلمين في اسرائيل يتمتعون بالحرية الكاملة إلى آخر هذا النوع من الأكاذيب .

هذا وقد شجعت حكومة أوبوتي هذه الجمعية وآزرت رجالها ونفّذت مخططاتهم فطردوا الكثير من الدعاة وسجنوا آخرين وفرقوا عدة جمعيات اسلامية الأمر الذي جعل من الدعاة والشيوخ المعارضين لهذه الجمعية أن يعيشوا عيشة قلق واضطراب وخصوصاً بعد سجنه لأبي ميانجا – والامير بدر ، والداعية الشيخ علي كلومبا وغيرهم من زعماء المسلمين اليوغنديين ـ والانكى من كل ذلك أن شدة الاضطهاد قد منحت السلطة المسؤولة عدم المرافعة القضائية ، بحجة أن أبو بكر ميانجا الوزير المسلم السابق والعضو البرلماني في حكومة أوبوتي قد قام بسفرته إلى الشرق الاوسط – ويعني بذلك الدول العربية في الجزيرة والخليج طلباً لتأييد نشاط جمعيته ، ويعنون بالجمعية هنا ـ جمعية الأمير بدر ابن نوح ـ والسلطة تعلم حق العلم ـ أن الدول التي قام بزيارتها معالي الأستاذ

ميانجا ـ لا ترضى بل لا تسمح لنفسها أن تتدخل فيها لا يعنيها ـ ولا تحتفظ منذ انطلقت منها دعوة محمد عليه الصلاة والسلام بأي أوكار للجاسوسية أو بأي أطماع كأطماع الصهيونية التي فتح لها أبواب يوغندا وربط بها تلك الجمعية التي شتتت وحدة المسلمين ومزقتهم شر ممزق ـ

جغرافيتها :

تقع يوغندا وسط افريقيا الاستوائية، وإن كانت من الناحية السياسية تعتبر جزءاً من إفريقيا الشرقية التي تضم كينيا وتنزانيا ، ويطلق الجغرافيون على المنطقة التي تشغلها بلاد يوغندا سقف إفريقيا ، وهي الهضبة العالية التي تتوسط بحيرة فكتوريا وتحيط بها بحيرات – كيفو – وادوارد – والبرت – ورودلف – وترتفع هذه الهضبة ـ ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، ويوغندا فريدة في موقعها ، فهي تشغل منطقة البحيرات العظمى التي تغذي نهر النيل العظيم ثاني أنهار العالم وأطول أنهار القارة المغمور بالمياه طوال السنة،وقد شغلت المسطحات المائية نحو ١٣،٦٨٩ ميلاً مربعاً من جملة المساحة الكلية التي تبلغ ٩٣،٩٨١ ميلاً مربعاً أي ما يعادل ١٥٪ .

حدودها :

يحدها شرقاً كينيا والسودان شمالاً ، وتنجنيقا جنوباً ، والكونغو ـ ليبولدفيل ـ غرباً ويعتبر موقع يوغندا من الناحية الاستراتيجية في وسط الجمهوريات السالفة الذكر وهي بحق كما قال الجغرافيون: سقف افريقيا.

وتنقسم إلى ١٢ مقاطعة وعاصمتها السياسية ـ انتيبه ـ وبها مطارها الدولي والعاصمة الادارية ـ كمبالا ـ وهي عبارة عن سبعة تلال اقيمت عليها مباني المدينة الحديثة وتتراءى للناظر وحدة منسقة في دروبها ومنعرجاتها في قصورها وحدائقها وتلتقي بالعالم الخارجي بطريق الخطوط السلكية واللاسلكية ، ويوغندا بلاد

برية ليس لها أي منفذ إلى البحر ،وتشترك مع كينيا وتنزانيا في المواصلات البرية والبحرية ،وتستلم معظم الواردات عن طريق ميناء ممباسا البحري لتنقل بعدها عن طريق سكة الحديد التي هي عصب الحياة في مواصلاته لافريقيا الشرقية .

عدد السكان :

يبلغ عدد سكان يوغندا حوالي ٧ ملايين ونصف مليون تقريباً ،منهم مليونان من المسلمين ، وقد حقق الاسلام في السنوات الأخيرة انتصاراً رائعاً في جذب السكان إلى عقيدته ، فاذا رجعنا إلى الوراء أي عام ١٠٠٠ م فاننا نجد نسبة المسلمين لا تتجاوز ٢٪ من عدد السكان فارتفع تدريجياً حتى بلغ قرابة ٣٠٪ وفي حديث سابق لمعالي وزير التربية اليوغندي قال : إن معدل زيادة المسلمين يبلغ حوالى ١٥٪ سنوياً في حين نجد أن نسبة زيادة عدد السكان عموماً في يوغندا يبلغ بنسبة ٢،٥٪ اثنان ونصف بالمائة مما يظهر أن عدد المسلمين سيكون الغالب في يوغندا في غضون عدة سنوات وتعود تلك الزيادة المطردة في عدد المسلمين إلى كثرة الذين يهتدون إلى الاسلام،وهؤلاء إما أن يكونوا مسيحيين أووثنيين.

الملامح الاجتماعية للسكان :

يمكن تقسيم يوغندا إلى قطاعين كبيرين ، فأكبرهما يوغندا التي تشمل على بحيرة فيكتوريا ، ونيانزا ، وميننجو ، وماسكا ، وموبوندي ، وهذا القطاع أكثر ثروة وتقدما ، ويوغندا أرض خصبة وخضراء التربة ولا يوجد فيها جفاف صيفاً وشتاءاً فهي كثيرة الأمطار، كثيرة الأنهار وبها خزان جنجا الرائع بشلالاته الهادرة بالمياه دائماً وأبداً ،وأرض يوغندا أرض زراعية فهي غنية بالمحصولات الغذائية ،ومحصولها في الدرجة الأولى البن،والشاي،والسكر،علاوة على محصولات أخرى،وسكان هذا القطاع إفريقيون يوغنديون أصولاً كما ان السكان هنا يبدون جميعاً وحدة متماسكة ، وكل هذا يدل على قوة الترابط فيما بينهم وعلى مدى ما

بلغ إليه المستوى الاجتماعي الذي ذابت في رحابه نوازع القبلية .

ثم القطاع الثاني : يوغندا والذي ينقسم إلى جنوبي وشمالي وغربي حيث يكثر تعداد المسيحيين والوثنيين،وفي هذا القطاع عدة قبائل إفريقية نزح بعضها من الدول المجاورة ولهذا لم يبلغ الترابط والتلاحم بينهم مبلغ السكان القطاع الأول – يوغندا – .

الأوضاع الدينية :

بالنسبة للأوضاع الدينية السائدة فإنه يمكن القول بأن منطقة – يوغندا – تدين أغلبية مقاطعاتها بالدين الإسلامي وكلهم على المذهب الشافعي – أما في الجنوب والشمال فان نسبة كبيرة من هؤلاء السكان ما زال على الوثنية الافريقية دين آبائهم الأقدمين ، وقد تمكن الأوربيون المبشرون أن يجذبوا عدداً من هؤلاء الوثنيين في السنين الأخيرة إلى الديانة النصرانية بفروعها : الكاثوليكي ، والبروتستانتي ، والارثوذكسي على أن المنجذبين إلى المذهب الأول أكثر عدداً لأن المبشرين الكاثوليك أكثر فعالية ونشاطاً من زملائهم الآخرين ، ومما يلاحظ أن المسلمين هناك بصورة عامة أكثر حرصاً على تعاليم دينهم من بقية مواطنيهم لا سيما المتنصرون من هؤلاء المواطنين الذين يكادون لا يفهمون من النصرانية إلا أن يتخذوا لأنفسهم الأسماء المسيحية ، وأن يتصلوا بالمبشرين وارسالياتهم من أجل قضاء مصالحهم الذاتية بينما نجد معظمهم مستمرون على اتباع التقاليد الوثنية القديمة خصوصاً فيما لا علاقة له بحياتهم العائلية حيث ما يزال نظام تعدد الزوجات سائداً فيهم والدولة تأخذ به من الناحية الرسمية .

زعماء المسلمين في يوغندا :

يتقيد المسلمون في يوغندا بتقاليد للزعامة مرعية، تقاليد حفظت لهم كيانهم

الاسلامي البارز سنيناً طوالاً،وقد شب على هذه التقاليد شعب يوغندا وتوارثت فيهم أباً عن جد ، وقد أصبحت هذه التقاليد ذات أثر كبير في علاقاتهم بعضهم مع بعض بل سهلت الكثير من سبل الاتصال والارتباط بالحكومات التي قادت البلاد على اختلاف نظم أوضاعها ومنذ عهود بعيدة .

فهناك زعماء ، وهناك مشايخ، ولكل من أولئك الزعماء والشيوخ صلاحياته وارتباط الآخرين به ، وقد أقرت الحكومات التي حكمت البلاد هذه العادات التقليدية .

وعلى رأس زعماء المسلمين المشهورين الأمير المجاهد بدر بن نوح، ومعالي الأستاذ أبو بكر مايانجا .. والحاج موسى كسيرو ، وعلى رأس شيوخهم الشيخ الفاضل شعيب والشيخ أحمد بن كمب والشيخ علي كالومبا ، وهناك شيوخ كثيرون ومعلمون أكثرهم منبثين في كل مقاطعات يوغندا، وقد خدم هؤلاء دعوة الاسلام أحسن خدمة ، وأكثرهم خدمة هو الامير بدر بن نوح فله يد بيضاء على المسلمين في يوغندا ـ فلقد وقف الامير من أراضيه ثمانين هكتاراً في سبيل الاسلام ، أنشأ فيها جامعاً فخماً كما أسس على نفقته الخاصة مدرسة ثانوية في العاصمة كمبالا ووجه عنايته فيها بتعليم الدين ، ومن العادات المتبعة هناك في تنصيب الشيوخ ، هو اجتماع أهل المقاطعة واستدعاء أكبر مجموعة من الزعماء والعلماء، فيقام احتفال ديني يتبادل فيه الخطباء كلماتهم ، ثم يقدم المؤهلون لتنصيب المشيخة فيلبسهم رئيس الحفل ـ العِمة الاسلامية العربية ، ويعلن على الملأ أهليتهم لذلك ليبلغ الحاضر الغائب ، وهكذا تقام في كل عام تقريباً ، ويخول للشيخ بعد ذلك القيام بإصلاح ذات البين وبالعقود والأنكحة وكتابة الوصايا والوثائق الدينية على نهج الشرع الإسلامي الشريف وبالخطابة الدينية في المحافل العامة وبتفسير القرآن الكريم والسنة بعنعنة التلقين إلى غير ذلك مما يتعلق بالشؤون الاجتماعية الإسلامية ، وما زال لباس الشيوخ يعطي الصورة الصادقة المشرّفة للزي الإسلامي العلمي ، فهو مكوّن من السروال والثوب ثم الجبّة والعمامة الإسلامية المعروفة وبعضهم يرتدي العمه الألفية أو القلنسوة مع العمة الأزهرية .

أحوال المسلمين في يوغندا :

إن كلمة الحق التي نسجلها للتاريخ هي استمساك مسلمي يوغندا بعروة دينهم إلى حد كبير ، فهم قوم متدينون ، يؤدون شعائر الإسلام، فيصومون رمضان ، ويؤدون الصلاة في أوقاتها رجالاً ونساء ويحج المقتدر منهم مراراً . وحسبنا أن نعلم أن المسلم والمسلمة اليوغنديين يحسان بسعادة عظيمة عندما يتمكنان من أداء فريضة الحج ، ويبقى المسلم والمسلمة يفتخران بلقب حاج وحاجة .

وفي يوغندا المئات من المساجد القديمة والحديثة الصغيرة والكبيرة؛ والكثير منها بني على مستوى عال من التصميم الفني والهندسة المعمارية مما نفقد مثلها في بعض بلدان العالم العربي .

وعلى العموم فإنه لا تكاد مدينة ولا قرية في يوغندا تخلو من مكان خصصه المسلمون لأداء الصلوات ، أما العواصم الكبيرة فتجد في بعضها عدداً من الجوامع وكلها تقام فيها صلاة الجمعة، وفي المناسبات الدينية كالأعياد والاحتفالات الموسمية ترى المسلمين يتجمعون في المساجد الكبيرة التي تحيط بها الساحات الواسعة فتغص بآلاف المصلين الذين يتوافدون من جميع أطراف البلد لشهود الجماعة في مكان واحد ، وقد شهدت العاصمة كمبالا هذا العام أروع احتفال بمناسبة يوم المولد النبوي سار في موكبه نحو خمسين ألفاً يتقدمهم زعيم البلاد عيدي أمين والزعماء والشيوخ . ولا يفوتنا هنا أن ننوه أن هذه المساجد الكبيرة أو الصغيرة قد بنيت بجهود أفراد من أهل الثراء، أو بجهود اكتتاب شعبي، ويمكننا القول هنا أن يوغندا في حينها لا تحتاج إلى بناء المساجد قدر حاجتها الماسة إلى إشادة المدارس على اختلاف مستوياتها .

المستوى الثقافي :

مما لا شك فيه أن الاستعمار البريطاني الذي دام قرابة ستين عاماً قد سعى

جهده بإقصاء المسلمين عن دينهم وذلك بما فرضه عليهم من نظام تجهيل وإبعاد عن البلاد الإسلامية إذ كان محظوراً على أي مسلم السفر للتعليم الديني اللهم إلا ما ندر وحصل خلسة أو بطرق أخرى سلكها البعض منهم ، كما كانوا أيضاً في أيام الاستعمار البريطاني يتحاشون دخول المدارس الحكومية لاعتقادهم بأن هذه المدارس خاضعة ـ للكفار ـ لذلك لم تتجاوز الكثرة الساحقة منهم في ثقافاتهم حدود المعلومات الدينية الابتدائية والتي كانوا يتلقونها في مدارسهم الأهلية الخاصة التي يسمونها عندهم « المدارس القرآنية ». لهذا كله ولعدم وجود اتصال بالعالم الإسلامي والعربي يومئذ ولوقوعهم في زاوية الانعزال الكلي داخلياً وخارجياً فقد تخلفوا كثيراً عن الوضع الجدير بهم ، سواء كان ذلك اجتماعياً أو اقتصادياً أو ثقافياً .

وقد غامر البعض منهم للالتحاق بالمدارس الحكومية في عهد المستعمر ، فأفادوا بتخرجهم إخوانهم ، وكان اللقاء الازدواجي بين هؤلاء البعض والبعض الآخر من مدارس القرآن ورحاب المساجد فتمكنوا جميعاً من الحفاظ على الإسلام دعوة وعقيدة .

ويجب هنا أن نميز بين الدعوة إلى الإسلام والتأخر الثقافي العلمي . فالدعوة برجالها عرباً وإفريقيين لم يقفوا لحظة واحدة عن السير بالدعوة للاسلام ، في حين استمر التأخر الثقافي ليضيف إلى ملفه كل يوم وأسبوع وشهر وسنة رصيداً من المسلمين الجدد الذين لم يجدوا من الإمكانات المادية ما يأخذ بأيديهم إلى ساحات العلم والمعرفة الشاملة .

وهناك عدد من المؤسسات والجمعيات الإسلامية قد أسهمت في رفع مستوى التعليم للقرآن الكريم ومبادىء الدين ، وأهمها فعالية ونشاطاً الجمعية الاسلامية التعليمية التي يرأسها الأمير بدر بن نوح ، ومن أعضاء المجلس التنفيذي للجمعية الاستاذ أبو بكر ميانجا وزير المعارف حالياً . ويتبع الجمعية عدة مدارس

ابتدائية ، وكلية المعلمين الابتدائية ، ويبلغ عدد المعلمين الذين يعلمون في مدارس الجمعية ثمانين معلماً.. وقد حاول الأمير بدر الاتصال بالدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية العالمية لأن تمده بالمعلمين والمعونة المادية فطال انتظاره دون جدوى، فاستعانت الجمعية منذ مدة ببعض المدرسين التابعين للارساليات ، لأن المدارس والكلية تتبع المناهج التعليمية الرسمية بالإضافة إلى مادة القرآن والدين التي أدخلتها الجمعية كمادة أصلية إضافة على المناهج الرسمية المعترف بها .

وهناك بضعة مدارس أهلية تقوم بتدريس الدين الاسلامي . وتفتقر هذه المدارس إلى مناهج تعليمية سليمة، وأساتذة قادرين على تطبيق المناهج، فأين هي الدول الإسلامية .. وقد علم الجميع أن التعليم الراقي بيد الارساليات التبشيرية وبيد الكنيسة ، وتتبع الكنيسة مع الارساليات التبشيرية سياسة حرمان المسلمين من التعليم ..

.. فهي لا تشجع المسلمين على الانتساب إلى مدارسها وجامعاتها ـ حتى لجأ بعض الشباب المسلم هناك إلى اتخاذ بعض الحيل فأعلن نصرانيته شكلاً وفعلاً ، وتمكنوا من تحصيل العلم ونيل الشهادة الجامعية وبعد أن نال هؤلاء الشباب الشهادات الجامعية أعلنوا عودتهم للاسلام وتمسكهم به عقيدة وشريعة ..

مادة الحديث في الموضوع هذا بالذات مادة من أهم النقاط حساسية ومشكلته أنه من أهم المشاكل التي واجهتها كل الأقطار الافريقية عقب استقلالها واستلام إدارة نفسها .

المسلمون والادارة :

والاعتقاد السائد أن المخلفين للادارة المحلية في المستعمرات البريطانية بافريقيا، أحسن حالاً من المستعمرات الفرنسية الغربية والبلجيكية والبرتغالية .

ومما هو مسلم به أن توزيع المناصب في الحكومات الافريقية لا يعتمد على

الدين، ولكن الكنيسة بخططات حماتها تستعمل سلطانها ونفوذها لمنع المسلمين من الوصول إلى المناصب العليا في الدولة، وتسعى للحيلولة بين المسلمين وبين الثقافة والعلم ثقافة القيادة وعلم التدبير .

ومعلوم أن الثقافة والعلم ركيزتان أساسيتان للقيادة والريادة في كل عصر ومصر ، وبما أن المسلمين في يوغندا قوة نسبية بفضل اعتناق أفراد الأسرة الحاكمة في العصور المتقدمة وامتداد الإسلام في أخلافها إلى اليوم ، فقد حاول المسيحيون منذ عهد بعيد تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم فجعلوا منهم زعامات متعددة يناصب بعضها العداء للبعض الآخر ـ الأمر الذي تسبب في إضعافهم وكسر شوكتهم .

هذا في جانب وفي الجانب الآخر حصروا العلم والثقافة تحت سيطرة الكنيسة، لعلمهم أن في هذا ما يكفي كخطوة أولى تقضي أولاً على الكيان الإسلامي المتكامل الممثل في أولئك الذين تركوهم ليلعب بهم الجهل لعبته التي آلت بهم إلى ما هم عليه من بُعْدٍ عن القيادة.

ثانياً – وبما أن المسلمين على الأغلب قد حرموا من التعليم الحديث ، إما بواقع السياسة الاستعمارية التي تعمدت حرمانهم لتحكم فيهم غيرهم، وإما لخشيتهم من ضياع الدين إذا سمحوا لأبنائهم بالانتساب إلى المدارس المعادية للاسلام .

وهذا الواقع جعل غير المسلمين يسيطرون على مراكز الدولة الرئيسية وأجهزتها الحيوية ، كما وأن الدول المستعمرة قد راعت في كثير من الحالات ، وهي تتهيأ لمنح الاستقلال ، أن تلقي الزمام إلى أيدي زعامات غير إسلامية . وأن تستمر في حمايتها عن طريق المعاهدات الثنائية والمعونات الاقتصادية وغيرها كتنزانيا مثلاً ، إذ لا تقل نسبة المسلمين فيها عن ٦٠ ٪ ومع ذلك فإن الزعامات المسيطرة عليها زعامات غير إسلامية تعادي الإسلام .

ثالثاً – إن فكرة تكتل الجماعات الإسلامية على أساس الإسلام،لا تزال غير واضحة ، مما يجعل المسلمين ينقسمون بين الأحزاب السياسية ، وربما يحارب بعضهم بعضاً بحجة النشاط السياسي الذي لا علاقة له بالدين ، مع أن الهدف من هذا التخطيط هو تجميد الأغلبيات .

رابعاً – إن فهم الإسلام لدى بعض الجماعات الاسلامية فهم خاطىء مشوه تشيع فيه الخرافات والأباطيل مما يقوم سبباً رئيسياً لانفلات الأجيال الجديدة من الرباط الإسلامي ، والاتجاه إلى الأفكار الحديثة التي يرون فيها حلاً لمشاكل الحياة المعقدة ، وبذلك تتجمد طاقات الأغلبية الإسلامية أو الأقلية بين مدرسة قديمة جامدة ، لا تراعي روح العصر ومطالب الحياة . ومدرسة منفلتة تماماً لا ترى في القديم أي خير ، وتتطلع للأفكار الجديدة تقتبس منها ما تعتقد أنه صالح لتطوير المجتمعات وتحقيق الرفاهية ، ومع أن هاتين المدرستين موجودتان حتى في البلاد العربية والإسلامية غير الافريقية إلا أن هذه الفجوة هي أكثر خطراً في افريقيا حيث المعركة ضد الإسلام في ذروتها ، وحيث أن قيام جبهة إسلامية متماسكة تتوقف عليه صورة المستقبل [1] .

والمؤسف جداً أننا دائماً ننعى على الأفارقة المسلمين ذلك دون أن نقدم مؤهلات تكفل لهم القيادة ، إذ ما زال سيرنا معهم لا يتعدى في مستواه دروس المدارس الابتدائية التي لا تصنع رجالاً ، ولا تؤهل حكاماً . وما لم يتدارك المسؤولون في الحكومات الإسلامية والعربية هذه الحالة، وإلا فأجدر بنا أن نكفّ عن الصراخ ليقضي الله بعباده من المسلمين في افريقيا ما يشاء ويختار .

---

(١) راجع كتاب « افريقيا مجال خصب للعمل الإسلامي » – تقديم الجماعة الإسلامية – باكستان .

تنافس الأديان والمذاهب الهدامة :

تحتل يوغندا مركز القلب من افريقيا أو السقف العالي للشرق منها ، لذلك وقع عليها الاختيار التبشيري المندفع لتركيز مواقع الأقدام فيها ، وقد أدركت بريطانيا هذه الحقيقة منذ أن عدلت عما خططه دهاقنتها من تثبيت كيان قومي يهودي في يوغندا، وكلنا يعلم أن التبشير يمارس عمله بوسائله القديمة المغوية ، وهي الدخول إلى نفوس الناس عن طريق أعمـــال الخير من مدارس ومستشفيات وملاجيء وغيرها . وقد أدرك المبشرون أنهم يواجهون مرحلة جديدة حرجـة بعد الاستقلال ، سببها أن التبشير قد اقترن مع الاستعمار ، وأن المسيحية قـد عرفت في افريقيا بأنها دين الرجل الأبيض ، فأخـــذوا يعقدون المؤتمرات ، ويضعون الخطط لفصم الصلة الظـاهرة مع الدول الاستعمارية ، وتبني المطالب الإنسانية للشعوب الافريقية وجعل المسيحية ديناً للرجل الأسود بكل الوسائل، والنشاط التبشيري في يوغنـدا جزء لا يتجزأ من نشاط التبشير في كل أرجاء القارة ، فالمخططات واحدة والأهداف واحدة والعداء للاسلام موحد .

وقد عقـد المبشرون قبل مدة من الزمن مؤتمرين على الصعيـد الافريقي ، أحدهما في الكلية الملكية بنيروبي – كينيا – والثاني في كلية ماكريري ـ بمدينة كمبالا يوغندا ، درسوا فيهما الوسائل والامكانيات لمجابهة نفوذ الإسلام وإشراك المسيحيين الأفارقة في السلطات الكنسية ، وإزالة الكراهية التي نشأت مؤخراً في قلوب الشعب الافريقي نحـو الإرساليات التبشيرية والدعوة المسيحية في الفترات الماضية .

القصد من زيارة بابا روما لافريقيا :

ولا غرابة أن تأتي ثمرة هذه المؤتمرات في الزيارة التي قام بها ـ البابا ـ في أواخر ما قبل العام المنصرم إلى يوغندا.وقد عُدّت الزيارة حدثاً تاريخياً كبيراً

بالاضافة إلى وجود أكبر أقلية كاثوليكية افريقية فيها ، وقد سبقت الرحلة إعدادات كبيرة ونفقات ضخمة حتى شملت الحملة إخراج طوابع بريدية ، وأزرار دعائية صوّر عليها البابا ، ولقد رسمت الخطة باتقان لتحول الزيارة إلى مظاهر ضخمة تتحول معه يوغندا إلى الدين الكاثوليكي .

أما الهدف العميق لزيارة البابا ليوغندا فسنترك للقارىء اكتشافه من خلال مـــا كتبه رئيس تحرير جريدة « كريستيان سينس مونتيور » تحت عنوان : « البابا وافريقيا » ..في عام ١٩٦٩م ، لقد كتب رئيس التحرير بالحرف الواحد ما نصه :

إن افريقيا هي تحد للجميع ليس للكنيسة الكاثوليكية فحسب ، وإنمـــا للمسيحية جمعـــاء ، إن المسيحية جاءت إلى افريقيا السوداء مع المبشرين ، مع المستعمرين الأوروبيين ، وأياً كان هذا صحيحاً أم خطأ فإن المسيحية مرتبطـة في عقول الافريقيين بالاستعمار .. ثم يتابع قوله : ولهذه الزيارة إلى يوغندا فلم يُرِد البابا أن يشير إلى أهمية افريقيا فحسب ، وإنمـــا ليؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية عالمة أكثر من أي وقت مضى بالحاجة إلى الوقوف مع الكنائس الأخرى في افريقيا وذلك من أجل حماية نفسها .

ثم يختتم رئيس التحرير مقاله قائلاً : إن على المسيحيين من جميع المذاهب أن لا يغضوا الطرف عن حقيقة – أنه في سنوات ما بعد الاستقلال ، فإن الاسلام ينتشر في افريقيا أسرع من المسيحية ، وهذا بالتأكيد يدل على الكثير .

حقيقة المسيحية في افريقيا :

ولنترك جريدة « كريستيان » ليكتشف القارىء أكثر من هذا ، وذلك من خلال مـــا كتبته مجلة « التايمز » الأمريكية في عدد آب ١٩٦٩م تحت عنوان : « الرومانية الكاثوليكية في افريقيـــا » فقد كتبت : إن المسيحية في الشمال

الافريقي قد مُسحت بالغزو الاسلامي في القرنين السابع والثامن الميلاديين ... ولا أدري لماذا لا يخجل أحدهم حينما ينكشف للآخرين حقده، وهم الذين ينادون بوحدة التفـاهم بين الشعوب ، فيصرّون على أن انتشار الإسلام كان غزواً ، ويتناسون ببلادة مضحكة تاريخ تقديمهم الديانة المسيحية للشعوب وفي أية قوالب كانت وماذا كانت تستهدف من وراء ذلك ؟ وهل تقديمهـا للبشرة السوداء كما يقولون حباً لذاتها أم لأشياء أخر ؟!

انتشار الاسلام :

ويستمر كاتب المقال – إلى قوله – إن الإسلام باق كأكبر دين في افريقيـا حيث يضم ثلث سكان القارة . وهذا أيضاً خطأ ثان يتعامى الكاتب بطرحه إذ الحقيقة أكثر من هذا بكثير والأيام كفيلة بتفصيل ذلك . ثم تكتب المجلة وكأنها تعطي الدليل القاطع الذي لا يقبـل الشك أو اللف والدوران على أن الكنيسة هي الأولى والأخيرة في خلق الحكام في افريقيا على الطريقة التي تبتغيها وتبعـاً لمخططاتها فتقول : في كثير من الدول الناشئة تقوم الكنيسة في السنغال والتي لا تضم سوى قادة ما بعد الاستقلال ، فمثلاً السنغال والتي لا تضم سوى ٥ ٪ من الكاثوليك، فإن رئيس الدولة وثلاثة أعضاء من وزارته ينتمون للدين الكاثوليكي، أما الرئيس نيريري رئيس جمهورية تنزانيا فقدكان مدرساً في مدرسة كاثوليكية وحتى في الكونغو المزقة ، التي مزقهـا التبشير والاستعمار فإن الكنيسة الكاثوليكية أصبحت تدير معظم الجهاز التعليمي فيها . ثم تكتب المجلة تحت عنوان : « القسسة » قائلة : إن قبول أول راهب افريقي كاثوليكي كان في عام ١٨٤٣م وذلك بعد أكثر من ٣٥٠ عاماً على وصول البرتغاليين إفريقيا وإيصالهم الكاثوليكية إليهـا . بينما المثال الإسلامي الرائع يظهر أنه بمجرد تحول بلال الحبشي إلى دار الاسلام تحول معها إلى عضو إسلامي صحابي بارز . ولم ينتظر الأفارقة في جزيرة العرب أو افريقيا مئات السنين ليصبحوا أئمة للصلاة ..

ومن الغريب الآن أن الكنيسة الكاثوليكية تقبل الافريقي بتعدد زوجاته وبعاداته الوثنية وشمارها في ذلك : دعنا ننجل – من إنجيل – الـ ١٠٠ مليون افريقي الذين يتبعون الأديان القبلية الآن .

وكما تذكر مجلة التايم ، فإن الرقصات والصرخات تستعمل الآن لإقامة الشعائر الدينية حتى أن الطبول المحلية أخذت تستعمل بدلاً من الناقوس ، ولقد انتقد أحد اليوغنديين ذلك قائلاً :

– إن الأمر أصبح صاخباً كحفلة جمة .

وقد أنهى البابا زيارته ليوغندا بتعميد ٢٢ صبياً افريقياً ، وودع كما استقبل بحفاوة بالغة لم تشهد لها يوغندا نظيراً من قبل كل من الرؤساء الآتين :

ملتون أوبوتي رئيس يوغندا – المخلوع –

جوليوس انيريري رئيس تنزانيا .

كنيث كاوندا رئيس زامبيا .

ميشيل موكومبيرو رئيس بوروندي .

غريغور كاي باندا رئيس رواندا .

ونظراً لما تقدم فإن الحركة الجبـــارة التي يقوم بها دهاقنة الكنيسة وعلى المستويات العالية جداً سيكون من شأنها أولاً :تثبيت أولئك الذين قد اكتسبوهم في الماضي ، وثانياً : فإن الوثنيين سيكونون أكثر رغبة في الدين المسيحي من دين المسلمين الذين يعانون الانحطاط الاقتصادي والتعليمي لأسباب جمة أهمها وأشدها خطراً وفتكاً بهم كلما تقدمت الأيام تركتهم حيارى في الميدان يقاسون كل مشاكلهم الصعبة ومآسيهم المتلاحقة ،فلا حكوماتهم المسيحية تحاول التخفيف من آلامهم ومشاكلهم ،ويكاد أن يكون هذا من رابع المستحيلات ، ولا الحكومات الإسلامية والعربية تحاول أن تتفهم بعمق حق الإسلام عليها تجاه هؤلاء . .

٣ – تنجنيقا

جغرافيتها : تقع تنجنيقا بين البحيرات الكبرى في أواسط افريقيا والمحيط الهندي ، وتمتد إلى جنوب خط الاستواء تماماً ، ولها شواطىء على طول ٥٠٠ ميل تقريباً .

حدودها : يحد تنجنيقا إلى الشمال كينيا وبحيرة فيكتوريا ويوغندا ، وإلى الغرب : مستعمرات بلجيكا السابقة وبحيرة تنجنيقا . وإلى الجنوب الغربي : روديسيا الشمالية ونياسالند وبحيرة نياسا . وإلى الجنوب : افريقيا الشرقية وإلى الشرق : المحيط الهندي .

ويقع الاحقيان من التكوين الطوبوغرافي لكل القارة الافريقية بين حدود تنجنيقا قمة جبل – كيليمنجارو – المكللة دائماً بالثلج والتي ترتفع إلى علو ١٩٬٣٤٠ قدماً فوق سطح البحر .

مساحتها : تبلغ مساحة تنجنيقا ٣٦١٬٨٠٠ ميلا مربعاً ، منها ٢٠٬٠٠٠ ميل مربع من مياه البحيرات الكبرى .

مناخها : هناك ثلاث مناطق مناخية رئيسية في تنجنيقا: المنطقة الساحلية ،

القطعة المباشرة من البلاد حيث يسود المناخ الاستوائي، ثم السهل المرتفع الأوسط الذي يتمتع بحرارة مرتفعة وجفاف كبير ، وأخيراً المنـاطق المتمتعة بمناخ معتدل في القسم الداخلي من البـلاد ، حيث يسود مناخ صحي ومنعش لمعظم أجزاء البلاد .. وبما أن البلاد بكاملها تقع بين خطي الاستواء فإن الشروط المناخية على الشواطىء حارة رطبة .

السكان : بلغ عدد السكان حسب آخر إحصاء أجري في عام ١٩٦٢م : (٩،٥٣٨،٠٠٠) نسمة . ومن المعتقد الآن أن العدد قـــد ارتفع متجاوزاً العشرة ملايين نسمة .

وهناك ثلاث ديانات رئيسية في تنجنيقا : (١) الإسلام . (٢) المسيحية (٣) الهندوسية. وما زال عدد كبير من السكان الافريقيين لادينيين وآخرون وثنيين .

مدنها الرئيسية : دار السلام وهي العـاصمة للاتحاد ، وتانقا ، وموانزا ، وتابورا ، وموشي .

مواردها الاقتصادية : الزراعة هي أهم واردات البلاد الاقتصادية . والقسم الأكبر من أراضي البلاد مزروع على الطريقة المحلية من قبل فلاحين افريقيين ينتجون المحاصيل الزراعية للاستهلاك المحلي .

ومن أهم المحاصيل الزراعية المنتجة في البلاد هي السيسال، القطن، الشاي. وهناك محاصيل أُخرى كالتبغ والبيروثروم، والزيوت، والسكر، وشمع العسل، والكابوك ، والكاسفا .

ثم هناك تقريبـــاً ٤٢ في المئة من مجموع مساحة أراضي تنجنيقا مكسوة بالأحراج أو بالغابات في حين أن ١٣٩،٧٢٤ ميلاً مربعاً من هذه المساحة منتجة للأخشاب وغيرها .

المنتوجات المعدنية المستثمرة: تستثمر المعادن على نطاق لا بأس به، وهي الماس والذهب والرصاص، كما تستثمر أيضاً الميكا والقصدير. ويأتي الماس من منطقة تمتد على حدود البحيرة في المقاطعات الوسطى والغربية، وعلى بعد ثمانين ميلاً تقريباً من بحيرة فيكتوريا. وتصدر الانتاج الرئيسي من منجم (موادوي). ويوجد الذهب في أمكنة عديدة من البلاد وخاصة في مناطق (جيا .وموسوما) من مقاطعة البحيرة، هذا عدا المعادن الأخرى المستثمرة في البلاد.. فهي : الرصاص، والميكا، والقصدير، والفحم، والملح، والكاولين الفخار الصيني، والمنزيت، والغرافيت.

نبذة تاريخية عن الأدوار التي مرت بتنجنيقا[1]

تاريخ تنجنيقا القديم هو في الغالب قصة تطور التجارة بين ساحل إفريقيا الشرقية من جهة ، وشبه الجزيرة العربية والهند من جهة أخرى .

في القرن الأول بعد الميلاد كان الساحل الذي هو الآن قسم من تنجنيقا لمدة طويلة تحت سلطة حاكم شبه الجزيرة العربية الجنوبية الغربية .

واستمرت الهجرة العربية تتدفق على الساحل من الخليج العربي واليمن فساهموا في انعاش التجارة، وشغلوا الأيدي العاملة، وكانوا كلما تكاثروا هناك كلما مكنتهم الحياة من بسط النفوذ ، وقد نشط الاستقرار العربي ما بين القرنين الثامن والحادي عشر .. وأدى لقيام دويلات صغيرة على طول ساحل إفريقيا الشرقية .

وهذه السلطنات التي برزت واشتهرت منذ القرن الحادي عشر كانت تدعى امبراطورية زنج . و« كلوا» كانت عاصمة لإمبراطوريتهم .

---

(١) نقل هذا الموضوع من عدة مراجع ومن أهمها :تقرير أحمد النوادي الاجتماعية « بدار السلام » تنجنيقا .. وقد وافقت معلوماته ما استقاه مؤتمر العالم الاسلامي في « كراتشي » .. من المصادر التاريخية والتقارير الوطنية ، ومع اختلاف بسيط يعود إلى الترجمة .

إن ابن بطوطة - الرحالة العظيم - الذي زار الساحل الإفريقي الشرقي سنة ١٣٢٨ ميلادية يلمّح إلى الشعب الزنجباري كزنوج مسلمين . وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر امتد نفوذ هذه الممالك إلى المناطق الساحلية لإفريقيا الشرقية بأكملها . وقد كانت «كلوا» المدينة مستودعاً تقع على الطرق التجارية للشمال والشرق .. ومركزاً لتجارة العاج إلى الصين الوسطى، ولتجارة الذهب إلى للبحر الأبيض المتوسط .

إن خرائب « كلوا»و « سانقومنارا»المهيبة،والعثور على عدة قطع نقدية كان قد صكها السلاطين لتشهد بنجاحهم ورخائهم وقوتهم . وثمة كميات هائلة من الخزف والفخار الصيني من (صنع الطابع العربي) لتقدم دليلاً ثابتاً على تجارتهم .

لقد أخذت الإمبراطورية الزنجبارية بالتدهور حالاً بعد ظهور البرتغاليين في البحار الإفريقية في نهاية القرن الخامس عشر .

لقد استولى البرتغاليون على مدينة (كلوا) سنة ١٥٠٥ م . وعاثوا فيها فساداً - قتلاً ، ونهباً ، وتدميراً - فدّمروا معظم الثلثمائة جامع التي كانت في تلك المدينة .وقد استشهد الألوف من المسلمين حين تعرض الغازي لهدم المساجد وحرق المصاحف وكانت المساجد يومئذ عبارة عن مكان للعبادة ومدرسة للتعليم وناد للاجتماعات الإسلامية . ولم يتوقف البرتغاليون عند حدهم هذا .. بل استمر زحفهم إلى كل أقطار إفريقيا الشرقية المأهولة بالمسلمين .واستولوا على (ممباسا) و (مقديشو) ومضت فترة من الزمن والبرتغال تتحكم في حكم الساحل الإفريقي الشرقي والشعب كل الشعب يئن تحت وطأة القوة الغاشمة حتى نهاية القرن السادس عشر ، إذ شرع العرب والأتراك يسببون للبرتغاليين متاعب أقلقتهم لا في الساحل الشرقي - فحسب - بل في كل بلد احتله البرتغاليون في إفريقيا في الجزيرة العربية في الهند .

ولقد كانت لأمة عُمان في غضون ١٥٩٢ م . تأثير دولي عظيم في الأساطيل البحرية ، وقد أسفرت هذه القوة عن نتائج بلغت ذروة المجد والعز بفتوحات « سيف بن سلطان » وبالقضاء على البرتغاليين نسبياً في شمال (موزنبيق) ، وفي القرن الثامن عشر استعادت (كلوا) بعضاً من ازدهارها التليد الغابر ، وكانت مع كل المدن الساحلية تعيش عيشة رغيدة ملؤها الاستقرار تحت الحكم العماني ، فقد وزع على كل مدينة وقرية حاكماً يحفظ نظامها ويرعى شؤون مصالحها ، وقد وزع الحكام على المدن التالية (ممباسا ، زنجبار ، كلوا ، باتي) بالقرب من لامو المدينة العلمية المشهورة .

وما لبثت موالاة هذه المدن للحكم العماني حتى أخذت تضمحل شيئاً فشيئاً ، فنقل سعيد الخامس من العائلة الحاكمة عاصمته من « مسقط » الى « زنجبار » عام ١٨٣٢ م . وعندما اختاره الله لجواره عام ١٨٥٦ م قسمت مملكته بين ولديه ، وكان القطاع الإفريقي من نصيب « مجيد » الذي خلفه أخوه الأصغر « برغش بن سعيد » سنة ١٨٧٠ م . وعرف لدى العموم في الساحل الإفريقي والدول الأخرى – بسلطان زنجبار – وقد بسط نفوذه بالإضافة إلى جزيرة زنجبار وبيمبا « الجزيرة الخضراء » ومافيا على طول الساحل الشرقي الإفريقي من رأس « ديلجادو » شمالاً إلى بعض الموانىء الصومالية مع توسع غير محدد تماماً في أرض البلاد الداخلية . ولقد عاش السلطان « برغش » على أي حال ليشهد الغدر والخيانة الغربية ، فجزئت دولته بواسطة بريطانيا ، والمانيا ، وإيطاليا .

وفي – آذار – عام ١٨٨٨ م. ترك لخليفته « سيد خليفة » مجرد جزء من بلاده التي كان قد حكمها ذات مرة. وقسّمت الأقاليم من الدولة التي استولت إيطاليا على القسم الشمالي ، وبريطانيا على القسم الأوسط ... وأصبح يعرف فيما بعد بمحمية « كينيا » ، وألمانيا حازت على القسم الجنوبي (وعرف فيما بعد بتنجنيقا)

كما جعلت أيضاً جزر « مافيا » و« زنجبار » و« بيمبا » محميات بريطانية إبان الحرب الكونية الأولى التي انتزعت الجيوش البريطانية بلاد «تنجنيقا» من الألمان سنة ١٩١٦ م. وفي سنة ١٩١٧ م. انتدبت بريطانيا من قبل الجيوش المتحالفة لتحكم البلاد ، وقد صدقت عصبة الأمم على هذا القرار سنة ١٩٢٢ م.

استمرت ادارة شئون « تنجنيقا » تحت شروط عصبة الأمم إلى أن حولت إلى نظام وصاية بموجب اعلان الأمم المتحدة بواسطة اتفاقية الوساطة في٣ كانون الأول سنة ١٩٤٦ م. ثم اتخذت الأمم المتحدة حلاً يقضي بانهاء اتفاقية الوصاية في ٢١ نيسان ١٩٦١ م . وأصبحت « تنجنيقا » مستقلة استقلالاً تاماً ضمن الكومنولث البريطاني في ٩ كانون الأول ١٩٦١ م. وفي الرابع عشر من كانون الأول أصبحت عضواً في الامم المتحدة ، وفي الثاني والعشرين على شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٢ م استقال (جوليوس أنيريري) الذي سبق أن انتخب رئيساً للوزراء في أيار سنة ١٩٦٢ م من منصب رئاسة الوزراء كي يكرّس نفسه ليكوّن مؤزارة شعبية لحكم (اتحاد تنجنيقا الوطني الافريقي) وحل محله الشيخ رشيد كواوا ، الذي كان وزيراً في وزارة« أنيريري السابقة » .

وفي شهر أيار ذاته ١٩٦٢ صرح الشيخ رشيد كواوا بأن حكومته قد قررت بأن تنجنيقا يجب أن تصبح جمهورية ضمن « الكومونولث البريطاني في شهر كانون الاول ١٩٦٢ م وفي ذلك الشهر انتخب « جوليس انيريري »رئيساً لحكومة تنجنيقا » وأصبح الشيخ رشيد كواوا » نائباً للرئيس ..

زنجبار

جغرافيتها : تقع جزيرة زنجبار في المحيط الهندي على بعد عشرين ميلاً من الساحل الافريقي ، وتبلغ مساحتها نحو ٦٤٠ ميلا مربعاً . ولقد كان لزنجبار البلد الإسلامي العريق تاريخ مجيد وأي تاريخ ؟؟

فقد كانت بحق نجمة بيضاء في سماء افريقيا الشرقية ، كما كانت مبعث الأمل ومنطلق الإسلام وحصنه الحصين . وتتألف زنجبار من جزئين :

الأولى : « زنجبار » (Zanzibar) .

الثانية : « بيمبا (pemba » .

وهناك جزر صغيرة واقعة ضمن مياهها الاقليمية . وجزيرة « لاثام » وهي غير مأهولة .. وتقع على مسافة أربعين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من جزيرة زنجبار .

وزنجبار مفصولة تماماً عن الأراضي الافريقية الرئيسية (تنجانيقا) بقناة عرضها الأدنى اثنان وعشرون ميلاً ونصف .

مساحتها : تغطي مساحة جزيرة زنجبار ٦٤٠ ميلا مربعاً وهي أكبر جزيرة على الشاطىء الافريقي الشرقي .

وتغطي مساحة « بيمبا » ويطلق عليها الجزيرة الخضراء ٣٨٠ ميلا مربعاً ،

ويتكون الثلثان الواقعان في أواسط البلاد وشرقها من أراضٍ واطئة ضعيفة الري . أما الثلث الباقي من الناحية الغربية للجزيرة فخصبة جيدة الري مع عدة حواجز صخرية ترتفع إلى ٢٠٠ قدم وأهمها يرتفع إلى ٣٩٠ قدماً فوق سطح البحر .. وتتألف جزيرة بيمبا من حاجز أرضي مسطح يمتد بعرض ستة أميال تقطعه بعض السواقي وترتفع قمته القصوى إلى ٣١١ قدماً فوق سطح البحر ، وباستثناء حزام ضيق من الأراضي الأرجوانية القاحلة ، الواقعة في القسم الشرقي من الجزيرة .

دخول الاسلام إلى جزيرة زنجبار :

أشرنا فيما سبق من ثنايا الكتاب ، أن العرب المسلمين استوطنوا افريقيا الشرقية عام ٦٥هـ (٦٨٤م) .

وقد دخل الإسلام إلى زنجبار في ذلك التاريخ حيث لم تعرف افريقيا الشرقية بهذه التقسيمات الحالية ، بل كانت منطقة واحدة ، وكان العرب والشيرازيون يقطنون السواحل منها – فنظموا موانئها وأقاموا منها مرافىء عالمية في يومها ، تبحر منها سفنهم الشراعية إلى الجزيرة والخليج والهند .

وبهذا فقد عرفت زنجبار الدين الإسلامي قبل وصول الحكام العثمانيين بعدة قرون .

حقائق وأرقام :

إن النتائج الخالصة التي أسفر عنها الاختلاط العربي الافريقي في افريقيا الشرقية إبّان الأربعة عشر قرناً الماضية هي :

١ – ثبات الكيان الصومالي الشجاع ، وكلهم مسلمون متعصبون أشد

التعصب للثقافة العربية الإسلامية ، وقد تم إنشاء هـذا الكيان في استخلاص دولته المستقلة المنتمية إلى عضوية الأمم المتحدة .

٢ – إن ما يقرب من ٧٥ بالمائة من شعب تنزانيا هم مسلمون ، ولو أنهم متخلفون ثقافياً .

٣ – إن المسلمين يؤلفون أكثرية تبلغ ٧٠ بالمائة في مقاطعة الحدود الشمالية التي تمثل نصف مساحـة القطاع الساحلي المطل على المحيط الهندي وتبلغ مساحتها ١١٦,٧٨٢ ميلاً مربعـاً – وتقع بين يوغندا – والصومال – والحبشة – والمقاطعـة الوسطى والجنوبيـة في كينيا .

وبالتحديد قسمت مقاطعة الحدود الشمالية إلى ستة أقاليم هي :

« أ » منديرا ، أوجير ، قاريسا ، وتقع في الجزء الشرقي .

«ب» مايال ، مارسبيت ، اسيولو ، وتقع في الجزء الغربي .

يضاف إلى ذلك إقليم توركانا ، إلى الغرب من بحيرة « رودولف »

٤ – إن المسلمين يشكلون أكثرية في :

« أ » زنجبار وملحقاتها .

«ب» القطاع الساحلي في كينيا :

مشكلة توحيد المسلمين :

والشيء الذي يثير الاهتمام هو أن هناك مشكلة معقدة حاكهـا الاستعمار حين كان يطبق سياسة (فرّق تسد) هذه المشكلة هي أم المشاكل التي يعانيها المسلمون في افريقيا الشرقية ، والأكثر إلحاحاً من بين جميع المشاكل مشكلة توحيد الأجناس والقبائل والطوائف والطبقات في أمة إسلامية واحـدة فوق

الاعتبارات العنصرية [1] .

إننا نجد المسلمين هناك وللأسف الشديد تتنابهم التقسيمات القبلية،والطائفية، والطبقية ، وكلهم لا يشعرون إلا شعوراً ضئيلاً وضئيلاً جداً بالوحدة والأخوة فيما بينهم .

وانعدام مشاعر الأخوة هذه، هي أكبر عقبة في سبيل عزمهم،وما لم يتدارك أولي الأمر منهم وأصحاب اليسار من رجال المال القيام بما يجب عليهم نحو المتخلفين منهم والمساكين من إخوانهم في الدين كفريضة عليهم لا منة واستعلاء- وهذا لعمري ضروري وأساسي لبقاء المسلمين كياناً متحداً مع الدولة التي تحكمه أياً كانت- فما لم يصبح المسلمون أمة إسلامية وسطاً بين الطوائف الأخرى، تجمع بينهم الأخوة ، فليس لهم أن يطمحوا مستقبلاً في شيء يمكن أن نسميه حياة إسلامية بالمفهوم الإسلامي الصحيح ..

إن مشكلة توحيد المسلمين العرب والسواحليين والأفارقة والآسيويين وصهرهم في أمة إسلامية واحدة هي مشكلة وجودهم بالذات ، وشرط حريتهم في كل افريقيا الشرقية ..

إن المسلمين الأفارقة يرتابون كثيراً بالمسلمين عرباً وآسيويين،ويشكون من أن العرب قد تقاعسوا عن العمل من أجل النهوض بإخوانهم المسلمين الأفارقة . فما لم يزل هذا الشعور بعدم الثقة والاطمئنان وينصهر المسلمون الأفارقة والعرب والآسيويون في كيان واحد بهدف إسلامي واحد ، فليس هناك أي أمل أو

---

(١) ففي الساحل الكيني مثلاً نجد هناك المجتمع الاسلامي يمزق أشلاء بين عدة طوائف : فهناك العرب، والافريقيون السواحليون والاثنا عشر طائفة ، والشيعة الاثنعشرية،والآغاخانية الاسماعيلية ، والبهرة ، والميمن ، و ، و ، والجميع يقرون بالاسلام ديناً ولكن مع الأسف « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » فلم كل هذا !؟

مستقبل للمسلمين في هذه الرقعة من العالم .

إن على الطبقات الإسلامية الغنية أن تؤدي واجبها نحو « الأمة » وأن تكفّر عن إهمالها في الماضي للطبقات المتخلفة المحرومة ..

أما المسلمون الآسيويون بصورة عامة من باكستانيين ، وبنجاب ، وهنود ، وبلوخستان ، وإسماعيلية ، واثنعشرية ، وبهرة ، فيجب أن يتحرروا من تلك العزلة التي تزري بالوضع الاسلامي في الشرق الافريقي ، فإن منهم وكثير منهم من لا يهتمون أي اهتمام بشؤون المجتمع الإسلامي ورفاهيّة أتباعه ، من دونهم ، وهذا الشعور البرهمي القائم على العزلة الطائفية ، أو العنصرية ، أو المذهبية ، هو شعور قتّال مميت لمستقبلهم فضلاً عن أنه مخالف ومغاير لتعاليم الإسلام وتعاليم القرآن ، فما لم يهبُّوا بدافع من إيمانهم بالله وأخوتهم الإسلامية فإن يومهم لآت – في افريقيا الشرقية الحرة .

وأخيراً تعترضنا هنا « مشكلة الثقافة الاسلامية » بافريقيا الشرقية ! !

إن مشكلة التآخي الثقافي هي وصمة عار على جبين المجتمع الإسلامي في كل أقطاره شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً . إنها المشكلة الثانية بعد مشكلة التكافل الطبقي ، ومشكلة الثقافة الإسلامية هي مشكلة الوجود للكيان الإسلامي ، إنها المشكلة التي تتوقف عليها « صيرورة الأمة الإسلامية » أُمة متميزة . ولهذه الغاية يمكن اتباع الطرق الآتية :

١ – إنشاء جامعة إسلامية ، تُشاد على أرض شاسعة بوصفها الجامعة المركزية الإسلامية التي تلبي حاجات الشباب المسلم المثقف في افريقيا الشرقية والوسطى وتوفّر لهم الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية والفنية .

٢ – السعي وراء تحقيق إنشاء مؤتمر ثقافي إسلامي لإفريقيا الشرقيـة على طراز المؤتمر الثقافي الإسلامي لعموم الهند الذي نظمه سير « سيد

أحمد خان » في عليكره « الهند » ويجب أن ينظم على أُسس سليمة وأن يكون من أعضائه الموظفون والإداريون في الأجهزة الحكومية من المسلمين الخ .

٣ – يجب إنشاء بعض المدارس الفنية ، والكليات العلمية ، والمعاهد الاسلامية على أن تتعاون في ذلك الدول العربية والاسلامية .

٤ – إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى – المنتخب من المسلمين – لرعاية مصالح المسلمين الاجتماعية والثقافية والدينية في كل من يوغندا وتنزانيا وكينيا .

٥ – إنشاء بيت المال دستورياً لإدارة أموال الصدقات، والزكاة، والأوقاف، والمساجد، والمدارس ، والكليات ، والمياتم، وغير ذلك من المؤسسات الإسلامية .

وعلى الدول العربية والإسلامية تقديم المنح الدراسية على شتى المستويات للمسلمين الأفارقة ، كما عليها أيضاً إرسال بعثات تعليمية مؤهلة للتعليم – وأن يكون هذا التأهيل على مستوى من الاختبار – لا أخذاً بدعوى من يدعي ذلك حتى إذا ما بعثنا بهم وأنفقنا النفقات الطائلة ألفيناهم لا يعملون للدعوة أو الإرشاد أي شيء ، وهذا هو الحاصل . وأخيراً :

٦ – يجب على المسلمين جميعاً، أن يتخذوا مؤازرة حركات التحرر الافريقي مبدأ لهم دون أن يقرنوا أنفسهم بالعنصرية مهما كان شكلها .

عود إلى بدء :

.. أما معرفة الغربيين بسواحل افريقيا الشرقية وبالذات زنجبار فكما تحدثنا

في تضاعيف هذا الكتاب أنها لم تعرف إلا عندما مرّ عليها «فاسكو دي جاما» الرحالة البرتغالي المعروف ، وذلك عند عودته من الهند سنة ١٤٤٩ م . وعلى ضوء الظروف التي تمخضت بها أحداث ذلك الكشف الغربي الذي أُريد به استعمار الشعوب وإذلالها باستنزاف خيراتها وتسخير طاقاتها البشرية لخدمة السيد الأوروبي ، فقد وقعت زنجبار تحت الحكم البرتغالي سنة ١٥٠٣م واستمر هذا الحكم بطاغوته وجبروته قرابة قرنين .. ولم تخلص منه إلا بعد مشاورات بين الفئات الوطنية أسفرت عن طلب النجدة من سلطان عُمان ومسقط ، فلبى السلطان طلبهم وجهز جيشاً عربياً قوياً أبحرت به السفن الشراعية عن تلك الموانىء النائية وهاجمت البرتغاليين في طول الساحل الافريقي الشرقي وعرضه حتى أجلتهم جلاء كاملاً . وسيأتي تفصيل هذه الحوادث في موضعه من حديثنا.

وعلى اثر ما تم من التطهير الكلي للبرتغاليين أصبحت زنجبار وبيمبا قسماً من سلطنة عُمان ومسقط .

ولا يغرب عن بال امرىء أن هذا الحدث لم يكن يومئذ كما فسّره الغربيون المستعمرون ويفسره في الوقت الحاضر المغرضون من هنا وهناك .. بمثابة استعمار جديد . ولكن أنى لنا بكاتب للتاريخ الحق ؟ وبالذات في هذا الوقت الذي التبست فيه الحقائق وانعكست فيه الوقائع وأصبح الحق باطلاً ، والباطل حقاً .

لقد كان ذلك الحدث أولاً وأخيراً أمراً شرعياً افترضته ظروف تلك الأزمان التي حفّت بها المخاطر فعاشتها تلك البقاع قتلا ونهباً وسلباً ، بل وإبادة أثخن فيها المستعمر البرتغالي .

ولقد كانت تلك الأرجاء تغص بالمسلمين عرباً وافريقيين . وكانت الحرب .. وكانت الغارات سجالاً بينها وبين الدخيل البرتغالي الذي وافى تلك الديار الآمنة المأهولة والمعمورة بأهلها والمترابطة مع العرب منذ أقدم العصور حتى كان

التزاوج بينهم وكثر النسل ، فانعقدت بينهم أواصر القربى بالدم بعد تثبيت وشائجها بالإسلام الذي جعل منهم أُمة واحدة .. لا سيد ولا مسود إلا في حكم الأعراف الاجتماعية التي قضت بها السنن الكونية من تنصيب سلطان أو حاكم أو ما يندرج تحت مضمون هذه المفاهيم في كل مكان وعصر وزمان .

ولو لم يكن كل هذا لما رأينا الطلب المقدم الذي انعقدت عليه ساسة تلك البقاع يستحق شيئاً من الالتفات أو العناية ! وإلا ما الذي جاء بذلك الجيش المسلم الظافر ، الجيش الذي تكبد المشاق في سفنه البحرية وتعرض لهجمات الأسطول البرتغالي وهو يبحر من أرض عُمان العربية ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، فيقدم نفسه ونفيسه دفاعاً عن إخوة له في الدين والإنسانية ، ملبياً داعيهم ، مجيراً لهم مبدداً ما حلّ بهم من حيف .

أين المنصفون للتاريخ ؟؟

أين الذين يفرّقون بين محتل غربي حطّ قواه وتركها سائبة تفتك وتدمّر وتستعبد ، وهذا هو ما فعله البرتغاليون وما شهد لهم تاريخ تلك الجهات بأكثر من هذه الدلائل وهي ماثلة الأثر في أكثر من بقعة في تلك الجهات . فبالرغم من استعمار دام مائتي عام لم تحكِ لنا أسفارها التاريخية أنهم أشادوا معلماً أو أسسوا مدرسة . اللهم إلا ما كان من تضافر القوى الوطنية . ولا نجد له فضلاً في ذلك أو غيره بأكثر مما قام به من تشييد الحصون والقلاع لتحميه من غضب الأمة إذا ما ثار ثائرها .. وإلا أكثر مما أشاده من سجون ومحاكم ، سجون ادّخر فيها عشرات الألوف من الرقيق ، ومحاكم سادتها أعراف الظلم والجبروت .

إن « موزنبيق » التي شهدت أول قدم برتغالي وطأتها في عام ١٤٩٧م ، لا تزال إلى اليوم والغد تئن تحت وطأة جبروته ، والعالم أجمع بحكوماته وهيئاته يدرك هذا ! فماذا فعل ؟؟ ستة ملايين أو يزيدون تحكمهم طغمة من الغزاة بالحديد والنار والقمع والإبادة . ولا يتحرك لهذا أو يهتز العالم الذي يسمونه بالعالم الحر في القرن العشرين !!

هذا حديث الحاضر وحقائقه ، وأكثر منهـــا هناك في جنوب افريقيا ، وروديسيا. وفي الماضي في عام ١٥٠٥م يبحر أعنف أسطول من البرتغال يتألف من عشرين سفينة عليها ١٥٠٠ محارب بقيادة الاميرال « فرنسيسكو دو أليدا » إلى أين يا ترى ....؟

إلى افريقيا الشرقية .. الآمنة المطمئنة بأهلها إفريقيون وعربـاً يعيشون في التحام ووئام – فيصلها ليحتل بالقوة مدينة « سفالة » مدينة الذهب ثم مدينة « كلوا » وبعدها ممباسا – فقاتله أهلها المسلمون قتالاً شديداً ، ولكنه استطاع احتلالها أخيراً فنهبها وأحرقها. ولما خرج جنده منها رجع إليها الأهالي الفارون وكتب شيخها العربي المسلم إلى شيخ مدينة ماليندي [1] يصف الحالة في مدينته ويحذر زميله فقال : « ليس فيها حي ولا رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير ولا طفل ولا رضيع وكل من عجز عن الهرب قتل أو مات حرقاً » .

في عام ١٥٠٦م توجهت حملة برتغالية مؤلفة من أربع عشرة سفينة شمالاً إلى « لامر » فخضعت هذه ودفعت الجزية . وجاء دور مدينة « اوجا » فرفضت الخضوع للبرتغاليين كما رفضت دفع الجزية وقال أهلها : إنهم لا يعترفون بسلطان أحد عليهم إلا لمصر والخليفة فيها ، فهاجمها البرتغاليون وأحرقوها وتقدموا إلى « براوة » [2] ، وقاومتهم المدينة مقاومة باسلة منقطعة النظير ، ولكن البرتغاليين انتصروا عليها فأحرقوها..وأخيراً أقام البرتغاليون في سفالة وموزنبيق وكلوا [3]

---

(١) Malindi تبعد عن مدينة ممباسا بـ ٧٥ ميلا وهي مدينة سياحية خلابة ، وقد أقام فيها اليهود حالياً عدة فنادق ومباني أخرى تمهيداً لغزو يبدأ فكراً وحضارة وينتهي بالسيطرة على ثروات البلاد .

(٢) براوة : إقليم كبير في الجزء الشمالي من الجمهورية الصومالية . وجميع سكانه حالياً من المسلمين الصوماليين والعرب المهاجرين من حضرموت الداخل والشّحر ..

(٣) سفالة في القديم مدينة من مدن تنجنيقا وقد تغيرت معالمها حالياً وكأن لم تكن وأصبح شأنها شأن « كلوا » التي لم يبق منها إلا آثارهـا . أما موزنبيق فلا تزال مدينة حية يحكمهـــا البرتغاليون إلى الآن .

حكماً مباشراً تسنده الحاميات والأساطيل البحرية القوية ، فضعف حكم العرب والافريقيين ، وارتحل عدد كبير منهم إلى الشمال . أما « كلوا » فقد كادت تنطمس آثارها . وأما موزنبيق وسفالة فلم يبق فيها أي أثر للعرب فاستعمرتا حتى هذا اليوم كما أسلفنا . . وبالنسبة للشمال من الساحل لم يتعد سلطان البرتغال وجود جماعات من التجار بدون حصون وحاميات وأساطيل وإن كانت أساطيل البرتغاليين تزورها أحياناً لجمع الجزية قهراً وقسراً . ونتيجة لضغط البرتغاليين انقطعت الصلة تقريباً بين هذه المدن وبين الوطن الأم البلاد العربية الجنوبية التي كانت تمدها دائماً بأفواج قوية من أبنائها . ولم يستطع البرتغاليون التوغل في داخل افريقيا الشرقية ، وقد حاول المبشرون منهم التبشير بالدين المسيحي ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً . . لأنه ليس من المعقول تقديم دين المسيح على فوهة مدفع ؟؟ في حين كانت هذه المناطق بأكثريتها إسلامية ومن لدن العقد السابع للقرن الأول الهجري .

دخول الحكم العماني العربي في زنجبار

متى وكيف بدأ .. وما هي حوافزه ؟؟؟

وكيف انتهى .. وما أسباب ذلك ؟؟

سؤالان يحيران المؤرخ الحاذق بم يجيب ؟ وعمّ يكتب ؟

متناقضات تتناثر أمام مخيلته ، حقائق في واجهة وأكاذيب في أخرى ، عدل في جانب ومكر وخداع في جانب آخر . إنسانية تبني لتحيي وتشيد وتسعى جاهدة للعيش في أمن وسلام . وأخرى تخسف وتبيد وتشتت لترضي الضمائر الحاقدة ولتشبع الغرائز النهمة . وعلام كل هذا ؟ ومن المستفيد غير الاستعمار؟الاستعمار الغربي الذي ما برح منذ عرف إفريقيا حتى اليوم وهو يسعى جاهداً في إشعال الفتن وإثارة الأحقاد والضغائن ، وتلك طريقته ، وعليها نشأ وبها ساد وكانت غايته دائماً وأبداً « فرّق تسد » .

إن الإجابة عن كل ذلك شبكة من الفكر متعددة الخيوط بحيث يشعر كل من يكتب الحقائق التاريخ بتجرد ونزاهة الصعوبة في تمييزها وتشخيصها وإعطائها حقها من الواقع ، ولعلها قاعدة تاريخية عامة أنه حينما تتصارع عقليتان الواحدة بالأخرى ، ويحدث تبادل في الأفكار فإن العناصر الآخذة تجتذب بما هو أكثر اتفاقاً في العقلية الأخرى .

لم يكن الحكم العماني لزنجبار احتلالاً أو استعماراً . وإنما كان كما أعربنا أكثر من مرة في هذه الحقائق .. تلبية حية واستجابة شريفة لإخوة له في العقيدة والجنس وهذه أحداث التاريخ وسطوره تحكي لنا جلية الأمر .

وليس بإمكان شخص ما ان يزوّر الحقائق ويجعل من الباطل حقاً ومن الحق باطلاً .. مهما أوتي من علم ، طالما أن الحقائق التاريخية وعلى مرّ العصور هي حقائق دائماً وأبداً .

ولذا فليس بإمكان الذين زوّروا التاريخ وافتروا به على الواقع العربي والمسلم في أقطار إفريقيا الشرقية أن يحطوا من شأن العدالة السماوية التي تمهل ولا تهمل كما أنه ليس أيضاً بإمكاننا ونحن كما يعلم (الله) نكتب للتاريخ المحض أن نضيف وجهاً جديداً للتاريخ العربي الإسلامي في زنجبار الإسلامية . أو أن نزيد من حقائقه الناصعة التي عمل المستمر الغربي والحاقدون في ركابه على طمسها وعلى إسدال ستار صفيق في وجهه . ثم ألبسوه مرة أُخرى وجهاً مصطنعاً تقرأه على مضض وتدرسه فلا تجد فيه كلمة واحدة تشفع للكاتبين الموتورين فيه انهم حقاً كانوا كتّاب تاريخ !!

أولم يسجل التاريخ شهامة العرب وبطولاتهم على طول السواحل الإفريقية دفاعاً عن اخوانهم في العقيدة والدم وذلك حين انبروا لمقاومة الاحتلال البرتغالي فاستطاعوا تحريرها ؟؟

ولم يسجل التاريخ اشتراك الاوربيين في قتال البرتغال في تلك الأرجاء بل من يدري ؟ فلعل أوروبا في ذلك الوقت كانت من وراء الستار البرتغالي تمده وتؤازره كما فعلت في حروبها الصليبية ضد المسلمين في كل مكان . ولو أدرك المواطن الغربي يومئذ أن العرب هناك والمسلمين ثمة من ورائهم لا يدافعون عن وطن ، ولا يدافعون عن أخوة ، ولا يدافعون عن حق ، لما ترك لهم مجالاً ولآثر اخوته

في العقيدة المسيحية فكان معها يداً واحدة على هؤلاء المسلمون .

بل قد فعل العكس من هذا.. حينما ضربت بريطانيا مختلف القوى لمصلحتها فتحالفت مع هؤلاء لنداء ، يقول أحد دهاة الاستعماريين البريطانيين : « ليس هناك أصدقاء أو أعداء لبريطانيا ولكن هناك مصلحة بريطانية وهي التي تملي علينا سياستنا ، وإذا فرضنا جدلاً أن الغرب يومئذ يقصد خذلان البرتغال وهي دولة مسيحية ، فلم لم يقف مكتوف اليد من ذي قبل حين احتلت العـــرب إيطاليا ، وفرنسا ، وإسبانيا .

وهكذا فإن دخول الحكم العماني العربي في زنجبار لم يكن فلتة من فلتات الزمن ولم يكن غزواً أو اعتداء . وإنما وقع كما تحكيه لنا الروايات التاريخية الموثوق بها « أنه في نهاية عـام ١٦٥٠ – ١٦٥٢ م. على اختلاف بسيـط في الأعوام قام الامام « سلطان بن سيف اليعـربي بطرد البرتغاليـين من مسقط والجزيرة العربية ، فسارت أنباء انتصاراته إلى إفريقيا الشرقية وكانت يومها ترزح تحت نير الغزو البرتغالي وتقاسي منه شتى صنوف الأذى والاستعبـــاد والجبروت بعد أن سلمت له كل المدن والقرى الإسلامية وعلى طول خط الشريط الساحلي .

وبحكم العلاقات الودية المستحكمة بين تلك الجهات والجزيرة العربية منذ آماد سحيقة والتي كانت في البداية تجارية ثم تطورت بعد انتشار الإسلام وأصبحت مزيجاً من العلاقات الدينية والدنيوية عقد أولي الحل والعقد والرأي عدة اجتماعات واتصالات أسفرت بالإجماع عن طلب النجدة من الإمام ، وكخطوة أولى جهز الامام جيشاً عربياً مقاتلاً أبحرت به السفن الشراعية من عمان – فهاجم باتي – « وزنجبار » وحطم البرتغاليين ومحاحامياتهم في الجهتين المذكورة .

وفي عام ١٦٦٠ م أعاد الإمام الكرة بأسطول قوي . فاحتل من البرتغاليين

(فازا) و(ممباسا) ومضى الاسطول جنوباً حتى وصل إلى موزمبيق عـــام ١٦٦٩ م وكان على وشك احتلالها من البرتغال .. ثم أقفلت جيوشه راجعة بعد أن قاومها الدخيل مقاومة عنيفة .[1] .

ونجد بعد هذا أن الأهالي المسلمون والعرب الذين طلبوا النجدة سابقاً لم يأمنوا مغبة الغازي المتربص بهم ، فجرت اتصالات ومفاوضات رغبت في أن يقيم الإمام حاميات عربية للاحتياط تحميهم من عودة الغزاة إذا مـــا حدثتهم أطباعهم بالعودة . إلا أن هذا العرض لم ينل من الإمام استحساناً وأجاب عنه المسؤولون إن المهمة التي جاء من أهلها الجيش العربي وقدم فيها نفوساً من الضحايا كريمة أدت واجباً نحو نصرة الضعيف أخاً كان في العقيـــدة أو الدم أو الإنسانية قد انتهت .

وفعلاً حصل ما كان يتوقعه المسلمون هناك . فما أن رحلت السفن الشراعية بجيشها عن الساحل حتى أوقع البرتغاليون عقاباً شديداً بكل من ساعد العمانيين — وطبعاً كان الشعب بقضه وقضيضه قد ساعد هؤلاء العرب ولو لم يكن ذلك لما تمكنت القلة العربية الضئيله الآتية من خارج الحدود زعزعة الغازي المتمكن بأساطيله وحامياته وجنده المرابطة على طول الشريط الساحلي — وهـذا أمر يعرف بالبداهة ، ففتك البرتغاليون بالرعايا فتكاً شديداً بحجة مساعدتهم للعرب وأحرقوا القرى وسلبوا المدن ودمروا المساجد على أهلها .

وبعد وفاة الإمام « سلطان بن سيف » وخلفه ولده « سيف بن سلطان »

---

(١) والمؤسف جداً - أن الأفريقيين حالياً والكثير منهم من أبناء تنزانيا — لا يعلمون شيئاً عن هذا التاريخ ، ومن يدري ، إذ لو لم يحدث هـذا لـكانت (تنزانيا) اليـوم في القرن العشرين ترزح تحت وطاة الاستعمار البرتغالي — كما هو الواقع في (موزنبيـــق) فمتى يدرك حكام زنجبار الحاقدون أن العرب الاوائل قد دافعوا عن هذه الأراضي شبراً شبراً حتى أجلوا عنها القوات الغربية البرتغالية — ولم يشأ جيش العرب أن يحتلها بل عاد أدراجه إلى جزيرته.

وكان رجل بأس وشجاعة، فقد تعقب البرتغاليون في البحار والمستعمرات وما حل عام ١٦٩٨م. إلا وقد استقرت الأوضاع هناك ونصب على كل مدينة وقرية حاكماً يرعى شؤونها ويحفظ مصالحها،وقد خلفه بعد وفاته في عام ١٧١١م ولده.

وتقول المصادر التاريخية أن الإمام الجديد كان ضعيف الشكيمة قاصر النظر حتى أحدثت تصرفاته الفتن والقلاقل وانشقت عصا القوم فاستغل الإيرانيون هذا الضعف والشقاق، فهاجموا عمان وفتحوها عنوة، كما استغل البرتغاليون هـــذا الإنقسام والبلاء الذي حل بدار المملكة - فعادوا كرة الغـــزو إلى الشريط الساحلي عام ١٧٢٧ م إلا أنهم لم يتمكنوا من النجاح كما سبق لهم من ذي قبل فقد صدتهم الحاميات التي سبق تمركزها على طول الساحل الشرقي لإفريقيـــا بالتضامن مع القوى الوطنية من المسلمين وقد دارت معارك طاحنة استشهد فيها كثير من المسلمين،واستبسل غيرهم استبسالاً كانت نتائجه نصراً كاملاً على الغازي المتربص حتى تم جلاء البرتغال تماماً وللمرة الأخيرة من إفريقيا الشرقية بفضل العرب والمسلمين من الإفريقيين .

وفي عام ١٧٣٠ م اقيمت انتخابات عامة في عمان حول الامامة ، ففاز بها استحقاقاً « أحمد بن سعيد » فكان بحق رجلها الوفي، إضافة إلى ما كان يتمتع به من القوة والبأس والشجاعة .. وحين باشر مهام منصبه ثار أول ما ثار في وجه الإحتلال الإيراني فقامت حرباً ضروساً بينه وبين الإيرانيين إلى أن هدّ من قواهم وأجبرهم على الجلاء كاملاً من «عمان » . وأنشأ بعد ذلك قيادة قوية كما قام فيحكمة بتوطيدالاستقرار الذي ساد البلاد فانتعشت ونمت باقتصاد عظيم.

وفي عام ١٧٤٦ م هب يعزز قواته في إفريقيا الشرقية فبعث بأسطـــول بحري واستمرت الأمور في كل من « عمان وإفريقيا الشرقية » هادئة آمنـــة فساد الرخاء وانتعشت التجارة وكثرت المواصلات البحرية وامتدت شبكاتها إلى كل أرجاء الخليج وإفريقيا والهند .

وهو أول من أطلق على السلطان المقيم في زنجبار كلمة « السيد » ومات بعد أن مكث على مقعد الحكم ٣٤ سنة كانت مثلاً رائعاً للحكم الجدير بالبقاء وكانت وفاته سنة ١٧٧٥ م ثم أخلفه ولده ،ولم يكن مؤهلاً للحكم ، ثم جاء بعده السيد « سعيد بن سلطان » وقضى نحبه عام ١٨٥٦ م بعد حكم دام ٥٢ عاماً .

وهكذا،فبعد وفاة سعيد بن سلطان قسمت البلاد بين ولديه«ثويني وماجد».

فالأول تولى الحكم في مسقط ، والثاني في زنجبار وما يتبعها من أملاك لعمان في شرقي إفريقيا ، وحصل نزاع بين الأخوين انتهى بإصدار حكم عام ١٨٦٢ م من الحاكم البريطاني يقضي بأن يدفع ماجد حاكم زنجبار إلى أخيه ثويني حاكم مسقط إتاوة سنوية مقدارها ٤٠ ألف ريال مقابل تنازل ثويني عن جميع مطالبه في جزيرة زنجبار وملحقاتها . ثم وضعها الانكليز تحت الحماية البريطانية عام ١٨٩٠ .

سلاطين الاسرة العمانية في زنجبار

١ – السيد سعيد بن سلطان	من ١٨٠٤ إلى ١٨٥٦
٢ – « ماجد بن سعيد	« ١٨٥٦ « ١٨٧٠
٣ – « برغش بن سعيد	« ١٨٧٠ « ١٨٨٨
٤ – « خليفة بن سعيد	« ١٨٨٨ « ١٨٩٠
٥ – « علي بن سعيد	« ١٨٩٠ « ١٨٩٣
٦ – « حامد بن ثويني	« ١٨٩٣ « ١٨٩٦
٧ – « خالد بن برغش (حاول السيطرة على الحكم ففشل)	
٨ – « حمود بن محمد	من ١٨٩٦ إلى ١٩٠٢
٩ – « علي بن حمود	« ١٩٠٢ « ١٩١١
١٠ – « خليفة بن حارب	« ١٩١١ « ١٩٦٠
١١ – « عبد الله بن خليفة	« ١٩٦٠ « ١٩٦٣
١٢ – « جمشيد بن عبد الله	« ١٩٦٣ « ١٩٦٤

وهكذا مضى الحكم الطويل برخائه وبؤسه ، بعدله وحيفه ، وقد كان

الكل مسلمين ولا زال الإسلام حتى يومنا هذا هو الدين السائد في الجزيرة كلها .
وتتميز زنجبار عن سائر مقاطعات شرقي افريقيا بظاهرتين :

الأولى – بروز المظاهر الاسلامية في شتى أنحاء الجزيرة .

الثانية – الطابع العربي في مظاهر المدنية الخارجية . كالمباني والطرقات ، ويعود ذلك إلى أصالة الإسلام في سكانها بصورة تكاد تشمل جميع السكان على اختلاف أجناسهم وإلى تولي المسلمين الحكم فيها خلال عهود طويلة متقادمة . ومما يغني عن الاسهاب فيما تعرضنا له حول الاسلام أن زنجبار وشقيقتها « بيمبا » تضمان على صغرهما ٣٧٥ مسجداً ، وبهذا نعلم إذا استعرضنا عدد السكان أن لكل مائة شخص مسجداً واحداً باستثناء النساء .

واللغة الشائعة في البلاد هي اللغة السواحلية وهي تكتب بحروف لاتينية وبحروف عربية .

وعلى الرغم من وجود مدارس لتعليم اللغة والدين فإن مستواها منخفض جداً .

وقد كانت زنجبار وفي زمن ليس ببعيد ، منتدى افريقيا الشرقية ، فقد أنجبت الدروس التي تلقى في أروقة المساجد نخبة من الرجال الأفذاذ الذين بلغوا أعلى المستويات العلمية الدينية .

ومعظم الأهالي هناك يشتغلون بالزراعة وأهم محصولاتهم هو القرنفل الذي يبلغ ٧٠ ٪ من الانتاج العالمي .. وقد حرص سلاطين عمان الأوائل أثناء حكمهم لزنجبار على تعليم اللغة العربية والدين ، وكان لذلك أثره في حفظ اللغة العربية والدّين في الجزيرة وبقية أجزاء الشريط الساحلي .

كما سعت الأحزاب الوطنية (العربية والافريقية) خلال فترة الاحتلال الانكليزي إلى إنشاء مدارس لتعليم اللغة العربية والدين على المستوى الرسمي ، ولكنها فشلت بحكم العوامل التي كانت تسير البلاد والعباد وفق مخطط مدروس من قبل السلطات الاستعمارية الغربية .

والدراسة في المدارس الابتدائية مدتها ست سنوات وهي باللغة السواحلية والانكليزية ، وتتخللها دروس عن اللغة العربية والدين الاسلامي. أما التعليم في المدارس الثانوية فهو بالانكليزية، وليس هناك تعليم عال،غير أن البعثات الوطنية الفردية والجماعية إلى الخارج قد استوفت أو سدت ما تحتاجه البلاد من الخبرات العالية في كل المجالات حتى امتدت بعملها الجدي إلى الأقطار المجاورة في افريقيا الشرقية . ولقد بلغت زنجبار في يوم مضى مستوى عالياً في محو الأمية بالنسبة لما عليه جاراتها من الأمية .

وقد عمدت السلطات البريطانية طيلة مدة احتلالها للجزيرة واستعمارهـا للأقطار الأخرى المجاورة على مقامة اللغة العربية والدين الإسلامي ، حتى تركت تعليم المادتين لا تتبع طريقة منهجية .

وهـذه طريقة استعمارية لعب بها وسار في ركابها ساسة الاستعمار في كل الأقطار الإسلامية التي خضعت لحمايته واستعماره فأثمرت له، وقطفنا من حصادها أمماً تنكرت لدينها ، وشعوباً قامت تقلل من شأن لغتها. كل ذلك لأن الاستعمار وقد غزا بلادنا عنوة أخذ وبكل ما أوتي من دهاء ومهارة وحذق أن يعلي من قيمة ثقافته فيفرضها على الصغير والكبير في قوالب تستهوي العقول وتستجذب الأفكار ، ثم هب جاهداً مستحثاً يقلل من قيمة الثقافات الوطنية للبلاد المحتلة حتى نال ما ابتغاه من سيطرة على البلاد والعباد منذ وطئت أقدامه حتى يومنا هذا !

وانقضى الحكم العربي الإسلامي في زنجبار بعد صراع طويل وحياة مليئـة بالمفاجآت ، خططتها يد الاستعمار منذ قرون عديدة .

ومن أبرز عوامل تلك المفاجآت ضعف الحكام وإخلادهم إلى التوافه من أمور الحياة واعتلائهم على الناس واعتقادهم أنهم المختارون الذين لا يُسألون عن شيء وهم يَسألون بالإضافة إلى القبضة القوية التي تمكن منها المستعمر ، فسيّرهم بالكيف

الذي أراده حينا أوجد فجوة واسعة بين الحاكم والمحكوم .. بين المواطن العربي المسلم والمواطن الافريقي المسلم .

وفي ظل هذه الظروف التي عاشتها زنجبار وملحقاتها أزماناً كان صلف الحاكمين يزداد في غباء وعدم إدراك لمستقبل الأحداث غباء ، سعى الاستعمار في دعمه وتحسينه ليبرأ منـــه ومن أهله يوم يحق الحق وتلقى الموازين بالقسط . تواجه كل هذه الحقائق في الخط المضاد قومية غذتهـا العنصرية البغيضة وقدحت زنادها دعايات الاستعمار وأجهزة أعلامه. وقد قامت الكنيسة برجالها وكتّابها بالشيء الكثير من ذلك

وجاء أوان الاستقلال فحصلت زنجبار على استقلالها من بريطانيا عام ١٩٦٣م بعد أن تربع على عرش سلطنتها السيد عبد الله بن خليفة في شهر تشرين الأول عام ١٩٦٠م أي بعــد وفاة والده السيد خليفة بن حارب ، وإثر وفاة عبدالله سنة ١٩٦٣م تربع على عرش السلطنة السيد جمشيد بن عبد الله ، وخلع الأخير عن العرش في انقلاب الثاني عشر من كانون الثاني سنة ١٩٦٤م وأعلنها الانقلاب جمهورية وكان أول رئيس لها هو « الشيخ عبيد كرومي » .

وقد سلكت الثورة في انقلابها سبيلاً اتسم بالشدة وعنف العنصرية ، وكان بامكانها اتخاذ الطريق النظيف طريق العدل والنزاهة ، طريق القيادة الحكيمة التي تترفع عن صغائر الأمور وعن إراقة دماء الأبرياء على حساب جرائر غيرهم، فمشت على المذابح للأنفس البريئة، وأسفرت أحداثها عن القيام بالأعمال الوحشية بين الإخوة في العقيدة والوطن . واستمر الإرهاب لإجبار المواطن المسلم العربي والهندي على الجلاء ومغادرة البلاد ، أو البقاء فيها تحفه المخاطر وتسومــه العنصرية ألواناً من التبكيت والتنديد فيعيش بذل في إنسانيته وبإهانـــة في كرامته ، وإذا كان المسؤولون لا يرضون بهذا فإن الحقائق قد تجلت بوضوح عن

ضعف في الجهاز الإداري وممالأته للعابثين الذين لا يعرفون معنى للعدالة ويحسبون أنهم بعد ذلك يحسنون صنعاً .

وفي الثالث والعشرين من نيسان عام ١٩٦٤ م انضمت الجمهورية الزنجبارية إلى تنجنيقا لتكوّن معـــاً الجمهورية المتحدة « لتنزانيا » وعيّن « جوليس نيريري » رئيساً للجمهورية المتحدة .. بينما عيّن الشيخ عبيد كرومي نائباً أول لرئيس الجمهورية !!

نشاط حركة التأليف الغربي حول تاريخ افريقيا !!

ظهرت باللغة الانكليزية في السنوات الأخيرة أكثر من مائة كتاب عن القارة الافريقية ومعظم عناوينها ينم عن مبلغ الأمل والحذر من هذه الجهة التي أحاط بها الظلام إلى القرن العشرين .

من عناوين هذه الكتب : « الأمل في افريقيا » ، و « الصحو الافريقي » و « افريقيا وصحوة الأسد » ، و « الافريقي اليوم وغداً » ، و « قضية الحرية الافريقية » ، و « افريقيا تنهض » ، و « قارة الغد »، و « الإسلام في افريقيا »، وفي أكثر من عشرات هذه الكتب لا تكاد تجد جهة افريقية أو مدينة عربية قديمة ذات أهمية إلا وجدت عنها فصلاً أو فصولاً .. وهذه الكتب تتناول كل شيء من وجهة نظر زاوية المؤلف .

غير أن كل كتاب من هذه الكتب يضم فوائد لا يستغنى عنها ، لأن البعض مؤلف على دراسات وزيارات .. وأحياناً تجربة شخصية ، ولولا ما يشوبها من التحامل الكثير وبالذات عند ذكر الاسلام والعرب والنظرة إلى الأمور من زوايا المصالح الأوربية وحدها لكانت كتباً نافعة بالنسبة للقارة وبالذات الاستوائي منها والشرقي . والغربي الانكليزي حين يكتب عن افريقيا نجده غالباً يجعل مرجعه أحد الذين أقاموا فيها من بني جنسه - وهذا فيما يؤلف

حديثاً ــ ولهذا تجد في بطون مؤلفاتهم السخرية كل السخرية والتهكم كل التهكم بالعرب والمسلمين .

أما الكتّاب المتقدمين بتأليف التاريخ فمراجعهم من سبقهم من سلفهم ، وفي الناحية الإسلامية والسخرية بالإسلام وأوضاع أهله تجدهم يستسقون من أرباب الكنيسة ويستقرئون من المبشرين ، وأولئك قديماً وحديثاً يتبرعون بالمعلومات والبيانات وفي كل شيء لمن يطلبها من الغربيين إخلاصاً لغربيتهم وإسناداً منهم لتحقيق أغراض قادة الفكر منهم وحاملي الأقلام !

والمؤرخ الانكليزي الذي يسمع منهم معلوماتهم وبياناتهم خطياً وشفهيا يحسب أنه قد وقع على ضالته المنشودة ، وما أسرع ما يكتب كتاباً وأنت لا تحتاج إلى كبير عناء حتى تتبين قيمته .

ولا يعسر عليك كذلك أن تميز النافع من غير النافع فيما يصدر من الكتب الانكليزية عن افريقيا وبالذات الشرقية ، واحتكاكها بالعرب والإسلام لأن هوة عميقة تفصل الانكليزي من العربي أو المسلم من لدن زمن بعيد !

وهي هوة ترجع إلى الحروب الصليبية ، ثم تزايدت مع الأيام حتى أصبحت عقدة نفسية بعد أن تخلصت الدول العربية والاسلامية من الاستعمار الغربي ، وانتهت سيطرة الأبيض الأوربي على الأسود أو الملون ــ كما يقول ــ منطق الهوس الغربي على سكان القارة الافريقية بأسرها .

غير أنه كما قلنا آنفاً ان بعضاً من هذه المؤلفات مفيد ، وقد تعود فائدتها إلى تحريها للحق والواقع وإلى عدم الأخذ أحياناً بما يؤخذ به من سقط القول ومشكوك الرواية . ولدينا مثلاً كتاب « تاريخ افريقيا » للمؤلفين (روندا أوليفر) و (جون فيج) .

فهؤلاء حين كتبا فقد كتبا بصدق وأمانة للواقع التاريخي : ــ نجدهما

يتحدثان في فصليه الثامن والتاسع – عن عصر الأسلحة النارية وتجارة الرقيق . ففي الاول منهما يتحدثان عن شمال افريقيا وغربها . ثم يشير إلى ظهور قوى جديدة محركة ومؤثرة في افريقيا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فقد خلت أجزاء من القارة في دائرة النشاط الاوربي ، بزيادة طلب الرقيق ، وأول هذه القوى هي اسبانيا والبرتغال التي تعقبت المسلمين بعد خروجهم من الاندلس ، ولكنها لم تستطع هزيمتهم في مراكش . وتقدمت البرتغال لغزو افريقيا عند الرأس الاخضر بين نهري السنغال وجمبيا عام ١٤٤٥ م .

ثم نزلوا ساحل الذهب واتخذوها قاعدة للتجارة مع مالي ، كما يتحدث الفصل الثاني عن استمرار هذه التجارة في الكونغو ، وإقامة دولة كنغولية لوقت قصير خلال القرن السادس عشر . ثم عادت البرتغال لمزاولة تجارة الرقيق ، وكانت أنغولا قاعدة لإمدادها به . ويسمي المؤلفان الفصل العاشر « العيون الطامعة » ويتحدثان فيه عن بدء اتصال أمريكا بتجارة الرقيق ، وبدء الغزو البريطاني .

وهنا انتحلا لدولتيهما الأعاليل والأباطيل في محاربة هذه التجارة ، وحين أرادا القول فضحهما التعبير المنطقي فقالا :

ولم يكن ذلك بدافع من حب البشر والعدالة الذاتية وإنما لأسباب تجارية معقولة . فطالما أن تجارة الرقيق سهلة ومربحة أكثر من أية تجارة افريقية أخرى ، فيجب القضاء عليها دولياً قبل ظهور أية تجارة مشروعة بين افريقيا وأوروبا .

وهنا يحق لنا أن نتساءل – فيما حدث بعد التجارة المشروعة ؟ أو ما فعلته بريطانيا بعد التجارة المشروعة !!

ونستطيع وبصورة واضحة جلية تفنيد تورية ما كتبه المؤلفان إذا ما

استعرضنا بدقة كيف كانت وكيف تمت بداية الاستعمار الغربي في افريقيا وما هي أغراضها ؟

وهل هي مجرد صدف رنجها الرحالة والمكتشفين والمبشرين منهم ؟ أم أنها كانت في غزوها بدافـع من حب البشر وتحريرهم والرقي بهم ، أو أن استعمارها ليس إلا لخلق عدالة ذاتية يسوسون بها البشر للقارة وغير القارة ؟

وباختصار نترك واقع الأمر يعرب عن نفسه مما قاله أولئك في قولهم : ولم يكن ذلك بدافع من حب البشر أو العدالة .. وإنما لأسباب تجارية معقولة ..

ومرة أخرى نتساءل : ما هي الأسباب التجارية المعقولة ؟

وأحسب أن العقلية الغربية توهم نفسها بأنه ما من أحـــد يدرك التجارة المعقولة إلا إياهم ..

فالغربيون دائماً – وفي كل سيطرتهم على الشعوب – وهم جميعاً لا يختلفون سواء كان أمريكياً أو انكليزياً ، فرنسياً أو إسبانياً ، أو برتغالياً، دائماً وأبداً يقولون ان الدافع لذلك إنما هو الإنسانية التي يحملها الغربيون . وما أقرب الشبه بين هذه الحجة الواهية وبين الحجة التي تذرع بها الفرنسيون عندما استعمروا الجزائر عام ١٨٣٠ م .

فقد ساقوا أمـامهم دعواهم الكاذبة بأنهم في الطريق للقضـاء على أوكار القرصنة ومحطاتها على ساحل البحر الأبيض، ثم ابتلعوا الكذبة وبدأوا احتلالهم للجزائر !!

بشاعة التاريخ الغربي لافريقيا الشرقية !!

وهكذا بدأ المستعمرون الغربيون غزوهم لإفريقيا الشرقية والتي كانت آمنة مطمئنة منذ عرفها العرب حتى جاءها هؤلاء الغزاة فطمسوا معالم التاريخ العربي الإسلامي وألـّفوا الكتب الكثيرة ضـد العرب والإسلام وأثاروا الأحقاد الافريقية العربية جيلاً بعد جيل ليطمسوا بكل هذا بشاعة تاريخهم وفظائع استعمارهم، فقد تبع البعثات منهم مزيج من المرتزقة بالرقيق والذين ما لبثوا أن غرسوا أقدامهم في البلاد مستغلين طيبة الرجل الافريقي والعربي وفطرتهم السليمة .

وكما حكينا سابقاً عن بداية السيطرة البريطانية المباشرة لشرقي افريقيا وذلك سنة ١٨٩٥ م. عندما انسحب الألمان من المنطقة بعد صراع عنيف وقع بينهما وتمكن اللورد « ديلامير » بسلطة كبيرة جعلته في بعض الأحيان يخالف الحكومة البريطانية نفسها .

والشبه هنـا جد كبير بين اللورد « ديلامير » في كينيا ورئيس مستعمرة الكاب « سيسل روديس » في قوتـه وغلوائه في فرض السياسة الاستعمارية الجائرة ، وكان هو أول من فكـّر في إنشاء دولة مستقلة للبيض داخل افريقيـا ووضع بذلك بذرة التفرقة العنصرية — ولم تلبث البذرة أن استحالت إلى ثمار

كئيبة تذهب مرارتها للرجل الأسود وحده إلى ما نحن فيه مما يسمونه عصر الحريات !!

فأي الفريقين أهدى بعد كل هذا ؟؟

العرب المسلمون ؟ أم الغربيون المستعمرون ؟؟

وإذا كان الكتاب الغربيون سابقاً ولاحقاً وأتباعهم من صهاينة اليوم الذين تمكنوا من جديد على سيطرة التاريخ والتحدث فيه في كل من تنجنيقا — ودول افريقية أُخرى — فأثاروها حرباً عواناً على التاريخ الإسلامي والعربي في هذه الأقطار .. واستمروا وما زالوا سائرين في تغذيتها وقدح زنادها كرهاً وبغضاً منهم للاسلام الذي وحّد بين العربي والافريقي مئات السنين !!

وتناسوا من أن تاريخهم أبشع مما صوروه ودونوه من تاريخ العرب المسلمين . فإذا حدث ما فعله بعض العرب من المساومة ببيع الرقيق وكان ذلك جد قديم، وقديم جداً فقد فعل الغربيون ولا فرق بينهم جميعاً أكثر بكثير مما فعله بعض العرب .

فهذا أحد كتّاب الغرب يقول فيما أسماه (موجز من تاريخ ساحل شرقي افريقيا) إن تاريخ بيع الرقيق هو في قدمه كقدم تاريخ الساحل نفسه .
واستطرد قائلاً : وعندما بدأ الغربيون بمختلف أجناسهم يأتون إلى افريقيا كانوا هم أيضاً بدورهم قد لعبوا دوراً فعالاً في هذه التجارة المربحة واتّجر الاوربيون في الرقيق وعلى نطاق واسع على الساحل الغربي من افريقيا وكذلك في الأخير على امتداد الساحل الشرقي لإفريقيا .

إلى قوله : وإن من أحد الأسباب التي دفعت البرتغاليين إلى التغلغل للاستكشاف في الساحل الغربي من افريقيا في القرن الخامس عشر إنما هو رغبتهم في استخدام العبيد — على حد تعبيره — للأعمال الشاقة مقابل أُجور زهيدة ..

وفي منتصف القرن السادس عشر بدأ الانكليز أيضاً يأخذون نصيبهم ببيع الرقيق في غرب افريقيا لمدة مائتي سنة ، ولقد كانوا يعتبرونها تجارة مربحة جداً تنتجها القارة الافريقية . وان الزنوج الذين يأخذونهم من غرب افريقيا يحملونهم عبر المحيط الاطلنطي ليستخدمونهم في مناجم الذهب والفضة في أمريكا الوسطى أو أمريكا الجنوبية أو في حقول السكر في جزر الهند الغربية .

وهذا كاتب آخر من كتّابهم وهو المستر جاك ووديس يقول في كتابه (Africa The Roots of Revolt) من الفصل الثاني « بالقمع فقط » ما نصه : إن المسلك العام من جانب أغلبية أصحاب الأعمال الأوروبيين في القارة الافريقية في بداية القرن العشرين إنما يتمثل في كلمات «ايوارت جروجان» الذي أصبح فيما بعد مدافعاً عن سياسة الشنق الجماعي خلال فترة الطوارىء في كينيا عام ١٩٥٥ م. فقد كتب جروجان يقول في كتابه « من الكاب إلى القاهرة » إن الشيء المطلوب إنما هو إقامة نظام سليم من العمل الاجباري ، وانه يجب أن يرغم الافريقيون على العمل شهوراً كثيرة في السنة . ثم أضاف في تهكم : إن هذه السخرة يجب أن تسمى التعليم الإجباري . ومضى جروجان يقول : وقد نحى شتى الاعتبارات الانسانية عندما سخر وتهكم من الاقتراح الخاص بأن أي أوروبي يشرف على إقليم ما في افريقيا يجب ألا يعطي الافريقي الوطني أكثر من خمسة وعشرين جلدة .

وعلى الرغم من كل هذا فقد استطاعت جمعيات التبشير والإرساليات وما تقدمه الدول الراعية ذاتها من مساعدات للافريقيين أن تجعل من هذا التاريخ لا شيء يدع للاستذكار وكأن لم يكن بالأمس شيء.. وبرزوا من جديد وبكل شيء وكأن لم يكونوا أولئك الذين عرفتهم القارة منذ القرن الخامس عشر ، وما فعلوه فيها من بر وإحسان وتقدم ليس بأكثر مما استنزفوه من خيراتها وما استعبدوه وسخّروه من أبنائها ، نعم عادوا،فأنشأوا المدارس والمعاهد والمزيد من الكنائس وأحيوا المآثر والمتاحف وأقاموا الجمعيات التعاونية .. كل هذا

وقد ظهرت بهم حديثاً بمظهر الإحسان وحب التعاون. وما أشبه الليلة بالبارحة تخدش كل ما طاب لها المقام في حق العرب والإسلام حتى انها لتؤلف الكتب الصارخة بالكذب والافتراء على العرب وعلى العرب فقط ، ففي مجموعة (Arab Slave Trade) سجلوا ما جرد العربي المسلم من إنسانيته تجاه نظر الافريقي ، وفي كتاب الجمعية التبشيرية المسيحية بكينيا الساحل بين ١٨٤٤-١٩٤٤ م. وصموا العرب والإسلام بما يجعلنا نرفع أنفسنا ونحتفظ لها بحق الكرامة التي سفت بها من الأقلام والنزعات ما خبثت كما قامت غيرها من الجمعيات والهيئات المسيحية بإعداد فيلم سينمائي أسموه « غرب زنجبار » (West of Zazibar) ويقصدون بالذات ممباسا التي أسموها بالمدينة المحمدية وقد اختلق هذا الفلم من المفتريات ما جعل من العرب وقسوتهم في معاملة الرقيق أمة وحشية يقرها في ذلك دينها الإسلامي .

وفي متحف كليوا – المدينة الإسلامية العتيقة بتنجنيقا– قسم خاص لتجارة العرب بالرقيق . وهناك في الغرفة الخاصة تشاهد السلاسل والسيوف والحبال بأيد عربية وهو يقود الإفريقيين كالسوائم والسيف على هاماتهم زرافات ووحدانا ، كما نجد نشرات الجمعيات التعاونية التنجنيقية والتي أنشأتها الشركات اليهودية والمسماة باختصار الأحرف الانكليزية (Cosata) الشيء الكثير والكثير بتشنيع التاريخ العربي الإسلامي !!

وقد أسموا كل هذه الأمور حيناً بالحقائق وآخر بالتاريخ ،غير أننا نقول: إذا كان هؤلاء قد فرغوا مما أسموه حقائق وتاريخ أو مما أهمله التاريخ فهلا تعرضوا بالإثارة أو الإشارة حفظاً للتاريخ ، وأخذاً واستذكاراً بعبر ما لم يهمله التاريخ من تاريخهم الأسود بأفريقيا ؟؟ فتاريخ الغرب وعبوديته أجدر بأن يبقى عالقاً في الأذهان منه بالتاريخ العربي الإسلامي !!

ومذابح الغرب الرهيبة وتقتيله بالجملة وشرائه للنفوس أحرى لأن يعرفها الافريقي منه بالتاريخ العربي الإسلامي الذي سجلته أصقاع هذه الاقطار فأنشأ

فيها بعد أن أحلّ بها القصور وشاد فيها المدارس والمساجد ونظم فيهـــا الترع والمزارع وأنعش فيها التجارة والاقتصاد وثبت الأمن والاطمئنان. وبقدر ما سمحت له الظروف ذلك الزمن البعيد والذي كانت فيه معظم القارة الأوربية همجية وحشية تأكل بعضها بعضاً .

أما حول التاريخ المبرقع أو المنسي كما يعتقد الدهماء من إخواننا الافريقيين فها نحن نستعرض في السطور التالية موقف التاريخ الغربي من الافريقيين في قديمه وحديثه من تطييب لهم نفوسهم قراءة كتبهم وهو مؤلف غربي يدعى جاك ووديس ، في كتابه السالف الذكر ، فقد تحدث في فصله الأول من الكتـــاب بقوله : ومن الشائع هذه الأيام بين الدول الاستعمارية زعمها أن فوز الشعوب الافريقية بالاستقلال السياسي إنما يرجع إلى الدول الأوربية وتشجيعها وتقديمها مثلاً يحتذى .

ويستطرد قائلاً :

إن الشعوب الافريقية التي ظلت قروناً طويلة تتجرع كأس المرارة حتى الثمالة لن تقبل هذا التزييف لحقائق التاريخ [١] . بل إننا لو نحينا جانباً تلك الأيام الرهيبة من الرق والعبودية التي سلبت القارة الافريقية ستين مليوناً من الارواح، وستين مليوناً من الاجسام، وستين مليوناً من المواهب ومن ثم أعاقت وشوهت النمو الطبيعي للقارة .. فإن الخمس والسبعين سنة الاخيرة وهي الفترة الاخيرة التي خضعت فيها افريقيا لدول أوروبا الصناعية [٢] الحديثة كانت مملوءة بعمليات

---

(١) ولكن الحق الصراح أنها قبلت هـــذا التزييف تحت ضغط السياسة والاغداق المـــالي والأعمال المنتظمة التي تقدم بها مذاهب الكنيسة والدعاة والمحترفون من رجال الأطماع .

(٢) يسمي المؤلف دول أوربا الصناعية الحديثة .. وكأني به بهذا يفصل أوربا الحديثة عن الغزاة القدامى من أبنائها والتي ما زالت أخلاقها وفي أكثر من رقعة من افريقيا محتلين مغتصبين ، وهذا منصف يثير العجب من المؤلف بل تمويه يقصد به طمس الفظائع ووضع ستار كثيف بين الغربي حديثاً ، والواقع انه لا فرق بين ماضيهم وحاضرهم .. قديماً وأبداً يأخذون أكثر ممـــا يعطون . ا.هـ (المؤلف)

القتل والمذابح الجماعية التي ما زلنا نشهد أمثلة منها في الجرائم التي ترتكبها البرتغال في أنغولا ، وفي كل من موزمبيق وجنوب افريقيا والكونغو !!

ويكفينا أن نشير إلى انخفاض عدد الكونغو البلجيكي من عشرين مليون نسمة في عام ١٩٠٠ م إلى ١٢،٥ مليون في عام ١٩٦٠م وإبادة ٨٠،٠٠٠ بطل رجالاً ونساء وأطفالاً في افريقيا الجنوبية الغربية على أيدي القوات الاستعمارية الالمانية عام ١٩٠٦ م وقتل ما لا يقل عن ١٢٠،٠٠٠ إفريقي خلال ثورة (Maji Maji) ضد الحكم الالماني في تنجنيقا في العام نفسه .

وذبح ما يزيد على ٣،٠٠٠ افريقي في ثورة الماشونا والماطابيلي في روديسيا عام ١٨٩٦ م بأيدي القوات البريطانية ، وقتل ما لا يقل عن ٤٠،٠٠٠ افريقي في ناتال عام ١٩٠٦ م أثناء ثورة الباباتا وذبح ما لا يقل عن ٤٠،٠٠٠ مالاقاسي في ثورة مدغشقر الكبرى عام ١٩٤٧ م وسفك دماء ١١،٠٠٠ نسمة خلال فترة الطوارىء في كينيا بعد عام ١٩٥٢ م .

كل هذا عدا المذابح اللاانسانية في كل من غينيا البرتغالية ، وساوتوم ، وأنغولا ، وفي سيراليون ، ونياسالند ، وشارفيل ، وفي يوند ولند بجنوب افريقيا .. وفي اينوجو بنيجيريا ، وعند الحزام النحاسي في روديسيا الشمالية ، وفي بولا وابو ، وسالزبيوري ، وهاراري بروديسيا الجنوبية وغيرها من المناطق مما لا نهاية له .

وماذا نرى بعد كل هذا ؟؟

وأين وقفت افريقيا من الغرب ؟

أو أين وقف الغرب من افريقيا ؟

تسليم الدور للكنائس والبعثات التبشيرية

ولقد سلم الغرب دور التوجيه لطمس الحقائق والاستعباد الجديد أو الحديث « للدين » وليس يخفى على ذي بصيرة أن الناحية الدينية لها الأثر في توجيه السياسة الدولية .. وإن التكتلات القائمة على شتى العقائد هي التي تمسك بزمام الأمور وتديرها وفق هواها مستعينة بالأوضاع الإقتصادية والعسكرية وما اليها، وهكذا سلمت القيادة أو تكتيك القيادة لحاملي مشاعل الإنسانية والرحمة (كما يسمون أنفسهم) !! فازداد نشاط الكنيسة ووسعت إرسالياتها وأنشئت المراكز الثقافية وأُعطيت الاتاوات والحبوس ومن غير قيد أو شرط .

ونسجت حول أغراضها الحبائل والشبكات وتسترت وراء سدود من هذه الركائز مزورة بغرضها المدخول وراء كل غرض ظاهر من التعليم أو التطبيب أو الإحسان ، ولها في ذلك أساليب ملتوية وطرق كثيرة التعريج – وبالتالي أصبح الإسلام وأهله في مقدمة الأهداف التي تصوّبت اليه حملات الغرب الثلاث (التبشير ... والكنائس ... والكتاب الحاقدون على العرب والإسلام) علاوة على ما أوجدته الكنيسة البروتستانتية من شعب المذاهب الهدامة المتعددة إلى أكثر من عشرة مذاهب داعية معها في قطار السير لإسرائيل بدينها الجديد ومدخلها الإصطناعي بالمساعدات المادية والفنية التي تخفي وراءها كسب الإفريقيين وصوتهم في يوم المعركة المرتقبة .

... ويتقدم التبشير كل هذه الحملات في ترتيب الزمن وتصفية الجو — بل ليس بدعاً إذا قلنا ان التبشير البعيد الأهداف ، البصير بالدعوة قد كسب من الخبرات وعلى طول مداه الطاقات الضخمة من الحنكة واقتناص الفريسة وإدخالها في شركه منذ خطط له أول مخطط حين بدأ مع الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر وكان في كثير من الأقطار رائداً لحملة الاستعمار ، وهنا يتضح لنا الأمر جلياً — وعلى حد ما كتبه الاستاذ البهي الخولي : في كتابة (الدين والحضارة الإنسانية) من أن دول أوروبا الحديثة ومجتمعاتها قد أخذت في الاعتبار ومنذ قيامها وتكوينها حماية الدين .

فانجلترا حامية البروتستانتية ، وفرنسا حامية الكاثوليكية .. بل راعية التبشير بها خارج أوربا كلها — في آسيا وإفريقيا — وعلى الأخص في المستعمرات والشعوب الخاضعة لنفوذ هاتين الدولتين — وليست حماية هاتين الدولتين للمسيحية على هذا النحو فحسب ، وإنما حمايتها للمسيحية كما يتمثل في صورة العقيدة الكاثوليكية والبروتستانتية في انجلترا وفرنسا وفي التبشير بها في إفريقيا وآسيا : يتمثل أيضاً في مطاردة القوى الروحية التي تقف في طريق التبشير بها في آسيا وإفريقيا — يتمثل على وجه آخر في مطاردة الإسلام في هاتين القارتين — بعد ما قامت محاكم التفتيش في إبعاده من اسبانيا وإمبراطورية النمسا في دفعه عن حدود فيينا إلى بلاد البلقان وروسيا القيصرية في دفعه بعد الحربين العالميتين — الأولى والثانية — من بلاد البلقان ومن بلاد القوقاز إلى الحدود المتاخمة جنوباً للبلقان والقوقاز . ويقول الأستاذ البهي تحت عنوان : مطاردة المجتمع الأوروبي الحديث للاسلام — عني حماة المسيحية في أوربا بمطاردة الإسلام على وجه أخص في أراضيه وبلاده في آسيا وإفريقيا ، وتتجلى هذه المطاردة في قوة ووضوح فيما يكتبه المستشرقون وغيرهم من كتاب الكنيسة والجمعيات التبشيرية مما أسموه بحوثاً ومعرفة ادعوا أنها أُقيمت على منهج علمي — ثم صدروها مرة

إلى الشرق الإسلامي في صورة كتب وفي صورة علماء وأساتذة ومرة إلى مسلمي آسيا وإفريقيا .

وهذه هي الحقيقة الصارخة للأمر الواقع وعليه يجب أن نبني معرفتنا حول إسلامنا وما يلقاه خارج دياره وأراضيه .

فلقد نشرت عدة كتب في الشرق والغرب والوسط من إفريقيا – وكلهـــا تنضح بالحقد الصليبي للاسلام وتعرب من أنها كتبت من زوايا نظريات قساوسة ورهبان ومبشرين املئت صدورهم بالحقد الصليبي، وملئت عقولهــم بالترويج للاستعمار في بلاد المسلمين حيناً وفي الشعوب والأقليات حيناً آخر .

ففي الشرق نشرت عدة كتيبات في : مجموعة كتيبات لإفريقيا الشرقيـة أذكر منها كتاب ما هو الإسلام ؟ (What Is Islam) وكتاب الإسلام في الشرق الإفريقي (Islam In East Africa) وغير هذه الكتب التي كتبت بالتورية حيناً والتعريض آخر . ولئن دلت عناوينها على شيء فإنما هي تدل على استدراج الإفريقي الوثني والمسيحي إلى التعصب للمسيحيـــة والاشمئزاز والتنفير من الإسلام وأهله .

وقد تحدّث الكتاب الأول عن الرسول الكريم وعقـد فصلاً كاملاً لموطنـه ومهبط رأسه وقال للاثارة: لقد ولد محمد في مكة وهل تعرفون ما هي مكة ؟.

وأجاب قائلاً : إنها البلد الأول لبيع العبيد ،وهي التي كانت تقام فيها أكبر الاسواق للمساومة بالرقيق . ثم تطرق إلى بناء الكعبة ووصف تربيعها وادعى أن العرب ولم يقل المسلمون يعبدون بها حجراً .. ادعوا أن إبراهيم كان يقــوم عليه في بناء الكعبة ، ثم وصف الحجر الاسود وقال إنه يشبه إلى حد كبير الاحجار السود التي توجدفي جبل نياساابالقربمن بحيرة نياسا بتنجنيقا،وعرّج

مرة ثانية على وصف الكعبة المشرفة وقال: إن هنا ، أي في جبل نياسا ثغرة مجوفة هي بيت الله (Rock of Kyala).

ثم استطرد قائلاً : إن الواجب يحتم علينا إجابة مقنعة لهذه الاستفهامات من هو هذا الرجل أو الرسول العربي ؟؟

وما هي الرسالة التي يدعو إليها ؟؟

وهل نرغب من أن نرى محمداً زعيماً للإفريقيين بانتسابهم إلى دعوته ؟؟

وهل كانت دعوته طيبة أم لا ؟؟

ثم عقد فصلاً للأخوة الإسلامية . وقال إن الأخوة المسيحية هي أوسع مدلولاً وأعمق أثراً وتضحية منها بالأخوة الإسلامية ،وحين تكلم عن عيسى عليه السلام وذكره في القرآن الكريم قال إن الآيات التي وردت في شأنه جد غامضة وأردف قائلاً إن علماء المسلمين لم يتوصلوا بعد إلى حقيقة شأنه لما عرف من غموض تلك الآيات ، ومن مثل هذه الكتب أيضاً .

كتاب : العرب والرقيق (War abu na watumwa)

وكتاب الساحل بين عام ١٨٤٤م و١٩٤٤م (The Coast - 1844 - 1944)

وكتاب : موجز من تاريخ الساحل الشرقي لإفريقيا
(Short History of the Coast of Africa)

ومنذ الأمس البعيد .. والبعيد جداً لم يكف كتّاب الغرب والغربيون ومن أخذ عنهم حيثما حلوا وأينما كانوا لم يكفوا ولن يكفوا من البحث حول الإسلام والتعقيب بالتنقيب ورائه . ولم تسلم منهم يد كاتب أو مؤرخ أو عالم إلا وقد كتب في الإسلام شيئاً كثيراً كان أو قليلاً .

والمتصفون منهم – وقليل منهم – إذا جادوا فيما كتبوه عن الإسلام مرة أومرتين عادوا عليه والتووا به مرةأخرى ليلصقوه بنقص ما، لا كنتيجة لبحث يقصد به العلم أو المعرفة – وإنما لأمور أسرّوها في نفوسهم – فنجدهم يفسرون منه ما لا يتفق وعقلية الغربي الذي لم يعرف معنى لدين الله الصحيح منذ أمد بعيد أو من لدن ما بدأ أوائلهم يحرفون الكلم عن مواضعه .

وإذا آمن بعضهم بسمو كمال الإسلام ومحاسنه وأنه من عند الله – ارتكس مرة أخرى – ليخط : لكن – ويسجل : لو كان !!

هذا بالنسبة للمتصفين منهم – أما ما عداهم فكثير ما هم ولكنهم حيال الإسلام – غثاء كغثاء السيل – أو كناموسة تنفخ على جبل تريد ازالته وتذهب الرياح بأمم من الناموس وتبقى الجبال شامخة .

وحيث كانوا دائماً وأبداً إنما يقصدون بهذا النقص الأخذ على الإسلام في حد ذاته ولأنهم لا ولن يرضون عنه كما حكى الله لنا ذلك في محكم تنزيله – تجدهم دائماً يلوكون بألسنتهم ما أعيَ التعبير تكراره في كتبهم القديمة والحديثة في الشرق والغرب في آسيا وإفريقيا – وما عسى أن يقولوا في الإسلام بأكثر مما قالوا فيه ؟

انه دين يعمد إلى القسوة .

وانه دين حربي .. تعوزه وداعة المسيحية ورقتها .

وانه يجيز الرق .

وانه دين شهواني – لأنه يجيز تعدد الزوجات . إلى آخر ما يحلو لهم المقال ظناً منهم انهم قد نالوه – والحقيقة المرّة انهم قد نالوا من أهله بمالا يدع مجالاً للرد، وألبسوه في أصالته بما ألبسوه في الشرق والغرب من آسيا وإفريقيا – وكتبهم في

هذا الامر منتشرة بلغات الامم .. وكأني بعلماء الاسلام ودعاته لا يعرفون شيئاً عن ذلك ،وإذا عرفت دعاته بعض الشيء فجدواها لا تغني من الحق شيئاً.

والواقع أنه لا مثار للعجب من أن تدور وتوجه مثل هذه الشبهات والاتهامات من كل مغرض ، لان جهل المرء بالشيء يفقده مقومات معنوياته.

وليس المجال هنا بمقام الرد على كل فرية .. فإن لذلك من الكتب المطولة ما قتلها العلماء بحثاً – جملة وتفصيلاً – ولكنها في بلاد الإسلام ذاته لا ينتفع بمعناها الملايين من الافريقيين وكلهم وجد وشوق للاسلام وحقيقته المنزلة من رب العالمين !!

والمعهود كما يقول العلامة عباس محمود العقاد تحت عنوان « سوء فهم وسوء نية » في جماعة الغربيين : إن الكثيرين منهم يقرنون سوء الفهم بسوء النية .. لأنهم يخدمون سياسة المستعمرين وسياسة المبشرين المحترفين – أو ينظرون في بحوثهم نظرة الغربي الذي ينظر إلى الشرق نظرة المتعالي عليه في حاضره وماضيه.

غير انهم كما قلنا آنفاً – ما عدا القليلون منهم – محدودون سطحيون يحومون حول المسائل الحسية ولا يتوسعون في النظر أو يتعمقون وراء الظواهر التي يلمسها الشاهد الحسن لمساً فلا تخرج عنده من حدود ما يثبته أو ينفيه من وقائع العيان والسماع ، وغاية ما يقصدون اليه من إيراد الشبهات والمفتريات على الإسلام انهم يعتقدون تحطيم الاسلام أو دعائمه الروحية القائمة رغم الأنوف.. ثم يستجيزوا بعد ذلك كل ادعاء لهم يدعونه وكل انكار ينكرونه من أصول اليقين والاطمئنان،ولكن أنى لهم ذلك – فقد أبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ما أحدثته المؤلفات الغربية من تأثير سيىء

والآراء تتضارب حول موقف الغربيين عند بعض المثقفين الافريقيين، وستظل تتضارب ما دام للغربيين عملاء ، وطالما كان لاستعمارهم بواقٍ من المخلفات الفكرية التي يمثلها المسيحيون الغربيون أو تتمثل في المبشرين والقسس – ومـا يلقونه من وعظ ومحاضرات – وما يتلونه في الكنائس والمؤتمرات والمراكز ، وقد لاقى كل هذا رواجاً وترحيباً ، وانتشرت تشويهاتهم للاسلام والمسلمين حتى عاد من العسير في بعض المناطق الافريقية الشرقية إقناع افريقي مثقف أو غير مثقف بالحقيقة .

وما ذلك إلا لكثرة الأباطيل التي حشرت فيما قلناه – بل اسودت بهـا كراريس الكتيبات – وصفحات المجلات – يومياً ، وأسبوعياً ، وشهرياً ، ولم يقتصر عداء هؤلاء للاسلام والعرب على إخراج مثل هذه الكتب وتوزيعهـا بكميات ضخمة وفي فترات متعددة فحسب ، بل ها نحن نجد دولة الفاتيكان تخصص يوماً من الاسبوع لإفريقيا بالخصوص وهو يوم الثلاثاء – ترسم فيه خطـة التبشير كما توضح العقبات في طريقه ومنهـا الاسلام . وتضع الوسائـل الكفيلة بتذليلها . وبجانب خطة التبشير تعلن تعليقاتها السياسية على الأحداث العالمية . وهذا صوت الإنجيل الذي يذاع من عاصمة الحبشة بعدة لغات إفريقية وقـد

أعدت له محطة إرسال كبيرة في مدينة (موشي) بتنزانيا المتحدة . ولهاتين الإذاعتين مستمعون هم من الكثرة بمكان،وكلهم يتأثر بما تبثه موجاتها من نشرات ومواضيع دينية ومفتريات ملفقة إلى غير ذلك مما بلبل الأفكار وصدّ عن سماع ما يذاع من غيرها.وإنه لمما تجدر الإشارة إليه ، أن سر انسياق الجموع الافريقية إلى تصديق ما يبث ليس عن كراهية للاسلام ؟ وذلك لأن الفكرة أو الافكار التي تساورهم عن الاسلام وأهله لا تبلغ الكراهيــة ولكن عن حب اندفاع الانسان للاستطلاع أو حبه لكل جديد يفد إليه . ولأنها أيضاً قد سدت فراغاً كبيراً في مجال حياتهم طالما ظل هذا المجال شاغراً يتطلب غذاء عقلياً منذ وقت طويل ما سبق .

ولن تجــد فيهم أناساً يستطيعون أن يقولوا انهم انضموا إلى المسيحية أو اعتنقوها بعد دراسة عميقة وافية لتعاليمها وبحث شامل لنظرياتها ومعنوياتها ، أو أنهم أقروها نتيجــة الدرس ووافقت أفكارهم وأحاسيسهم ثمرة التقصي والتحقيق ، وإنما هم انساقوا بالجملة وراء ما يبث وينشر ، وأحبوا الانخراط في سلكها لأنهم طلاب أمثلة إنسانية وذلك ما يذاع عليهم .. ولم تلبث أن تعيها أذهانهم رتؤمن بها استحساناً عقولهم وقلوبهم — وتلك لهفات لا تلبث أن تجد ذاتهـا مسرجة مشدودة إلى عجلة الحروب الصليبية على الإسلام والتي يشنهـا معاشر المبشرين في كل أنحاء المعمورة .

وكان ممكناً لو كان للاسلام حماة ودعاة بالمعنى الصحيح أو كما كان من ذي قبل أن لا يدخل هؤلاء حظيرة الذين يجعلون من الله ثالث ثلاثــة ، وأولئك دعاة الاستعمار ورواد أحقاده وأطماعه — لو أن غيرهم فكروا في تنظيم حملات قوية للقضاء على دعاياتهم ومنعها من استغلال صدق نياتهم والانتفاع بنزعاتهم الانسانية الخالصة — فقد كان كل ذلك أحق وأولى بالتبرير . وهنا يجدر بنا أن نتساءل :

أين الدول الاسلامية ؟؟

بل أين نتاجها لدينها ؟؟

وقد علمت أنه لا يقوم في المدافعة أمام أي تيار إلا تيار مثله .

بل ما هو موقفها جلياً بعد أن وضح الزبد عن الرغوة واتضح الصبح لذي عينين حيال هذه التيارات القوية التي تتمشى سموم دعايتها كما تتمشى النـار في الهشيم .. وأين علماء الاسلام الذين خوطبوا ببث الدين ونشره لا في عقر ديارهم فحسب ، بـل في غير دياره وحيث توجد الآلاف المؤلفة الطالبة الراغبة في الدين !!

ولأن وفقت (المملكة العربية السعودية) في الآونة الأخيرة ببث (صوت الإسلام) من مكة المكرمة إلا أن هذا الركن ما زال ببثه كالطل تجاه الوابل الذي يذاع من (صوت الإنجيل) و (صوت الفاتيكان) .

وذلك لعدة أسباب .

ولكنه مهما كان الأمر فبعض الشيء خير من لا شيء !

والمملكة العربية السعودية في عهد مليكها المفدى (خادم الحرمين : فيصل آل سعود) مشكورة ومثابة على هذا العمل والمجهود الذي لم يقصد به محضاً إلا خدمة الإسلام وتوجيه صوته بالدعوة إلى أصقاع بعيدة بآسيا وافريقيا . أما علماء الأمة الاسلامية وفي شتى أقطارها فأحسب أن مجهوداتهم ما زالت ضحلة – وجداً ضحلة – وبالذات في الدول الافريقية الشرقية .. ومن المؤسف جداً أن كتباً كثيرة صدرت عن الاسلام في افريقيا بأقلام إسلامية كبيرة وقـد أخطأها الصواب في بحثها وتحقيقها عن الاسلام ، لأنهـا حين كتبت لم تكتب بقصد التقصي والتعقيب .. بل كتبت وكفى !!

ولقد هالني ما اطلعت عليه في كتاب صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – بالقـاهرة – بعنوان « الاسلام في افريقيا » ويضمّ الكتاب بين صفحاته عدة معلومات عن افريقيا بصورة عامة ، كما أنه لم يخل عن معلومات

أخذت من مصادر غربية مسيحية قصدت فيما كتبته ذر الرماد على العيون ، وبالذات في البلاد العربية الاسلامية !

فمثلاً نجد فيه تحت عنوان « كلمة أخيرة » ما يلي :

... في بحث شامل لمجلة « الكريستيان مونيتور » نشرته منذ أقل من عامين تعرّض الكاتب وهو قسيس مسيحي قام بزيارة طويلة لافريقيا للظروف التي تمر بالمسيحية في افريقيا فقال :

... على الرغم من الجهود الضخمة التي يقوم بها المبشرون المسيحيون في افريقيا ، وعلى الرغم من الأموال الطائلة التي تنفق على تحويل الافريقيين إلى الديانة المسيحية – فإن الافريقيين أقل حماساً للدخول في المسيحية منهم في الاسلام .

فالإحصائيات الدقيقة التي أجريت في افريقيا أكدت أن دخول الافريقي في المسيحية يقابله دخول ٨٧ من زملائه في الاسلام !!

إلى آخر ما في الكلمة من هراء ثرثر به القسيس للتدليس والتضليل بعد اعترافه بالجهود الضخمة والأموال الطائلة التي تنفق على تحويل الافريقيين إلى المسيحية كما يبتغون .

والأمر كما يعلم الباحثون العارفون بالاسلام في افريقيا خلاف ذلك ، أو بالأحرى أن الواقع للأمر هو بعكس ذلك وبالذات في السنوات العشر الأخيرة من هذا القرن .

وقد أصاب هذا القسيس غرضه واستوفى أمنيته حيث تلقف كتابنا وعلماؤنا هذه الفرية وكثيراً من أمثالها ، وكأني به قد أدرك أن كتابنا يستسيغون كل مستورد ، حتى أصبحت بحوثهم عن الاسلام في افريقيا لا تدري عن الحقيقة شيئاً إلا ما ندر أو ما تسوقه إليهم أنباء القسس وكتاب المبشرين

قصداً للتغرير بهم – وقافلة المسيحيين تمشي بدعوتها سراعاً ونحن بجهوداتنا لا نتعدى التخطيط في سطور التقارير وبطون الكتب – وعن كل ما يجري ساهون غافلون !

إن الأمر غريب – وغريب جداً من تمويه هذا الكاتب وأمثاله وكثير ما هم غفلة بل وغفلات متتالية حينما نأخذ بمثل هذه المصادر !

فأين علماء الاسلام وأين دعاته وأين كتّابه المحققون ؟؟

حقائق لا بد أن تعرف ..!!

ليجربوا ولو مرة واحدة بالسير وراء البحث في افريقيا وأحراجها ... وليجربوا ولو مرة واحدة بالسير في افريقيا وادغالها للبحث والاستطلاع عن الاسلام والمسلمين وهناك سيجدون مدناً كانت عامرة بالعرب آهلة بالسكان لمسلمين حتى بلغ أن « كلوا » المدينة العربية الاسلامية القديمة بتنجنيقا كانت تضم ٣٠٠ مسجد .. فامحت منها معالم الاسلام بصورة تثير الأسى والألم كل الألم .. وأصبحت الغالبية فيها وفي احباطها أمة مسيحية !

مدن كانت عامرة بالمدارس والمساجد والوعاظ – **ففدت** (الآن) مليئة بالكنائس ومعاهد التبشير وعلماء المسيحية !

مدن كانت مليئة بكتّاب القرآن وروضات الدروس الدينية هي اليوم مليئة بالمدارس المسيحية وملاعب القمار واللهو وحانات الخمور – حتى لقد أصبح من العسير في بعض القرى بل معظمها أن يجد أبناء المسلمين متسعاً لدرس قرآنهم ، أو مدارس لتعليم دينهم !!

فأين نحن من هذه الاحصاءات الدقيقة التي يتحدث عنها القسيس المسيحي ؟؟

ومتى يعلم علماء الاسلام أو كتّاب تاريخه في افريقيا أن أكثر من ثلاثين مدرسة تكتنف عشرات الآلاف من الطلبة في كل من زنجبار وبيمبا وممباسا

وماليندي ولامو وأحباطها وبعض القرى الآهلة بالسكان المسلمين المحيطة بالمدن. هذه المدارس قد كانت إسلامية عربية بكل ما تعنيه من معنى، تدرّس فيها لغة القرآن والدين الاسلامي رسمياً – أصبحت (الآن) تحمل مسميات أخرى وألغيت منها دراسة الدين واللغة وبدأت الأغلبية المسيحية تتزاحم على مقاعد صفوفها .

وهناك معاهد عليا كالمعهد الاسلامي في ممباسا

(Mombassa Institute of Muslim Education)

والمعهد الاسلامي في زنجبار – ألغيت منها المسميات التي كانت تحمل الطابع الاسلامي بل حسبنا أنها بُنيت بأموال إسلامية وألغيت منها أيضاً الدراسات الدينية إلا ما ندر لذر الرماد على العيون .

نعم .. متى يعلم كتّاب تاريخنا مثل هذه الحقائق ؟؟

أم سيبقون حتى ينقل إليهم قسيس آخر هذه الحقائق في الاحصاءات الدقيقة التي يتحدثون عنها وينقل أحاديثهم كتّابنا في كتبهم عن الاسلام في افريقيا !!

وهكذا استطاعت جمعيات التبشير وإرسالياته أن تقنع المسلمين وتوهمهم بأنها تعاني من العراقيل لنشر المسيحية ما تعانيه، وان ما تبذله من جهود ضخمة وأموال طائلة لم تكسبها النتيجة المطلوبة وهي والله قد أدركت ما تصبو إليه !!

ولست أدري متى يفهم المسلمون، ومتى يدرك دعاة الاسلام وعلماؤه أن التبشير لم ينجح في افريقيا فحسب بل لقد نجحت جمعياته وبعثاته بغير عائق – في عُمان – الخليج .. الأرض العربية الاسلامية من لدن عدة قرون فكيف بالافريقيين في افريقيا ؟

وقد قال الكاتب المرحوم الاستاذ الكبير (عباس محمود العقاد) في كتابه : « الاسلام في القرن العشرين » ما يلي :

ويرجى من تعزيز مركز مسقط مزيد من العمل – وهناك في داخل عمان قبائل لا حكم عليها للسلطان – نجحت بعثات مسقط في حمل رسالة الإنجيل إليها على نطاق أوسع مما تيسر قبل الآن في أي مكان !!

علاقة العالم العربي والاسلامي بافريقيا ..

للحقيقة وللتاريخ يجب أن نتناول هذه العلاقة من النواحي الجغرافيـــة والتاريخية ، وما نشأ وينشأ من أمور جمة لمفهوم هـــذه المضامين . فأين كانت افريقيا في أحقاب التاريخ ؟ ومن الذي كان يحتلها؟وهل كانت تعني كلمة افريقيا هذه المجموعة من الدول – والبالغـة ثماني وثلاثين دولة – باستثناء المستعمرات المحتلة من البرتغال وجنوب افريقيا أم كانت غير ذلك ؟!

أسئلة تتطلب صفحات وصفحات وهي من تاريخنا المغمور أفصح تبياناً وأكثر بياناً وأقوى حجة وإقناعاً منه بالتاريخ المزوّر حيناً والمكذوب آخر !

وللاجابة على هذه الأسئلة يجب أن نعود إلى الوراء من أعمـــاق التاريخ . فعلماء الجيولوجيا يرون أن الجزيرة عبارة عن تكملة طبيعية لصحارى افريقيا التي يفصلها عنها (الآن) منبطح وادي النيل ومنخفض البحر الأحمر العميق. والذي تجزم به الدراسات لعصور ما قبل التاريخ أو العصور (النيوليثية) حيث أثبتت هذه النظرية إثباتاً قائماً على الدقة والتمحيص .

والمطلع على التاريخ للدولة السبئية والدولة الحميرية والدولة المعينية والحضارات المتعاقبة بين هاته الدول واستعمالها البراري والبحار للأغراض التجارية يدرك ويحل عنده اليقين محل الظن والتشكيك .

ورواة التاريخ وثقاته من شرقيين وغربيين يرون أيضاً كدلائل على الصلات التي قامت بين الجزيرة العربية وافريقيا منذ آماد سحيقة في القدم ، أن النزوح من بلد ما في الجزيرة العربية إلى بلد ما في افريقيا لم يكن يومئذ بالأمر العسير أو الشاق وقوعه كما هو الحال بعد أن فصل المستعمر الغربي كل افريقيا عن هـذا الجزء من العالم العربي الاسلامي .

كما وأنه في القديم جداً كانت السواحل الشمالية من افريقيا القـارة ، أول منطقة انتعشت فيها الحضارات في افريقيا .. فرواة التاريخ ومدوّنوه يثبتون بالشواهد الأثرية المكتشفة أن الفينيقيين قد استغلوا معظم المنطقة الساحليـــة وأصبحت قرطاجة التي أنشئت عام ٨٠٠ ق.م من أكبر المدن للبحر الأبيض المتوسط ، ويومئذ سيطروا بعد إخضاعهم لعشائر البربر على جميع المنــــاطق المسكونة في شمال افريقيا .

وكانوا يعملون على التوسع جنوباً . وليس في استطاعة أحد منا أن يفكر على أي وضع كانت بقية مناطق افريقيا قبل هذه الأحقاب الموغلة في القدم لولا معرفة العلوم الحديثة التي أوضحت المبهم من الكتابات القديمة وميزت التقدير والتقنين للدمى الحجرية الأثرية .

وفي غضون عام ٥٢٠ ق.م استكشف (هانو) القرطاجي الساحل الغربي ووصل إلى المنطقة المعروفة اليوم بـ (سيراليون) ، وحوالي ذلك الوقت أسس الإغريق مدينة (برقة) الواقعة في ليبيا عام ٦٣٠ ق.م ، ولم تكن أوروبا في ذلك الوقت شيئاً مذكوراً .

وبعد مضي ثلاثمائة عام أسس الاسكندر الكبير مدينة الاسكندرية وبالتحديد في عام ٣٣١ ق.م ولما ينقضي وقت يسير حتى سقطت قرطاجـة بعد أن بدأ الضعف والخور يدب في قوة الفينيقيين – ويومها احتل الرومان المدينتين. وامتد الزمن عبر قرونه الطوال والمدنيات بحضاراتها تتعاقب تمشياً مع سنة الكون .

واقتضى مركز القوة الذي كانت تتمتع به بنو سبأ وبنو حِمير أن يكونوا أسياد البحار الشرقية كما كان الفينيقيون الساميون أسياد البحر الأبيض المتوسط ، فاشتط بنو سبأ وبدأوا يقررون الطرق البحرية فـــاخترعوا البوصلة البحرية ونشروا فكرة كروية الأرض وحققوا الكثير من مجالات التقدم في فن رسم الخرائط الجغرافية ، ورادوا الأراضي والجزر القصية ، وتزعموا تجارة العـــالم وحضارته ووضعوا أسس القانون والنظام الدوليين والمجتمع المدني ، وكانت مخططاتهم في الجغرافيا وبعد لأي من القرون كمرشد طريق للمكتشفين الغربيين ، كما كانت أيضاً مشاعل يهتدي بها السائرون في البراري والبحار .

وهل اقتنع « كولمبوس » بنجاح رحلته إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح إلا بعد إطلاعه على مؤلفات عربية في ذلك الشأن ؟؟ وهنـــا يقرر التاريخ أن الفينيقيين الساميين هم الذين كانوا أول من سكن القارة ونشروا فيهـــا الحضارة .

والفينيقيون أولئك لم يكونوا في الواقع كما يقول المؤرخ العربي « جورجي زيدان » سوى موجات عربية أتت من جنوب الجزيرة والبحر الأدنى (خليج البصرة) فالفينيقيون بسطوا نفوذهم على الشمال من القارة ، وبنو سبأ وحِمير على الشرق والجنوب منها والوسط أيضاً . وقد ذكر المؤرخ الانكليزي « الدكتور حتي » وهو ناقل بدوره عن جماعة من المؤرخين الثقات غربيين وعرباً — أن فئة عربية قد نزحت من اليمن وحضرموت إلى أرض (كوش) حتى استقر بهم المقام فوضعوا حجر الأساس لدولة حبشية ذات مدنية وعمران مـــا فتئت أن أدركت من الحضارة درجة لم يكن لزنوج البلاد الأصليين أن يبلغوهـــا لولا اندماج العرب بهم .

ومن المحتمل على حد قول الدكتور « حتي » ان تفرق قبائل الجنوب حوالي منتصف القرن الخامس للميلاد وتعزوه الأخبار والتقاليد إلى انفجار سد مأرب

العظيم الذي أسفر عن هجرة بعض القبائل إلى الشام والعراق قد أدى إلى نشاط الحركة الانتقال إلى الحبشة من الشرق الافريقي أيضاً ، وازدياد الجالية العربية فيها . وكانت قد تقاطرت جموع العرب إلى ساحل افريقيا الشرقية قبل الفتح الاسلامي بزمن بعيد حيث اختلط دمهم بدم السكان الأصليين . وبذلك يتضح أن القارة الافريقية قد عرفت العرب منذ زمن بعيد كما أقيمت فيهـا حضارة إنسانية قديمة تعاقبت بين المنحدرين من الأصول العربية .

وقديماً أطلق العرب كلمة (افريقيا) ودللوا بها على بلاد البربر الشرقية ، أما الغربية فسميت بالمغرب . وقد اختلف جغرافيو العرب في وضع حدودهـا ولم تعرف إفريقيا في يوم ما بهذه التقسيمات والتجزءات ، والحواجز الفاصلة التي أصبحت فوق المستوى التقليدي أو هذه الأسماء المتعددة من الشمال الافريقي العربي إلى الجنوب الزنجي إلى المغرب الفرنسي إلى الشرق الافريقي الإنجليزي والألماني أو الوسط الاستوائي البلجيكي – إلى آخر ما طرأ على هذه القارة من أسماء ومسميات افتعلها قاموس المطامع الاستعمارية .

والحقيقة التي يتكشف عنهـا البحث في أمر الصلات والوشائج أياً كانت بين الافريقيين وماضينا العربي قديماً ثم الاسلامي حديثاً حقائق ناصعة جـداً يهم أمرهـا كل افريقي مسلم وغير مسلم ، وهـذه الحقيقة أو الحقائق ممكن استخلاصها من الروايات التي تؤيدها الوقائع والوثائق التي لم يدخلهـا الزيف والتحريف . والشواهد القائمة حتى اليوم نجدها ممثلة في ركائز الفكر كاللغـة وتقاليد وعادات مشتركة وانطباعات في العديد من مرافق الحياة ومعالمهـا . وحين حمل العرب الأوائل من أبناء الجزيرة العربية دعوة الدين الاسلامي إلى إفريقيا شرقاً وغرباً لم تكن المسيحية بمعروفة يومئذ إلا في مصر والحبشة حيث يعيش الأقباط ، وقد ظلت الصحراء الكبرى حاجزاً منيعاً تحول دون التوغل بالدعوة المسيحية.. واستمرت الدعوة الاسلامية تزحف في الأدغال والأحراش

في الأعالي والمنبسطات من افريقيا القارة ، حتى جاء دور الكشف الاستعماري الأول في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ، ويومهـــا أدرك الغرب خطر الاسلام في القــارة الافريقية ضد مطـــامعه ، فانسال على اثر ذلك زحف المكتشفين أولاً ثم المبشرين ثانياً .

فمهدوا للغزو الاستعماري الاحتلالي بصورة عامــة ، وبدأ الجميع يخططون للقضاء على الاسلام وأهله . وبدأت المؤتمرات الدوليــة للارساليات والكنائس ورصدت الأموال كذلك ، كما بدأت تقارير المبشرين والارساليات تأخـــذ فعاليتها .. ولو أننا أردنا إحصاء ما جاء في تقاريرهم لجمعنــا من ذلك مجلدات ومجلدات .

وفي العصر الإسلامي يذكر التــاريخ أن العرب استوطنوا افريقيا الشرقية لأول مرة في عام ٦٥هـ - ٦٨٤م ودخلوا منها إلى افريقيا الوسطى للتجارة ، ونشروا الإسلام في مصر ، وفي افريقيا الشمالية والغربيـــة ، وبلاد النوبة ، والسودان ، وارتيريا ، وغالبية مواطن شعوب الحبشة ، والصومال ، وغيرها . وظل العرب حتى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر القادة لأفريقيا والحكام والمعلمين والإداريين لا ينـــازعهم في ذلك منازع وبصورة خاصة في افريقيا الشرقية .. وعندما قسمت البلاد بين الاستعماريين من الدول الثلاث : بريطانيا ، المانيا ، ايطاليا ، تمكن كل منهم على حدة لدحر العربي المسلم الافريقي تدريجياً وحلوا محلهم ، واقتسموا ممتلكاتهم الشاسعة وجعلوا منها مستعمرات . حدث كل هذا بعد أن تأقلم العرب تماماً ، وثبتوا من حضارتهم العربية الإسلامية ما جعل المستعمر الحاقد يعترف أكثر مرة أنهـــا حضارة ذات جذور يستحيل القضاء عليها . والأمر الواضح أن الاستعمار الغربي أدرك كل هذا عياناً ، ولمس أن اللون الغربي لم يقف حاجزاً في طريق العرب. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بساطة الدين الاسلامي وسماحــة تكاليفه - وما زالتا - السبب الفعال في انتشاره وانتصاره على العقائد الأخرى المنتشرة في افريقيا .

والسر في كل هذا – أو السر في متانة العالم العربي بافريقيا – هو أن الأوائل منا قد هضموا القبائل الوثنية ووحدوها، وجعلوا منها شعوباً متحضرة. وكذلك فإن العرب لم يعطوا الأفارقة الإسلام الذي هو دين الوحدة والأخوة والمساواة فحسب، بل أعطوهم شريعة جديدة ولغة جديدة وأبجدية جديدة، واختلطوا بحرية بالأفارقة كإخوة لهم متساوين وإياهم. ومن طريق التزاوج أنتجوا سلالات جدية من المصريين والسودانيين، والارتيريين، والصوماليين، والسواحليين، ولغات جديدة كالهوسا، والسواحلية التي هي قوة موحدة عظيمة في الأراضي الافريقية الشاسعة.

التعليم الاسلامي في ماضيه وحاضره

لقد كان التعليم الإسلامي في الماضي بالديار الافريقية الشرقيـــة وبالذات في فترة ما بين ١١٠٠ هـ حتى ١٢٧٦ هـ تعليماً بلغ مستواه في النفوس مستـــوى عالياً - حيث انتشر في المدن والقرى ممتداً كالسيل الآتي في الأحراش والأدغال حتى أصبحت كلمة الله في تلك الربوع هي العليا، فنشطت مجالسه وازدهرت مدارسه وجلجلت جنبات مساجده بذكر الله فلوح نموها وترامت حدود توجيهها فتركت للكاتبين من بعدها ظاهرة فذة في التاريخ !!

وهل هذه المساجد المشيدة في كل مدينة وقرية وعرصات العلم ومدارسه إلا امتداداً لمـد من أسس تلك المساجد والعرصات والمدارس !!

وحقاً أقول : فلقد كان وراء ذلك الازدهار للتعليم الإسلامي الصحيـــح الذي استأصل في النفوس فطبعها بطابع الإسلام ، أفكار كانت بأهلها ولا ريب أو كانوا بها لا يسددون سهماً من سهام نفثاتهم العلمية إلا أصابوا به غرضاً شريفاً أو هدفاً إسلامياً محضاً !

فهم بتوجيهاتهم المستمرة آنذاك معتدين وبقوة نفوذهم وراعتهم في أساليب الدعوة أصحاب عزائم قوية أعزها الإيمان فاكتسبت منه القوة المعنوية -وهب" حاملوه يبثون وينشرون دعوة دينهم - آخذين له من حزم الأساليب وسيكلوجيـــة

التقريب والاستجلاب ما جعلهم يستهوون به النفوس رغبة لا رهبة !

نعم .. هكذا كان مستوى التعليم في الماضي، فانتشرت العلوم المستقرأة من كتاب الله وتعددت مشارب الآخذين لها وتنوعت فنون الدراسات فمن تفسير لآي الذكر الحكيم إلى تدقيق في علم الأصـول إلى علم الحديث فقهـاً ورواية إلى شتى فروع علم اللغة العربية .

ولقد كانت مدينة «لامو » والتي تبعد عن ممباسا شمالاً حوالي ٢٠٠ ميل ونيف كانت بأهلها من آل جمل الليل وآل الشيخ بو بكر بن سالم وهما طائفتـين من السادة العلويين نزحت منذ قديم من حضرموت – كانت كعبة الوافديـن من طلاب العلم ومن شتى أقطار إفريقيا الشرقية ومن صوماليا ، وبراوا .

من هذه المدينة العربية القديمة انتشر التعليم الديني الإسلامي – حتى كانت (لامو Lamo) مصدر إشعاع أضاءت به قراها المجاورة والجزر الباجونية القريبة والنائية ، فأصبحت كل تلك القرى والجزر أُمة مسلمة عن بكرة أبيها – تدين بإسلامها وهدايتها لله أولاً وأخيراً .. ولدعاته من طائفة السادة العلويين ، وما زالت هذة المدينة بالرباط العلمي الموجود فيها حتى يومنا هذا تؤدي رسالتها في الدعوة كاملة غير منقوصة ومن هذه المدينة نفرت رسل العلم ودعاة الإسلام إلى صوماليا وبراوا شمالاً – وممباسا شرقاً وجنوباً ويوغندا غرباً – وتنجنيقا والكيب بأقصى إفريقيا جنوباً حيث رأس الرجاء الصالح .

وقد شاطرت لامو في بث الدعوة ونشر العلم كلا من مدينة زنجبار ومدينة ممباسا، وهنا يحق لنا أن نترحم على تلك السلالات العربية من العلويين وغيرهم حيث طوقوا هامات كل هذه النفوس المعتدة باسلامها والقوية بإيمانها الذي أبى الله إلا أن يظهره ويبقيه ثابتاً في نفوس الأعقاب من الأبناء والأخلاف من الأحفاد جيلاً بعد جيل – بأكاليل من الفضل والمن ولله المنة والفضل من قبل ومن بعد .

والطائفتان العربيتان - طائفة العمانيين حكام البلاد .. وطائفة المزارعة والتي كانت قديماً بمذهبها أباضية وقد تسنن منها الكثير في العصور المتأخرة- فلم تكن هذه لتعمل للإسلام والدعوة إليه بقدر ما كانت تعمل للحكم والسيطرة عليه - وهاتان الطائفتان كانت بحكم ملكها لزنجبار وممباسا وماليندي ولامو - وبالجملة - لطول خط الحزام الساحلي من إفريقيا الشرقية - تدعي لنفسها مزايا طيبة وتجعل من ذوات أشخاصها عنصراً عربياً أصيلاً ناظرة إلى غيرها نظرة السيد إلى المسود، فخلقت بهذا الفكر السمج بغض العربي من الطوائف التي يعيش معها، وقد نبغ رجال كثيرون من هذه الطوائف كانوا بحق مثال العلم الغزير والخلق الرفيع ، وقد كان لبعض مؤلفاتهم في شتى العلوم صدى كبيراً كما انها كانت بحكم قبضتها على يد الحكم تروّض الناس على اكتساب سجايا وخصالاً قوية عجيبة ، لم تعد رائجة في أيامنا هذه بل ولا كبيرة الأثر في النفوس .. فهي تقضي مثلاً من الفرد الذي يدخل في غمار الطاعة لها أياً كانت قبيلته أو جنسيته أن يتذرع بالولاء لها والإخلاص والتفاني في قضاياها والرغبة والتضحية بذاته في سبيلها وقد استمرت هذه الفرضيات تفرض على النفوس والعقول رغبة ورهبة حتى يوم الثورة الأليمة التي طرحت بالملك العربي الإسلامي العماني في زنجبار وملحقاتها فخسروا أنفسهم بما فرّطوا وندم الجميع حيث لا ينفع الندم ؟ وقد سبق السيف العذل .. وصدق قول الشاعر :

أوردها « سعد » و « سعد » مشتمل

ما هكذا « يا سعد » تورد الإبل

وهكذا ظلت تعاليم الإسلام تغمر بهدايتها الناس مدة من الزمن تراوحت بين قرنين كاملين وهي تجري سائرة من غير توقف والمسلم يزداد بإخوته إيماناً كلما جد سيرها ولم يجد أي عائق في سبيل مضيه وطريق معرفته - وذلك لكثرة الدعاة والمعلمين والمرشدين الذين وهبوا نفوسهم لله وللأمة -

فعاشوا قاطنين وظاعنين في مساكن متواضعة لم تتيسر لهم فيها أسباب الراحة، وقد قنعوا بالقليل من الزاد والصالح دون الفاخر أو المترف، ولم يمدوا عينهم إلى مطمح بعيد المدى، غير انهم قد حكموا النفوس بالتواضع واستهووا الافئدة باللين والرحمة – وأحيوا الهمم بنور الله حتى كانوا بحق ملوكاً لآخرتهم من دنيـــاهم – يقابلهم اخوانهم من رجال الحكم من عمانيين ومزارعة حكموا فعاشوا على طرفي نقيض منهم إذ كانوا أصحاب ثراء ونعيم وكانت منازلهم تغص بالخدم والحشم .

وهكذا مضت فترة من فترات الماضي البعيد المدى ظل فيها الشرق الإفريقي يدين للمسلمين العرب في دينه ودنياه .

ركب دعاة الاسلام

وتوالى ركب الدعوة يجري في كل مكان يتخطى الصعاب المؤلمة بهمم لا تعرف الكلل، ويستعذب الرحلات الشاقة بعزائم لا ينالها الملل متحملاً العناء في سبيل الدعوة واستقرارها – فكانت النتيجة وكانت الثمرة أن حفظ الله الإسلام في تلك الربوع من القارة السوداء بما بذرته تلك القلة الصالحة من بذور الخير في المسجد والمدرسة في متجر المدينة ودكان القرية في كل مكان من النجد والسهل والربى والوهاد .

وما يجب أن نعلمه ويعلمه دعاة اليوم أن أولئك الذين تشهد لهم الملايين المسلمة في تلك الربوع بالدعوة وكفاحها وبالعلم وجهاده، لم يجدوا أمامهم دروباً معبدة ولا مساكن مضاءة ولا طائرات للنقل أو سيارات للاركاب ولا طنافس مفروشة أو مآكل متنوعة وإنما كان أحدهم يمشي الليالي والأيام على قدميه بين مزارع القرى وأنهر الاقليم ، حتى إذا جاءه الليل أحياه عبادة أو تلاوة ثم هو يفترش الأرض إذا عز الحصير ويأكل من الزاد ما تيسر وهكذا كانوا – فكان الإسلام بهم سليماً معافى ، نشروه بإخلاص وعلموه بالقدوة قبل أن يعلموه بالكتب المترجمة ضحوا بالكثير من الوقت مداومة ومواظبة ، فخرجت لنا من بعدهم كل هذه الاجيال التي عجزنا الآن أن نقيم لها مدرسة واحدة بالمستوى المطلوب للعصر الذي نعيشه والحياة التي نحياها ـ بل غفلنا أو تغافلنا عما كان

يجب علينا أن نعمله تجاه أولئك الذين حملوا راية الدعوة في أحلك الليالي وأشد الايام محناً وشدائداً ..

وذهب آخرون منا إلى التقليل في حق أولئك الدعاة والحط من سمعتهم وهو لا يدرك متى وكيف وبمن حل الإسلام في تلك الربوع .

وهو لا يدرك أيضاً أن ما يكتبه اليوم عن الإسلام في تلك الاقطار وعن الدعاة في تلك الديار قد جاء متأخراً جداً ..

بل ماذا عساه أن يقول وقد وجد من المدارس الكتاب ما يعد بالمئات ومن المساجد مثلها ، ومن المسلمين الملايين .

ورغبة منا في تقديم الصورة الصادقة والافادة اللازمة حفاظاً للتاريخ بذكر تاريخ أولئك الدعاة،نلم المامة مقتضبة بذكر أسماء من عرفناهم أو درسناأخبارهم بحثاً وتنقيباً أولئك الذين حملوا الدعوة خلفاً عن سلف فتحملوا صنوف الأذى.. وتمرّسوا بالأحداث فأصبحت المتاعب الناجمة منها في سبيل الدعوة مهنة .. وأصبح الجهد في السفر والإقامة عناء، هوية لازمت الكثير منهم سنيناً طوالاً تتراوح بين الخمسين عاماً والثلاثين عاماً ــ وممن لمعت أسماؤهم في كل من كينيا ــ وتنجنيقا سابقاً ــ وزنجبار ــ ويوغندا ــ والكونغو الأوسط وما جاور تلك الجهات ،وفيهم مذكّراً يقول أحد الدعاة من قصيدة طويلة ..

ويهجني نفراً بأفريقيا مضوا	كانوا مثال العلم والتمكين
كرماء تهتز الرؤوس لذكرهم	عظماء في التاريخ والتدوين
وهم سنام المجد والسباق في	نشر المكارم من قديم قرون
تقتص رواد العلى آثارهم	ولصوتهم في الربع أي رنين
وبزنجبار بقية طالت بهم	إفريقيا شرقاً إلى نسرين
خدموا الشريعة مصلحين وقلدوا	جيد العلوم قلائد النسرين

ونقدم هنا أسماء طبقات ثلاث – أي منـذ ١٣٠٠ هـ حتى ١٣٩١ هـ فمن نذكرهم ممن اشتهروا بالدعوة إلى الله في مطلع قرننا : السيد صالح بن علوي جمل الليل وأولاده أحمد صالح، وعيدروس صالح، السيد أحمد بن ابي بكر بن سميط وولده عمر بن أحمد سميط .

الشيخ عمير تاج الشيرازي، الشيخ الأمين بن علي المزروعي، الشيخ محمد بن عبد الله باكثير، السيد عمر بن سالم العطاس، الشاعر الأديب محمد بن علي الأموي، الشيخ الهنزوان ، شيخ الإسلام السيد عبد الرحمن السقاف إمام الدعاة، السيد عبد الله شاه ، الشيخ علي بن محمد الخطيب ، الشيخ سعيد بن أحمد .

ومن دعاة رجال الطبقة الثانية : السيد أحمد بن حسين آل الشيخ ، الشيخ محمد بشير ، الشيخ محمد حسين العلومي ، الشيخ عثمان بن علي العمودي ، الشيخ علي بن عمير ، السيد محضار المهدلي ، السيد حسن الشاطري ، الشيخ محمـد ابن أحمد البريك السيد محمد عدنان ، السيدأبو الحسن بن أحمد جمل الليل ، الشيخ عبد الله الخطيب ، السيد محمد بن عبد الرحمن السقاف ، السيد عمر عيديد ، الشيخ لال حسين أخطر ، الشيخ نعمان ياشيخ ، السيد عبد الله البيض ، الشيخ عبد الله بن محمد بارعيده، وهو من كبار الدعاة الذين افتقدتهم أقطـار إفريقيا الشرقية .

وقد رثاه الداعية الإسلامي أحمد مشهور الحداد بقوله :

رمت الحوادث من وراء كمين	جاري فهاجت عبرتي وشجوني
ركن من التبليغ هدّ فياله	من ركن تبليغ يهدّ ركين
لهفي على صوت مدوٍّ في الحمى	بالحق أمسى خافتاً في الطين
صوت الفتى الحسني من بلغت به	عرفات دعوته نيا سيلـين
من حيث لا تجد الدعاية مدخلاً	بسوى مغامرة وحسن يقين
طلب العلوم مشمّراً عن أهلها	بالبحث والتـدريس والتلقين

إلى قوله :

لم يحتكر علماً ولم يطلب به — رسماً ولم يجنح به لمجون
بل بثه بين الطوائف لم يمز — ما بين أحمر سحنة أو جون

إلى قوله :

كم صدت في الغايات من نفر غدت — في معقـل للمسلمين مكـين
هذي (وديقو) وهي أقرب حلة — تجني قطاف غراسك الميمون
وبتنجنيكا من جهودك جبهة — صمدت تجاه الغي والتدشين
وبشطر يوغندا كشفت مخارقاً — عن فرقة الصلبان والمشين
حتى عنت لك رغبة رهبانها — واستسلمت طوعاً لأشرف دين
دين العـدالة والنزاهة والحجى — دينٌ بأشـكال العلوم بطـين

ومن دعاة رجال الطبقة الثالثة :

السيد عمر بن عبد الرحمن بن عقيل ، الشيخ محمـــد سليم العماني ، الشريف طاهر بن اسماعيل الحسيني ، الشيخ عامر بن نهيد النهدي ، السيد أحمـد مشهور الحداد ، السيد عمر بن عبد الله بن الشيخ بو بكر بن سالم ، الشيخ عبد الله بن محمد بافضل ، الشيخ عمر تاج الشيرازي ، السيد أبو بكر الشبلي عمر قلنين ، السيد صالح بن عبد الله الحبيد ، السيد سعيد بن عبد الله البيض ، الشيخ علي بن أحمد – تانقا – ، السيد علي بن أحمد بدوي جمل الليل ، الشيخ سليمان العلوي ، الشيخ عبد الله الفارسي ، السيد عبد القادر بن أحمد الجفري ، السيد محمـــد بن علوي بافقيه ، الحاج سعيد بن يسلم المشجري ، السيد منصب بن عبد الرحمن ، السيد أحمد بن عبد الرحمن بن شيخ بو بكر بن سالم ، الحاج لقمان حكيم البهري ، الشيخ بانامكو هبو ، الشيخ محمد قاسم المعلم جمعة بن أحمد المعلم حسين وديقو ، الشيخ الوالي زكريا – موشى – السيد سالم بن عمر العطاس ، السيد محمد بن عبد الله الشاطري ، المعلم سعيد بن أحمد القمري ، الحاج رجب النوبي ، الشيخ عمر باصفار ، الشيخ عبد اللطيف باشراحيل ، شيخ الإسلام في يوغندا الحاج كعب ، الشيخ

شعيب ، السيد عبد الله علوي الجفري ، الشيخ صالح بن حمد العبادي ، الشيخ علي كلومبا ، السيد محمد بن حسن السقاف ، السيد حسن بن سالم السقاف، الشيخ علي بن محمد زاكني باحنان ، الشيخ عبد الواحد سلوم، الشيخ محمد لبوا ، الشيخ عيدي سنجابي كده ، المعلم رمضان عبد الله النوبي ، الحاج جمعة كيذيا النوبي ، الحاج رمضان أبيض ، الحاج خميس سليمان البلوشي ، السيد علي بن أبو بكر بن علي بالفقيه ، الشيخ خلفان ، الشيخ سليمان ، الشيخ عبد الصمد ، السيد محمد بن عبد الرحمن الجفري ، الشيخ منصور الجعلي العباسي ، الشيخ أحمد خير الجعلي العباسي ، ياسين حسن الجعلي .

وغير هؤلاء كثير وكثير ممن لم تحضرنا مسمياتهم وسنتعرض لهم بالتفصيل في حين آخر كما أن هناك حالياً الكثير من الشباب الذين كانوا بحق خير امتداد لأولئك ، والأمل معقود على الشباب الذي يتلقى دراساته في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي .

كما أن هناك مدارس تعنى حالياً بتخصيص كراسي للدعاة - كمدرسة مبروى - ومدرسة التهذيب بمباسا- وأخرى بتانقا - تنزانيا- ومعهد بلال- بيوغندا ، ومازال ركب الدعوة سائراً ماضياً في طريقه رغم التحديات ورغم العقبات التي تعترضه في كل منعطف .

فدعاة الصليبية - الحاقدة على الإسلام - والصهيونية والاستعمار السياسي وقبله الإحتلالي ما فتئوا يترقبون كل الخطوات ويرصدون كل الحركات وقد عملت الإرساليات شيئاً كثيراً .

لذا فنحن حينما نتناول دعاة المسلمين بالذكر، إنما نقع على خطوط أساسية لمعرفة كيف سارت دعوه الإسلام قوية فعالة وسط أعاصير من الوثنية البغيضة والصليبية الحاقدة - ولولا أن لنا من الوشائج العريقة التي ربطت شعوبنا بتلك وشائج قوية يدعمها الواقع وتشهد بها الآثار ، لما كان للاسلام في يومنا بتلك الربوع هذه القوة وهذه المكانة .

والحقيقة التي ينكشف عنها البحث في أمر الصلات والوشائج أياً كانت بين الإفريقيين وماضينا العربي الإسلامي حقائق ناصعة جداً يهم أمرهـا كل إفريقي مسلم .

وهذه الحقيقة أو الحقائق ممكن استخلاصها في هذه الشواهد القائمة لسلف صالح احتضنتهم مقابر تلك الأتربة الإفريقية بعد أن أدّوا واجبهم كاملاً غير منقوص ، وشواهد أخرى ممثلة في ركائز الفكر كاللغة وتقاليد وعادات مشتركة وانطباعات في العديد من مرافق الحياة ومعالمها ،وبالتالي في مصيرنا المشـترك كدول نامية تطمع فينا الدول الكبرى وتتجاذبنا سوياً المحاور العالمية لتجعل منا جميعاً أمة متبوعة ومسخرة تسخيراً .

ومما يجدر بنا ذكره في ختام هذا الفصل التعريض ببعض الجمعيات والهيئات التي ساعدت كثيراً على دفع عجلة الدعوة والتعليم الديني . ولكنها أي الجمعيات والهيئات وهي من الكثرة بمكان قد تعثرت في بعض الخطوات ، واتخذ بعضها سبيل الارتباط بالحركات التنظيمية السياسية والجمعيات الاقليمية فنجمت عن كل ذلك عوامل ضاعفت من خطورة التحديات التبشيرية ، وما زالت بعض هذه الجمعيات الإسلامية تنشط يوماً فيوماً بعداً عن التجمع المطلوب .

ورغم كل هذا ، فنحن لا نبخس أحداً جهده وعمله ، فقد اندفع الكثير من هذه المنظمات والجمعيات بحماس لعاطفة أكثر من الإندفاع بالعقل المتروي والتفكير الواعي مما حدمن نشاطات الكل في ظروف عصفت بها النزعات القومية ،فتلاقت فيها تيارات عدة لعب فيها المستعمر والحاكم بأمره يومئذ داخل الأسوار وخارجها ألاعيبه المعروفة ، فكان من جراء ذلك أن وقعت هذه الجماعات مجتمعة وموزعة في أخطاء محسوسة ،فمنها ما علق بنظامها التطبيقي الساري بها في الحياة فأضرت بقضاياها الاسلامية من حيث لا تشعر ، وبرزت الفرصة للجانب المعادي فنال بدعـايته من الإسلام كدين ومن المسلمين كمعتنقين مما يجعلنا نسلم بما قيل عن

المسلمين كبشر لا عما يقال عن الاسلام ذاته كنظام وتشريع حياة ، ورب قائل يقول : إذن فالحركات الاسلاميـة المستمرة القائمة في الشرق الأوسط والجنوب من افريقيا تعاني تفرقاً ، لا يقتصر على القيادات وألوان العمل وإنمـا يمتد إلى مفاهيمها الفكرية وتصوراتها الاسلامية ، فبعضها يرى العمل واجباً في الميادين السياسية التي تقوم على مسايرة الأنظمة القائمة من حكوماتها ، وبعضها يقتصر على ألوان من العمل الخيري ، وأخرى تتخذ ألواناً من الروحية المعزولة التي لا تشارك في حياة ولا تتفاعل مع أحداث ، ومـا من شك في أن كل هـــذا يفقـد رجالها الجدية الفعالة في السير بالدعوة التي تتطلب تلاحماً وتوافقـاً في الاتجاه .

والإجابة على ذلك أن هذا واقع موجود ، لا في الشرق والجنوب والوسط بل في كل القارة ، أو بعبارة أشمل في كل أصقاع العالم الاسلامي ولكن الأمر في هذا الجانب غير مستعصي العلاج إذا عرفنا مصدر هـذه الخلافات وحددنا أبعادها .

فإذا جئنا نبحث عن مصدر الخلاف لم نجد له أساساً يستند إليه سوى ضيق التصور الذي نشأت فيه الحركة وتنحيتها لظروف أو لأخرى القيادة الاسلامية الواعية التي تملي مخططاتها من واقعها الاجتماعي ومن ارتباطها فكرياً وعقائديـاً بعوالم إسلامية خارج حدودها - وكل هـذا في حقيقته لم يكن ليؤثر في سير رجال الدعوة لولا تدخل السلطات بمؤازرتها للقيادات غير الواعية - كما حدث في أكثر من جانب .

على أن القيادة الواعية كيف تكون ؟؟ وكيف تنشأ ؟! في أوساط أحاط المبشرون بهـا من كل جانب وتكاتفت عليها قوى الشر والفساد في المدرسة الحديثـــة والعمل والمكتب - الوظيفي - والارتباطات بالعوالم الاسلاميـــة الخارجية قد فشلت في أداء واجبهـا واقتصرت على الاتصال في حدود السياسة

التي لا تخدم الاسلام في التبشير به وإنما تخدم المصلحة العائدة على الدولة التي تسببت ... في هذا الارتباط فانفرطت حلقة الاتصال الشعبي الذي يقود الحركة الاسلامية في حين لم يقف الاتصال الشعبي ولكنه يجد تجاوباً يذكر حتى يعزز من سيره فيكوّن القيادة الواعية ... إذن فالخطأ ليس في وجود التعدد من الحركات وإنما هو في السير الذي ضل طريقه.. وواجبنا هنا واجب الهيئات الاسلامية الكبرى أن تسعى ما استطاعت إلى تجميع هـذه الحركات وتنظيم مسيراتها واستغلالها لصالح الاسلام استغلالاً مرحلياً طبقاً لظروف الزمان والمكان .. وإلا .. فإن الصراع الدولي الذي يبدو مصمماً على اقتسام افريقيا أرضاً وبشراً سيقضي أول ما يقضي على هذه البقايا من الحركات الاسلامية الموزعة والدعاة الذين تضاربت عليهم فجاج السبل ، هذه الحركات التي طال نداؤهـا وأولئك الدعاة الذين بحّت أصواتهم وجفت أقلامهم وكلهـم يستصرخون ويستجيرون — لا — أن نقدم لهم أرضاً جديدة ، فالأرض أرضهم لا تزال في جدتها بكراً وإنما لنقدم لهم شيئاً من الدعم الروحي ممثلاً في بناء مدارس حية ومعاهد لتخريج الدعاة المنذرين يجدون في رحابها ما يجعلهم يلحقون بركاب الحياة تماماً كما تفعل إسرائيل التي جاءت أخيراً ، ولكنها بخطواتهـا البارعة وبفضل انتمائها إلى الاستعمار المقنع قد اقتطمت من الأنصبة أوفاها .

ولقد واجه المسلمون الأوائل في تلك البقاع جبهة واحدة هي جبهة المستعمر الدخيل ، أما اليوم وقد انحسرت الصورة الظاهرية لذلك الوجه ، فقـد تعددت الجبهات وبرزت بوضوح ، أهمها عداء وأقواها عدداً وعدة: الكنيسة وإرسالياتها ، فقد قامت بإنشاء عدة جبهات تحت أقنعة مختلفة وأساليب متباينة ، وما كان لنا أن ندرك شيئاً مما تقوم به لولا كثرة ما يتبخر وينجم من أفعالهـا ، ولولا كثرة ما يدمنها به صحفيون من بجدتها وقساوستها .

فإذا رأينا الاستعماريين من رجال الأعمال والتعدين والتسويق يحاولون بشدة

تمكين الأقدام في الأراضي بتقديم المساعـدات والمعونات الفنية وإقامة المنشآت من طرق وموانيء واستخدام العشرات من العمال موظفين سخرة فإننا سنخرج بالنتيجة بداهة أن وراء كل ذلك أكثر من هدف وأكثر من مطمح .

أما أقنعة التبشير فهي تقوم بدور إنشاء جدار صليبي بين المسلمين والوثنيين من جهة ومن جهة أخرى بين المسيحيين والمسلمين ، وذلك لمنع انتشار الاسلام بعد أن تبين لها أن للاسلام جاذبية طبيعية في قلوب الجميع ، وأن المعتنقين للاسلام من غير أي تبشير يفوقون بكثير تعداد من يعمّدون في المسيحية. ولكي نتبين هذا نقرأ مـــا كتبه « ت. هـ. ب. سايللر » عميد الدراسة التبشيرية في الولايات المتحدة في كتابه « المسلم يواجه المستقبل » وتحت فقرة : لماذا يجذب الاسلام الزنوج كتب يقول :

« والوضع الثالث الذي أثار الاهتمام الكبير هو انتشار الاسلام في افريقيا ، لقد كـُتب الكثير عما يسمى بالجاذبية الطبيعيـة من قبل الافريقيين نحو الاسلام ولقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوباً وحتميـاً لأن الإسلام يلائم الزنوج جداً وهو يحسن من أوضاعهم . ولا أمل للمسيحية في منافسة الاسلام » .

أما الآخرون فقد اعتبروا التحول إلى الإسلام سوء حظ كبير للرجل الأسود لأن الإسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشديد الجهود وعلى نطاق كبير لوقف المد الاسلامي .

ثم يقول : ومن المهم جداً أن نعتبر بعض الحقائق .

لماذا انتشر الاسلام في افريقيا بشكل كبير وأكثر بكثير من المسيحية ؟!

ثم أوضح الأمور التالية :

١ – لأن الاتصال الاسلامي كان أكثر .

٢ – التجار المسلمون والمعلمون المسلمون – المحليون – كانوا يبدون إلى الزنوج أنهم متفوقون ، وأنهم ليسوا بعيدين من الافريقيين جميعاً .

٣ – العامل الأكثر في الموضوع هو أن رسالة الاسلام إيجابيــة Positife وسهلة الفهم Definite وليست مغالية جداً في تطلباتها Easily anderstood.

.. الاسلام يعطي رؤيا محددة تجلب الشعور بالراحة لشيء قد أنجز إتمامه كما يمنحه المساعدة على الانجاز .

.. إن المتحول إلى الإسلام يصلي بجانب أستاذه ، كما أنه بمجرد تكوين مجتمع إسلامي فإن صلاة المسجد والواجبـات الدينية الأخرى تعطيه الشعور بالوحدة الاجتماعية .

.. إن الاخوة في الاسلام ليست دينية فقط وإنما اجتماعية أيضاً .

.. المسلم لا يرسم خطاً لونياً بين الأبيض والأسود ، المسلم يأكل ويتزوج من ذوي البشرة السوداء ..

وفي النهاية يصل « سايللر » إلى وجوب عمل الكنيسة بسرعة أكبر وعلى مجال أوسع !!

ولماذا لا تلبي الكنيسة هذا الصوت الكبير وقد وصل بواسطتها إلى وظيفة عميد الدراسات التبشيرية في أكبر دولة في العالم . نعم لقد لبت الكنيسة هذا الصوت بعد اقتناعها باتخاذ حملة تبشيرية لا تعرف حداً تقف عنده .

فاندفعت مجتمعة كاثوليكية .. وبروتستانتية تنصب شباك حبائلها في كل طريق وملتوى ، في كل مدينة وقرية ، وبكل الوسائل مستهدفة فيها القضاء على المسلمين .

وقد اختارت في حملتها التركيز على عدة مناطق (استراتيجية) فاشتغلت وعملت في « بيافرا » ودعمت وآزرت في (الحبشة) وفرقت وشتتت في « ارتيريا وجنوب السودان » وأبادت في « تشاد وبروندي وأروندا والكونغو الأوسط » وأيقظت العنصرية في « تنزانيا » والفتنة في « غينيا » وعملت قبل كل هـــذا تلك المخططات التي شدت في عضد الاستعمار ذاته فساعدته على ضرب الاسلام من الداخل وذلك بخلق قيادات معادية للاسلام في معظم دول القارة . فتنجنيقا ـ مثلاً ـ نالت استقلالها على أعتاب حزب « تانو » وكانت الأغلبية الساحقة فيه ممثلة في المسلمين ، ولكن الصليبية المنبثقة من الكنيسة أبت إلا أن تعزل الإسلام الممثل في أخوة الدم والوطن والكفاح . وهكذا كانت الوقائع المحبوكة ضد عزل الاسلام وأهله في كل من « ساحل العاج » وجمهورية « افريقيا الوسطى » و « توجو » و « الغابون » و « تشاد » و « زامبيا » و « الكاميرون » و « السنيغال » و « سيراليون » . والمعلوم أن المسلمين في كل هذه الأقطار يشكلون الأغلبيات ، ولكن الاستعمار المقنع ومن خلفه وأمامه الكنيسة .. أبيا إلا أن يبقى المسلمون معزولين عن كل قيادة منبوذة من كل ريادة .

ورغم كل هذا فنحن نؤمن أن الاسلام سيأخذ مكانه الحق مهما طالت المحنة وكثرت المشكلات . فالأحداث بخواتيمها .. والعبر في افريقيا كثيرة . فمن منا لا يذكر ما كان يتبجح به ذلك المهزوم « اوجوكو » في أمس دابر مضى وانقضى بهزيمته التي هي هزيمة الذين حرّكوه وآزروه ، فلقد عبّر عن أهدافه أحـــد أقطاب التبشير في العصر الحديث البروفسور « حيريام ـ ام ـ ريك » بقوله : إن الثورة البيافرية سوف تنشيء حكومة مسيحية في نظرتهـا وذلك تبعاً لما صرح به اللواء « أود وميجو » وأن الخط السياسي لبيافرا سيكون في وضع حد للتوسع الاسلامي العربي !! في كل أرجاء القارة !!

ولكن هذا الخط قد تحطم بفضل الصلابة التي قاوم بها أولئك الأحرار من أجل وحدة وطنهم المسلم ليس إلا ؟

وماذا يكون الأمر يا ترى لو قدّر للحاقد المدفوع أن ينتصر ؟؟ لقد كانوا جميعاً يتمنون له ذلك ، وفي مقدمتهم أولئك الذين اعترفوا به .

وما منهم إلا معمداً وقسيساً فانكشفوا عن هوياتهم وسقطت الصلة في حومة المياه العكرة التي تسبح فيها وسط الجموع الافريقية . فقال عنهم الدكتور المسيحي « توماس ميلادي » في كتابه (ثورة اللون) : إن السلالات التي ترفض سيادة الرجل الأبيض الاوربي ترفض في الوقت نفسه الدين الذي ارتبط معه !!

وأخيراً ـ فإن ما علينا من واجب نحو افريقيا وإخوتنا في العقيدة بصورة خاصة هو أن نفهمها أولاً !! ونشطب من القـــاموس الاستعماري (القارة البدائية) ، ثم نضع بعد هذا ما يجب علينا من خطط عملية للمساعدة والمساهمة على أسس مركزة ـ تدرس خطوطها مع الجهات المثقفة العليمة هناك — حتى نجني من وراء ذلك حصيلة غرسها الإيمان الصحيح وجناها العمل الفعال للمسلمين في كل أقطارنا ، وما يجب أن نعلمه بالتالي فإن إنسان اليوم — الافريقي — من حيث إسلامه وإنسانيته ينساق بواسطـة أدوات التوجيه وتكوين الرأي العام من صحافة وإذاعة وتلفاز إلى أن يستحسن السيىء ويستمرىء الضعف ، وتألف حواسه مفاهيم هذه الحضارة الآسنة . إنهم يسوقونه إلى القضاء على نفسه وفق مخططات رهيبة أملاها الحقد على الإسلام والكيد بأهله واستخدمت فيها كل الطاقات و كل معطيات الحضارة التي تسود العالم اليوم . إنهم يسوقونه إلى كل هذا على مرأى من سفارات العالم العربي والاسلامي وعلى مشهد من الهيئات الاسلامية الكبرى الامر الذي لا يمكننا إخفاءه .

إننا جميعاً مسؤولون أمام الله — مسؤول كل مسلم صادق راغب في إعلاء شأن الاسلام مسؤولية العمل الجاد والدائب في وجه مثل هذه المحاولات .

اصالة المسجد في افريقيا الشرقية
ودوره في الأخذ بحياة المسلم

إن تاريخ المسجد في افريقيا الشرقية – أي في كل من كينيا ، وتنزانيا المتحدة ، ويوغندا ، هو في قِدمه كقِدم تاريخ الساحل نفسه – وإذا ما عرفنا أن الاسلام دخل في هذه الأصقاع من لدن ١٣ قرناً خلت أدركنا أن المسجد قد قام بدور هام في الأخذ بحياة المسلم في هذه الديار .

وقد أصبح المسجد في الشرق الافريقي دليلاً واضحاً ينبىء عن قِدم تاريخ الاسلام ، ويعرب أيضاً عن تراث قيم أنشىء سابقاً ولما تمحى بعد معالمه وتدخل تحت طيات الثرى حتى أثار قيمته التي حصدها الأولون السابقون ـ اللاحقون بهم ، وهكذا دواليك .

والتراث التاريخي للمسجد بهذه الأصقاع هو كالكتاب القديم الذي تفقد بعض صفحاته ، والصفحات المفقودة هي التي تنسى إلى الأبد !!

غير أن المسجد في افريقيا وإن كانت بعض صفحاته التاريخية قد فقدت ، إلا أن ما فقد منه ليس بأكثر مما هو باق ، وسيبقى إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين !!

والباحث عن الاسلام في الشرق الافريقي قديماً وحديثاً لا يحتاج أو لا يتطلب إلى كثير عناء ، فإذا ما عرفنا أن وجود المسجد وبصورة تثير الدهشة والاستغراب دليلاً على وجود ترديد كلمة (الله أكبر) أدركنا أن الاسلام كان ولعدة قرون خلت قوياً جداً !!

ففي الماضي السحيق نجد كتاب التاريخ المعاصر يحدثوننا بالبيانات المشرقة عن وجود ثلاثمائة مسجد في المدينة العربية الافريقية – كلوا – « Kilwa » بتنجنيقا . كما نجد أن الحفريات الجديدة التي اكتشفت في المدينة العربية القديمة (غيدة) Geda في غضون الأعوام التالية ١٩٥٤ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ م وما بعد ذلك .. وتقع (غيدة) شمالي ممباسا ، وتبعد عنها بـ٦٣ ميلاً . قد أسفرت هذه الحفريات حتى هذا الحين عن كشف ستة مساجد بالإضافة إلى المسجد السابع (الجامع) وقد دل على موضع بنائه بالرغم من مواراته عدة قرون تحت أطباق الثرى – محل منبره – ومحرابه وممراته وبركة مائه وبهوته وضاحيته ومصالحه وبالتالي اسطواناته الست المربعة وهي من الحجر المرجاني ، إذ ما زالت كل هذه تعطي لون الجدة والقوة – وهي تدل دلالة واضحة على قوة الحضارة العربية الاسلامية في قوة تصميم مبانيها وعراقة حسن أصالتها ، وبالذات في عمارتها لبيوت الله !! وقد وجد رمز في معبر الباب الشمالي الشرقي وهو عبارة عن (سنان رمح أسود) يدل تعبيره على عنصر افريقي في الحضارة العربية الاسلامية بالساحل الشرقي من افريقيا !

كذلك نجد عراقة تاريخ المسجد في(زنجبار) في محراب مسجد(كزيما كازي) فقد ظهر التاريخ في بعض لبنات المحراب سنة ٥٠٢ هـ ١١٠٧م . أي من لدن تسعة قرون خلت .

وقد استمر بناء المسجد يأخذ مجراه وفعاليته لإعلاء كلمة (الله أكبر) ولم تثنه أي عقبات حتى في أحرج وأشد الأوقات إبان الغزو البرتغالي واحتلاله لتلك المناطق !

ومضى موكب المسجد يخطط له في كل مدينة وقرية مكانته اللائقة حتى يومنا هذا — وقد لعبت مكانة هذه المساجد في الماضي دوراً هاماً فعالاً بأهلها — إذ كانت كل شيء بالنسبة للمسلم الذي يتطلب تعليم دينه ، ولعل قيام المسجد في الوقت الحاضر ببعض ما كان عليه سابقاً إنما كان امتداداً إسلامياً أراده الله للمسجد الذي ينادي من شاهقات فناراته نداء الوحدانية وحيعلة الصلاة والفلاح ، وما زالت حتى هذا الوقت من كثرتها تثير الاستغراب وتملأ النفوس اكباراً وإعجاباً بالدرجة أنك تجد في عاصمة من العواصم الافريقية — كنيروبي ، ودار السلام ، وكمبالا أو مدينة (كممباسا ، وزنجبار ، وماليندي ، ولامو) — أكثر من عشرين مسجداً ومعظمها تقام فيها صلاة الجمعة !!

ناهيك بالقرى . فقد يوجد بالكبيرة منها أربعة مساجد إلى ستة .

وكل هذه المساجد تحت إشراف أهلها إذ لم تكن هناك وزارات حكومية للأوقاف ترعى شؤونها ، ولذا فكل تكاليفها أنشئت من أموال الأهالي الخاصة . والانفاق عليها ومصالحها من تبرعاتهم المتلاحقة وإن ضؤلت ، ونادراً ما تساعد من قبل الأوقاف الإسلامية العربية الهندية (المحلية) . أما مرتبات الأئمة والمؤذنين فهم غالباً ما تجدهم متبرعين لله ، وفي مرضاته . ولهذا السبب قلت نتيجة قيامها في الحين بدور الإرشاد حيث تجد الآن معظم القائمين بذلك ممن قصر باعهم في التوجيه . وكفى منهم أن يقوموا بمجرد الأذان والإمامة المجردة !!

أما ما يمكن أن نسميهم أكفاء وأئمة منابر فقد ذهب كل منهم وراء لقمة عيشه وبنيه .

أما الحكومات وباعتبارها مسيحية في كل من الأقطار الثلاثة ، فهي بعيدة كل البعد عن كل شأن من شؤون المساجد .. بل الملاحظ هنا أن إدارة

البلديات تقدر المساجد ولا تتعرض لها بمكروه، علاوة على إعفاء أراضيها من رسوم ضريبة البلدية ، وهذه منة تستحق البلدية الشكر عليها والتقدير !!

بناء المساجد :

ومعظم بناء المساجد في الأقطار الثلاثة من الحجر والاسمنت المسلح وبعضها من مواد البناء الأخرى ، غير أن معظمها وبالذات التي رممت وأُعيد بناؤها من جديد ، فقد بنيت على أحدث طراز وأحسن تنسيق ، وهي بصورة عامة مفتوحة لكل مسلم . هذا بالنسبة لمساجد السنيين منهم ، أما المسلمون الآخرون من الهنود - كالإسماعيلية أتباع آقا خان والطائفة البهرية - والطائفة الاثنعشرية الشيعية والقاديانية والعُثمانيين - فهي ليست من الكثرة بمكان بل انك قد لا تجد في العواصم أو المدن المتوسطة والقرى بما لا يتعدى على أكثر من مسجدين !!

ومن المؤسف جداً أن مساجد هذه الطوائف لا يمكن أبداً أن تسمى مساجد بالمدلول الاسلامي الصحيح وذلك لعدة أسباب ، منها أنها محظورة على غيرهم من المسلمين ، في حين نجد أن بعضها لا ينادي بالأذان في أوقاته . والاسماعيلية التابعة لآقا خان أدهى شراً وأكثر فساداً في مساجدها من الطوائف الثلاث الأخرى !! فهي بالذات تغشى مساجدها خليطاً من الرجال والنساء الكاسيات الأمر الذي ينافي كرامة المساجد وسلوك العبادة لله . ومما يلفت النظر أن هذه الطوائف قل أن تبني لها مسجداً ، إلا في الحارات التي تتجمهر بسكانها من طوائفهم الخاصة .

وقد حاولت أن أستشف من بعض جماعات هذه الطوائف ما وراء هذه الخاصية في أداء الشعائر ، فلم أستطع للحرص الشديد والسرية المغلقة عندهم ، وجماعات هاته الطوائف بعزلتهم هذه يشعرون بحيرة الناس حولها، ويتجاهلون كل سؤال عنها !!

وظيفة المسجد في الشرق الافريقي :

والمسجد في الشرق الافريقي له وظيفة أخرى غير الصلاة ، فهو مكان لاجتماع المسلمين في عرض قضاياهم الهامة . وهناك يتداول الخطباء التذكير والإرشاد، وقد يتطرق أحدهم إلى مجال السياسة والدين، وهو أيضاً مكان للتعليم الديني – وتعليم القرآن في بعض منها – وذلك لعدم وجود قاعات للمحاضرات أو مدارس كافية لتعليم الدين والقرآن !!

وجملة القول ان المسجد في الشرق الافريقي بيت للعبادة ، ومدرسة للعلم، ودار للسياسة ، ومجلس شورى لأهل القرى والأرياف .

والكلمة الأخيرة عن المسجد في افريقيا الشرقية أنها في حاجة إلى جهود موحدة كيما تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل ، ولتعيد معناها الصحيح للإشراق الاسلامي الأول وبكل معانيه .

وأقصد بذلك أن معظم المساجد يعوزها الكثير والكثير من على منابرها ومآذنها وقاعاتها من توجيه الوعي الديني والوطني . وما يجب أن يكون عليه الإمام من العلم والمعرفة والخلق ، فإن الكثير ويا للأسف ما زال مثلاً يخطب يوم الجمعة والأعياد بخطب ما قبل ٦٠٠ سنة، الأمر الذي لا يتعلق بشيء من حياة مسلم اليوم .

وهو في الواقع يعيش بين مدنيات متناقضة، وأديان مبتكرة مضلة ومضللة ، وفساد عم نشره ، واباحية عمت الصغير والكبير .إذن فهو أحوج ما يكون إلى إرشاد وتوجيه أكثر منه إلى المساجد .. إرشاد ينفره من الفساد ويحثه على الخير .

وتوجيه يدعوه إلى وحدة دينه ، إلى قيمه السامية إلى مثله العليا ومعرفة أسراره . إلى كل ما يبعده عن مسالك الترهات التي نصب أصحابها والواقعون فيها حبائل شركهم المنصوب ، في كل مسلك وملتوى ومضيق ، في كل تأليف وفي مجرى كل حديث . وفي كل صحيفة ومجلة ونشرة — ولا بلاغ إلا بالله ! !

الأقليات الاسلامية في افريقيا

إن الشرق والغرب ـ معاً ـ متفقان على محاربة الاسلام والمسلمين ، ولهذا لا يتأتى لكاتب ما أن يستعرض العداء للاسلام أو مشاكل المسلمين في افريقيا ما لم يستقرىء لماذا يلاقي الاسلام هذا العداء .

وكيف تحالف الشرق والغرب على أن لا يتفقا إلا على عداء الاسلام والمسلمين؟ نعم ، نعلم كيف كافحت كثير من جمعيات التبشير وإرسالياتها مبادىء الاسلام ومثله ، ومقومات شخصية المسلم .

ناهيك عما رسمته مع حكوماتها من خطوط الاضطهاد ، غير أن هذا كله لم يفلح في القضاء على الاسلام وأهله ، بل أن كل ما تمخض عنه من نتائج هو اختفاء التنظيمات الاسلامية تحت الأرض لتبرز كلما سنحت لها الفرصة ـ غالبة أو مغلوبة ـ أو لتبيض وتفرّخ بعيداً عن الأنظار حتى يستفحل أمرها ، ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره .

ولقد عاشت البلاد الافريقية عشرات من السنين مضطهدة معذبة مغلوبة على أمرها ، إذ تكالبت عليها الحكومات والقسس معاً وعمل الجميع جاهدين على تنصيرها ، وقد خابت أمانيهم قديماً ونجحوا حديثاً في كسب الوثنيين وبالذات في المنتصف الأخير من هذا القرن . والمسلمون الذين توارثوا الاسلام أباً عن

جد فقد عمل الغرب بالترغيب والترهيب لتنصيرهم فلم ينجح ، وإذا كانت رسله لم تنجح في تنصير أولئك ، فقد نجحت ولا شك في إقصائهم عن دينهم وذلك بما فرضوه عليهم من نظام تجهيل وإبعاد عن البلاد الاسلامية . واليوم وقـد غادر المستعمر البلاد الافريقية إنما غادرها بجسمه بعد أن طبعها بفكره ومبادئه ولغته .

والأقليات الاسلامية في كل قطر وصقيع تعاني من التنكيل والتبديد وضيق الخناق بمثل ما تعاني الأكثريات المسلمة . وسواء كان من الحجز والبعد بهم عن المشاركة في تسيير دفة الحكم وعلى اختلاف مضامينه ومـــا يتطلبه من تنظيم وتشريع وقيادة أو غير ذلك !!

مفاهيم الأقليات الاسلامية :

ولقد أصبح من المسلم به أن هذه الأقليات الاسلامية لا تعرف من إسلامهـا إلا القليل كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، معرفة لا تتعدى ظاهرة هـــذه الفروض .. أو بعبارة أخرى تبرز فيهـــا العمليات الفعلية مجردة عن الروح والمعنى ، وعلى ضوء معلوماتها الضحلة ازدريت من بني جنسها وفصمت من كيانها – وهي جزء من كل لا يتجزأ – فلاقت من العنت والاضطهاد ما ترزح تحته وتئن من عبء ما يثقلها منذ أمد بعيد وإلى اليوم ومـــا بعده ! وإن لم يتبدل الحال وينظر إليهم كمسلمين لهم ما يختارون ويشاءون في دروس دينهم وتعليم عقائدهم .

والقليل من هذه الأقليات الإسلامية ، عرفت الإسلام وما ينطوي عليه من مثل عليا ومنهاج عادل كامل اجتماعي واقتصادي وسياسي ، ولكنهـا منيت بقيادة يتعثر سيرها كلما أحست أن حولها صراعاً محتدماً بين مذاهب يتنـازع البقاء بعضها بعضاً – فأصبحت حينئذ مذبذبة في رأيها – فهي إذن متأرجحة بين إفراط وتفريط . وممـــا يسترعي الانتباه أن في الشرق الافريقي رغبات للأقليات الاسلامية ترمي إلى تحرير نفسها من الواقع السيىء الذي تعيش فيـه

لتستبدله إلى ما تعيش فيه الجاليات الأخرى ذات المنزع اللاإسلامي . ويتضح لنا جلياً من رجال الطليعة السائرين الآخذين بزمام هذه الرغبات إلى حيث الرشد والتضامن والسداد .

وقد اتخذت رغبات هذه الطلائع للتخلص من الواقع السيىء أشكالاً مختلفة من المحاولات ظلت تجري هنا وهناك بين حين وآخر .. إلا أنها أخفقت كل الإخفاق . إذ ما فتىء العالم الاسلامي من حولها يتعثر في خطواته التي تطلب هذه الفئات السير والربط بما يجري فيه كجزء لا يتجزأ من حيث العقيدة التي هي أقوى رباطاً وأجدى نفعاً من كل قربة تحاك خيوط وشائجها اليوم لأغراض مادية ذائبة وتنفك في الغد حينما تتبدى الوشائج وتلين العرى !!

وعلى ضوء ما تقدم، فالاقليات الاسلامية في إفريقيا الشرقية هي بصورة عامة تحارَب في عقيدتها ، وهي بحاجة ماسة إلى الإسعاف وعلى اختلاف صوره وأشكاله ، وليس لها من الاقتصاد ما يعزز كيانها الحالي ، اللهم إلا ما ندر في تغطيتها لسد ثغرات هي ولا ريب من باب (لا بد مما ليس منه بد) وإني لأخال أنه إذا ما بقي العالم الاسلامي بعيداً عن حاجيات إخوانه ، فسيأتي يوم لا ريب فيه سيصبح المسلم هناك مفقود العقيدة مسلوب الرأي . فيخسر العالم الاسلامي تسعة ملايين ونيفاً من المسلمين ، لهم طاقاتهم الفعالة ومجالهم الواسع في مضمار القوى الافريقية الآسيوية والعربية الاسلامية !

الأخطار المحدقة بالاسلام .. في الشرق الافريقي

إن هذا الظرف الحالي بسلميه هو المعني الأول من المسيحية الدولية واليهودية الطامعة ـ فهاتان الديانتان تشكل الخطر الأول على الإسلام ، وثاني الخطرين إن لم نقل أدهى وأمرّ هو النفوذالشيوعي الملحد ـ وبوضع النقاط على الحروف ، نرى الخطر المحدق جملة وتفصيلاً من الأمور التالية :

١ ـ التعليم الصليبي بصورة عامة والذي تستهدفه جمعيات التبشير ومراكزها ، وإرسالياتها .

٢ ـ النفوذ الصهيوني بعدّتيه مادياً ومعنوياً .

٣ ـ جهاز صوت الإنجيل الذي يذاع من عاصمة الحبشة والممدون في الحبشة الذين يستهدفون إزالة الدين الإسلامي من ديارهم والشرق الإفريقي أيضاً .

٤ ـ الزحف الشيوعي الخبيث المتستر وراء تحطيم كل القوى الروحية .

هذه هي خلاصة ما نعتقده من أخطار محدقة بالإسلام وأهله ، تعددت أسبابها واتفقت غاياتها وأهدافها بالقضاء على الإسلام والبقية الباقية من روحانية أهله .

وهذه الأخطار المحدقة هي بالنسبة للذين قد تم إسلامهم ولم يمتحنوا بعد .. أو كونهم كفوا دعاتهم عناء المشقة ـ أما بالنسبة للوثنيين اللادينيين أو ممن شاكلهم ممن يجعلوا مع الله إلهاً آخر ـ أفليس لنامن الأمر شيئاً أو من العجب غرابة

إذا ما رأينا اتجاههم أو تسللهم إلى من – يحاربوننا في ديننا – تسللا مندفعـــاً إندفاعاً لم تشهد له إفريقيا نظيراً من ذي قبل .

إنهم بالجملة يترامون على صفوفهم ترامي الفراشات على هالة النور، وهـــذه دوافع لها مبرراتها، وكان أولى بها أن تجذبهم باندفاعهم إلى الدين الإسلامي لتروي نفوساً قلقة عطشى وتملي عقولاً بالمثل الإنسانية ومبادىء الرحمة لأنها من خصائصه وفي حدود سلطانه، وعليه فإن وجهة التفكير من زاوية النظر البعيد في العواقب الوخيمة المحمولة على ملابسات الأسباب والمسببات وجهة يجب أن يسلم بها كنظر لا يبعد عن النظر غير الخاطىء – إلى الأخطار التي تحيط بالإسلام وأهله – بل يجب أن يكون مثل هذا التفكير من مقتضيات وجوب التفكير الإسلامي حتى نكسب من مناعته ثباتاً وقوة، فنتخذ من أسباب الحيطة حلولنا على ضوء الواقع وبشعورنا لهذا الواقع ندرك أن الأقطار الإفريقية الشرقية ستشكل خطراً على الكثير والكثير من الإسلام في الدول الإفريقية – وبالذات في حين يتجـــاوب النفوذ اليهودي في إفريقيا والذي تسانــــده قوى غربية متعددة – سبقت لها الخبرات الناجحة في هذا المجال .

ما يجب أن يؤخذ به تجاه هذه الأخطار؟.

وعلى ضوء ما ألمحنا به وإليه سابقاً من حلول الدور الذياختتمت به المسيحية غاية آمالها – وذلك بجعل الحكام والسلطة التنفيذية تحت قبضة المسيحيين متجاهلة في بعض الدول الأغلبية المسلمة – كتنزانيا – فرسمت لها الخطوط بالأحرف الكبيرة وجمعت لها من الطاقات ووسائل الإمكانات ما مكنتهم من كل ما كان يصبو إليه أوائلهم منذ أول غارة شنت على الإسلام باسم الصليبية وأغراض أخذت تكشف أهدافها ومبادؤها عن ذلك العداء الأول للاسلام وأهله .. نعم على ضوء كل ذلك – فالحلول كثيرة والإسلام بصلب عقيدته لا يحارب الأديان ولا ينازع ذوات أشخاصها – وإنما هو عدل يقر العدالة والأمن ،ويدعو إلى التقارب والتضامن وهذه هي حدود دعوته للناس أجمعين .. ولكنه وقد هوجم فلا معدي عن حمايته بمثل ما اعتدي عليه ، وفي حدود كل طاقاته السلمية. وإنه لمن أكبر ما يعيب أهل الإسلام في شتى بقاع الأرض – أنهم لا يدركون مدى قوتهم ولا مبلغ سلطانهم بدينهم – فإذا هم أدركوا ذلك فسيجد مناهزوهم من أي ملة أو دعوة يراد بها غرضاً – تحدياً قوياً لا يباليها ووجهاً صادقاً يزدريها – وبأساً شديداً يرد أصحابها مدحورين .

إننا نعيش بإسلامنا في أيام خطر ومحنة وقلق ، وهي أيام تقتضي تضحيات كبيرة من جانب الذين يرون الخطر دانياً ، ولكنها أيضاً أيام فرص كبيرة ، ونواهز سانحة .

لأن تلك الأفكار الضالة التي غابت عن العقل البشري قديماً –وبلبلت الأجيال العابرة – عادت اليوم في عهدنا هذا وزماننا تتمثل في دعوة الأحقاد وبث بذور الشقاق ، وإثارة الضغائن ، وخلق جو من القلق والاضطراب بين إخوان في الإنسانية نفسها والمؤمنين بها أصدق المكافحين .

وإننا اليوم نواجه البعث ، لأن الدين ينبغي أن يثار من جديد .

ولكن كم من أهله ينظرون إلى الأمر هذه النظرة ؟

بل كم منهم يرون وجوب إعادة التنظيم لدعوته ؟

وكم منهم أوتوا الحماس الذي أوتيه معاشر المسيحيين ؟

وكم منهم يرون وجوب الإسراع في الأخذ بأسباب الإصلاح واستخدام أفضل الطرق في الدعوة والتبشير؟؟ ومن المعلوم في هذا الظرف أن أية دعوة مهما كانت من السمو والنبل لا يمكن أن تجتذب إليها الأنظار أو تستلفت العقول والأفكار ما لم تكن لها من الدعاية والإعلام أوفى نصيب .

والأحزاب في شتى دول العالم أو الدول ذاتها ، لا تقوم بغير الدعاية ، وقد أخذت الدعاية في العصر الحديث مكاناً يجعلها في الدرجة الأولى من الأهمية ، والمسلمون جميعاً يعرفون هذا ، والقليل منهم من يعمل بذلك فيما يتعلق بنشر الإسلام، ولنقارن في ذلك كله بالإرساليات التبشيرية ومن خلفها الملاجىء والمصحات والمدارس، وبالتالي المراكز التي تنظم الإعداد وتهيىء السبل وتستخدم من أهل الخبرات والعقول من يوطد لها الاسس ويثبت لها الركائز ، فعلى ملوك المسلمين ورؤسائهم وقادتهم وهيئاتهم تقع المسؤولية !!

وعليهم جميعاً أن يتقبلوا راضين تبعات الذين يحيون في هذا العصر المادي الأثيم ليحاربوا الشر أينما وجدوه، ويدفعون الأذى حيثما شاهدوه، وما ذلك إلا ،

أولاً : بث الوعي الديني والثقافة الإسلامية عن طريق النشر وتوزيع الكتب والنشرات بلغات القوم السائدة بين شعوب تلك الاقطار من إفريقيا حتى تتمكن من فهم دينها فهماً جيداً ، فتؤمن به إيماناً عميقاً .. وتحيط علماً بما يحيط بها من حوادث ومشكلات .

ثانياً : السعي وراء توظيف دعاة من أبناء إفريقيا ذاتها ، على أن يزوّد هؤلاء بكل وسائل النشر والتأليف.. وأن لا ننسى في الإعداد والتحضير ، تبسيط مفاهيم تلك المؤلفات وجعلها في كتيبات مسلسلة ، ومختصرة بعناوين مقتضبة ومشوقة مثل (اعرف دينك) أو (سلسلة التوعية الثقافية الإسلامية) وليكن صدورها في مراحل ..

(١) وتنحصر موضوعاتها في بيان أركان الإسلام .

(٢) وتنحصر موضوعاتها في معالجة الشبهات التي تثار حول الإسلام كعقيدة ودعوة .

(٣) وفيها توضيح وتحديد لمبادىء الإسلام وأهداف دعوته وغاياتها .

(٤) وفيها عرض لتاريخ الحركات الإسلامية ودراسة موجزة للحركات الفكرية والسياسية .

ثالثاً : من حيث الإعداد يجب أن تعد هذه الكتب تحت إشراف هيئة إسلامية كبيرة كرابطة العالم الإسلامي ـ بمكة المكرمة .

أما من حيث الطباعة فتكاليفها في إفريقيا وخصوصاً طباعة الأحرف اللاتينية رخيصة جداً . ولا نستطيع هنا تحديد مبالغ معينة حيث يرتبط هذا بمقدار الكميات قلة و كثرة ، وطبعاً نحن في حاجة ماسة إلى كميات كبيرة لأن التوزيع يجب أن يستوعب مناطق واسعة من إفريقيا . ورب سائل يسأل .. هل يوجد هناك من يحمل واجب الأمانة والدعوة بالمستوى المطلوب ؟؟ والاجابة .. إنهم يوجدون بكثرة في كثير من المناطق المتناثرة ، وقد عرفنا الكثير منهم دعاة

صالحين وعلماءمتفرغين نشطين، والحقائق الملموسة والماثلة أمام الأنظار هو أن ما يسمع تبليغاً من اطراد في ازدياد عدد المسلمين ، إنما كان أولاً وأخيراً بفضل قلائل من الدعاة يعدون بالأصابع نزحوا قديماً من الجزيرة العربية (حضرموت واليمن) فوضعوا نواة الدعوة وبذرتها في أرض خصبة أنتجت من الرجال دعاة ومن الشباب جنود لها وأي جنود !! انطلقوا في دعوتهم فركبوا الأخطار وتحملوا المشاق واكتفوا من الزاد بالشيء اليسير ومضوا بالدعوة قدماً خلفاً عن سلف ، لم تثنهم تهديدات الساسة ولم ترعبهم إرهاب السياسة .

ورب قائل يقول: إن من تعنيهم مهما كثر عددهم لا يستطيعون بث الدعوة في كل مكان وقد تكالبت عليهم الدعوات، وتشعبت بشعوبهم المذاهب والأفكار والنظريات ، وتفنن أصحابها وأهلوها في العرض والاداء والتبشير ؟؟

ونحن معه في كل ذلك، ولكن ما يجب أن تعلمه أن كل هذه الأمور وسائل حديثة يمكن تغطيتها باتخاذ مثلها .

فعلى الدول الإسلامية والعربية منها خصوصاً وأصحاب رؤوس الأموال من أبناء هذه الجزيرة وخليجها العربي تقع المسؤولية والتبعية وذلك بالسعي والبذل لإقامة مدارس على المستويات الحديثة التي تكفل استيعاب أطفال المسلمين الذين اضطروا بحكم الحياة الحديثة في مظاهرها أن يتهافتوا على المدارس التبشيرية التي هيأت لهم وسائل الدراسات وعلى مختلف مستوياتها في حين لا توجد لدينا من المدارس الإسلامية الحية الكفيلة بأداء الواجب المطلوب مدرسة واحدة .. مما دفع بأبناء المسلمين كسباً للعلوم الحديثة الحية كما يقولون !! الدخول في المدارس المسيحية، فكانت النتائج سيئة وفي كثير من الأوقات، بل كانت ردود الفعل من هؤلاء تنكراً للاسلام .. لا عن بغض فهو دينهم الذي يؤمنون به ـ وإنما عن جهل وقد نما من مقاعد تلك المدارس التي احتضنتهم فعلمتهم كل شيء إلا الإسلام !!

وهنا يبتدرنا السؤال التالي :

كيف نثق بتسليم أمانة الدعوة إلى مثل هؤلاء ؟؟

والجواب : إن الطليعة من الشباب الافريقي في شرق ووسط افريقيا ينقسم إلى قسمين والأصح إلى جيلين :

قسم تعلم أمور الدين في الكتاتيب القرآنية وفي المساجد على أيدي الشيوخ والدعاة، وشيئاً يسيراً من العلوم الاجتماعية عندما سادت الأوضاع الجديدة في تلك البلدان ، وقد فات هذا الجيل شيء كثير مما اضطلعت به بعض الفئات لتحتل به مرافق تلك الحكومات بعد نيل استقلالها .

وهذا القسم يجب علينا أن نوطد علاقتنا بهم لنكوّن منهم ذخيرة للدعوة في القرى النائية والأرياف البعيدة ، لقدرتهم على التحمّل ، لتمكّنهم من معرفة اللغات الوطنية المتعددة . وأخيراً لقدرتهم على التكيف بالطبيعة الاجتماعية التي قل أن يتحملها داعية المدن . بل علينا أيضاً أن نحتفظ بهذه الطاقات للخير والبناء ونرعاها ونحميها ونيسر لها ما استطعنا تيسيره من أسباب العيش لأننا نستمد قوتنا من قوتهم لأنهم يشكلون الأغلبية .. ولكي نكفل نجاح هذا القسم واستمرار تمكن سيره في الطريق الأفضل فعلينا المبادرة باتخاذ ما يلي :

(١) أن يكون صف العاملين منهم منتظماً، والتعارف والتعاون بينهم كاملا ومستمراً يشيع الثقة فيهم على أساس من التناصح والطاعة في المعروف .

(٢) أن نعد لهم تخطيطاً منهجياً يرسم لهم طبيعة عملهم وكفاحهم ويحدد لهم طرق نجاحهم وفشلهم .. فلا يتخبطون في المجتمع خبط عشواء وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً .

(٣) أن يقوم التعاون بينهم وبين دعاة المدن والمنظمات الاسلامية والهيئات الاسلامية العالمية على أساس إسلامي عملي ، يحمل فيه الفرد أعباء الجماعة ،وتحمل الجماعة فيه أعباء الفرد ، ويحملون جميعاً أعباء الدعوة إلى الاسلام ، فلا تكون قضية الاسلام والإيمان دعوى لسان وتقارير مجتمعات وخطابة منابر ، وإنما يأخذ الإيمان حوزته العملية في حياة الفرد والأسرة والجماعة .

(٤) أن نعد لهم دورات تدريبية نشرح فيها أساليب الدعوة وما يجب عليهم ولهم فنجعلهم يشعرون ويدركون أن أمانة الدعوة قد تحولت إليهم وأن الدعوة إلى إحياء الوجود الاسلامي والسير به في القارة وخارجها ليس محصوراً ضمن نطاق جغرافي أو عنصري خاص .. أي ليس من شأن العرب وحدهم ، أو الهنود ، أو الشيرازيين ، أو الاندونيسيين أو الأتراك ، وإنما هو ممتد في أطر جغرافية كثيرة . ومن شأن الدعوة أياً كان حاملها أن تحدث تياراً فكرياً نوعياً يتغلغل في جميع المجتمعات .. والجاليات مما يجعلها ذات مظهر متجانس فذ ..

ونأتي للقسم الثاني ، فهو جيل درس العلوم العصرية في مدارس علمانية ، وأخرى مسيحية ويهودية ، ومعرفته بالأمور الدينية ضئيلة جداً . ولطالما سعت وراءه الأيدي الخفية لتقصيه عن الاسلام وعقيدته ، بل طالما حاولت قوى أخرى معادية للاسلام – لا – أن يترك الاسلام جملة ، لأنها لا تستطيع حمله على ذلك ، وإنما تسعى جاهدة لأن يتحلل من قيمه البارزة ، وشعائره الواضحة – وقد نجح الفريقان بعض النجاح وأعتقد أن مثل هذا الجيل يوجد في كل دول الاسلام – إلا أنه في الدول المسيحية أكثر عدداً .

وبالرغم من كل هذا فإنه لا تزال بقية في ناحية وأخرى في نواحٍ للشخصية الاسلامية الممثلة في كثير من هذا القسم الواعي –أقول ذلك لأن الأفكار والمعاول لم تقوَ على تلويثه أو تحطيمه بالقدر الذي كانت تريد –.

ومما يجب علينا تجاه هؤلاء وحيال تصرفاتهم :

أولاً – السعي وراء التعرف عليهم وهم موجودون بكثرة في كثير من المرافق الحكومية والوطنية الأخرى .. وأؤكد هنا أن دعاتنا بصورة عامة لا يعلمون شيئاً عن هؤلاء بل لم يحاولوا الاتصال بهم في مرافقهم ، ومنتدياتهم وهذا جهل بالدعوة من دعاتنا .

ثانياً – يجب علينا أن نتلمس خطواتهم ونتحسس أحاسيسهم ونفهمهم أننا ندرك بقدر ما يدركون – أن هذا الغليان ، وهذه القفزات الجبارة ، علماً ، وتقنية ، وفلسفة ، تولد هزات عنيفة في النفوس ، قد تؤثر في المقومات ، والمعتقدات ، والمعطيات ، ولذا يجب علينا تقديم كل وسيلة يمكننا الأخذ بها في سبيل الحفاظ على القيم الأساسية ولا سيا الخلقية منها والروحية .

ثالثاً – أن نتركه يجدّ في سير حياته الصاعدة التي توجهه إلى إدراك كل ما يستلزمه وجوده ، ووجود أمته من البناء ودواعي الخلود .

رابعاً – أن نفتح معه حواراً نفهمه فيه أننا ندرك كل ما يجمع كيانه من أجل التعبير عن إرادته القومية المنبثقة من أبعد مطاوي نفسه وأعمق خبايا ضميره .

خامساً – نشعره تجاوباً أنه يحمل طاقة جبارة وأن عقيدته قد مكنته فأمدّته بجسر من السير تشعبت دروبه لتتفق في النهاية .

فالسير إلى المسجد ، والمختبر ، والبحث والتنقيب في الأرض ، والتدريب في الثكنة كل هذه دعائم لا يقوم بناء أمة إلا عليها . والاسلام بكل توجيهاته المعطية قد أثبت أن ليس لأمة بدونه في الحياة نصيب ..

سادساً – أن نتبادل وإياه الآراء في تنظيم الندوات الثقافية ونقيم له مكتبات

ثقافية متنوعة باللغة التي يفهمها ، فتمليه فكراً إسلامياً تنسجم به انسجاماً ، لا يفصله عما تعلمه من علوم الحياة ، إذ أن كثيراً من هـذا النوع يعتقد أن الاسلام يحارب التقدم وينازعـه ، وهم والله معذورون – فقد علموهم ذلك ولم نعلمهم نحن شيئاً – .

هذه نقاط هامة يجب التفكير بها بجدية ، بل يجب المبادرة باتخاذ الأهم منها ، نظراً للظروف التي تمر بعالمنا الاسلامي على طول امتداده .

ولنعلم أن الدعوة أية دعوة ناهيك بالدعوة الاسلامية ما لم تنصب وتوجـه بصورة خاصة إلى الشباب فلا جدوى لها في كثير من الأحيان .

فالشباب في كل أمة من الأمم عنوان صادق على ما تبلغه تلك الأمـة من تقدم أو انحطاط ، وإذا أردنا أن نصدر حكماً على أمة مهما كان ماضيهـا وحاضرها ، هل هي جديرة بالرقي والصعود والبقـاء والخلود ؟ أم هي جديرة بالخمود والجمود والاضمحلال والزوال ؟ فإنما ننظر إلى ما فيها من شباب ، ومـا يقومون به من أعمال !

فإذا كان شبابها من الطامحين العاملين على ما يرسي بنيانها ويرفع شأنها فإنها باقية ما اتسمت بتلك السمات .. وإذا كان شبابها من المتواكلين القانعين ، او المبعدين المسخرين فتلك أُمة تودع في ساعاتها الحياة إلى حيث لا رجعة !!

فالأمة التي لا شباب لها لا مستقبل لها ، وقد أشاد القرآن الكريم بذكر الشباب وثباتهم على عقيدتهم فقال جل شأنه : ﴿ إذ أوى الفتيـة إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ .

وأخيراً .. فليس من شك في أن المجال كما قدمنا أمام رسالة الدين فسيح

وجدّ فسيح . وعلى هذا ينبغي بل يجب على حاملي راياته أن لا يسلموا في شيء لمعاشر أرباب الدعوات الخاطئة بل يعلنوها كما أعلنها غيرهم ، لا مصانعة فيها ولا رياء ، فذلك جوهر الدين ولباب الإيمان به . ولقد كان هؤلاء ، وما زالوا ، ولا يزالون يشنونها على ديننا الغارة تلو الغارة . .

فإلى متى السكوت ؟؟

وما هي الحصيلة الناتجة لنا من وراء ذلك ؟؟

والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل .

مراجع الكتاب

لقد تحريت من المراجع الأكثر ثبتاً في التاريخ مع دراستها وتسليط الضوء عليها من الواقع الملموس والمشاهد التي عاصرتها طيلة ثماني سنوات عشتها في التدريس الرسمي والشعبي ، ونثبت هنا أهمها :

— الحكم والسياسة في إفريقيا للدكتور عبد الملك عوده

— مجموعة اللطائف لسنتها الرابعة ص ٤٦٦ في ٢٠ يناير ١٨٩٠

— كتاب (تاريخ استعمار إفريقيا) سير هاري جنستون

— « (الادريسي في الجغرافيا ، والبكري في التاريخ ، وابن بطوطة في الرحلات .

— « آسيا والسيطرة الأوروبية للكاتب « سردار بانيكار لندن ١٩٥٥

— حاضر العالم الاسلامي للأمير شكيب أرسلان

— دائرة المعارف البريطانية

— كتاب (نقطة تاريخية حديثة) صدر عن حكومة ليبيا بعد الاستقلال

— « (سرّ توسع أوربا الدولي) للدكتور رمزي مايور

— « (تاريخ افريقيا) دوند أوليفر ـ جون فيج

— « (إفريقيا وصحوة الأسد) للمؤلف « جاك ووديس »

- كتاب (في داخل افريقيا)   للمؤلف جون جنتر ـ لندن ١٩٥٥
- « (الاستعمار والسياسة الدولية) بار كرمون
- « (عمان تاريخ يتكلم)تأليف : محمد عبد الله السالمي-حاجي عساف
- مجلة « مجد افريقيا » ١٩٥٥ وما بعدها
- كتاب (تاريخ شرق افريقيا) للكاتب : « كانتيلال ـ د. باتيل ١٩٦٤م نيروبي » .

إضافة إلى مطالعات في الصحف الافريقية المحلية والخارجية وغير ذلك مما ورد ذكره في تضاعيف صفحات هذه الحقائق واتصالات شخصية ، مع بعض رجال علم الآثار وآخرون من رجال التاريخ ـ شاكراً للجميع تعاونهم وتقديم المراجعات التي ساعدت على إخراج هذه الحقائق التي آمل أن تكون فاتحة جديدة لكتابة التاريخ الحق في تلك البقاع ..

فهرست

الصفحة

الصفحة

هذا الكتاب

● هذا الكتاب بما اشتمل عليه من حقائق مستمدة من مصادر اصيلة ومن بعض مما لم اكن اعرف عن افريقية، وخاصة المصادر الاجنبية قد عرفت منه الكثير القسم الذي خصه بالذكر في عنوان كتابه وهو : افريقية الشرقية .

● وهذا القسم هو الذي يشمل الجمهوريات (كينيا ، ويوغندا ، وتنجنيقا) . والمؤلف قد اتيح له المقام هناك لسنوات ؛ استطاع ان يدرس هذه الاجزاء من افريقية دراسة واعية ودقيقة اثمرت هذا الكتاب القيم، ولعله اول كتاب في اللغة العربية يوضع بمثل هذه الدقة ، وهذا الشمول .

● ولقد تناول المؤلف دراسة الكشوف الجغرافية، وهي التي قام بها الاستعمار في افريقية وما تمخض عن ذلك من أحداث، كما تحدث عن الغزو الاوروبي لسلطنات العرب في افريقية الشرقية بانواعه الثلاثة : البرتغالي والالماني ثم البريطاني .

● ومن الفصول المهمة في الكتاب حديثه عن الرقيق .. والدور الذي قام به المستعمر في ممارسته لتجارة الرقيق .

من كلمة التقديم

للاستاذ محمد سعيد العامودي